الصهيونية

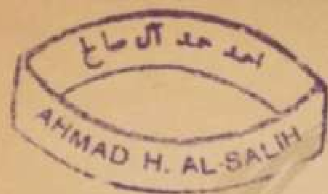
أعلى مراحل الاستعمار

15



فتحي الرملي

وكالة الصحافة الأفريقية

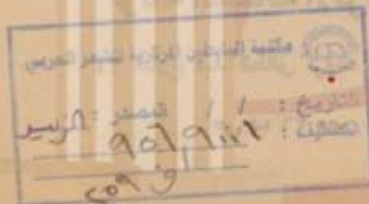




الصهيونية

أعلى مراحل الاستعمار

فتحي الرملي



الطبعة الأولى

٢٠٠٠ نسخة فقط

صدرت فى ١٥ اغسطس سنة ١٩٥٦

لوكالة الصحافة الافريقية

٢١ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة

ص ب ٣٦ مصر

الى البطل الذى أمم القنال

فخلصها من براثن الصهيونية

العالمية ... الى جمال عبد الناصر

مولد كتاب

فكرة هذا الكتاب قديمة فى نفسى ، وقد عاشت فى وجدانى نحوا من عشر سنين ، كانت خلالها تتغذى من أحداث العالم وتطوراته ، فتنمو وتتضخم ، حتى لقد أصبحت اليوم أستشعر فعلا ذلك العسر الذى يصحب عادة ولادة (الجنين) الضخم !

وأنا أقدر ما يصيب القارىء من الملل بعد المقدمات الطويلة ، لذلك أبادر فأرحمه واخفف عنه بعض (ويلات) مقدمتى وألخص له تاريخ هذه الفكرة فى ضميرى .

فى أواخر عام ١٩٤٥ فوجئت بزائر يقتحم على البيت ، اشقر الشعر ، أحمر الوجه ، قدم لى نفسه فى لهجة متواضعة خجولة .. أو هكذا بدت لى فى ذلك الحين ، انه .. اسحق بن يعقوب ، صحفى من فلسطين !!

ولما كانت تربطنا بفلسطين اذ ذاك علاقات الكفاح المشترك ضـد الاستعمار ، فقد تبخر بسرعة ما أدركنى لأول وهلة من عـدم ارتياح بزائر لا تربطنى به سابق معرفة ، أو على الأقل سابق ميعاد .. تبخر ذلك الأثر بسرعة ، ووجدتنى أستقبل الشاب الفلسطينى بحماسة حقيقية وترحاب صادق .

وبدأ السيد اسحق بن يعقوب يشرح لى مهمته لدى .. لقد قرأ وسمع عنى من فلسطين ، وعرف أننى أكرس حياتى للمبادىء الاشتراكية التقدمية الجديدة ، وهو لهذا يحرص على معرفة رأيى فى بعض الشئون السياسية ، فقد ظفر لجريدته بأحاديث مع زعماء اليمين ولكن الذى

يعنيه بالدرجة الاولى هو أن يستطلع رأى الجبهة الاخرى .. جبهة اليسار !

وقلت له أننى لا أمثل جبهة ، فكل ما هناك ، محاولة ناشئة لخلق الوعى الجديد فى مصر ، وأن رسل هذا الوعى مجموعة صغيرة جدا من الشباب ، لا تؤلف بعد جبهة ولا شبه جبهة .

وابتسم السيد اسحق بن يعقوب وأصر على أن ما أقوله هو مجرد تواضع لا أكثر ولا أقل ! ثم عرج على موضوع الحديث الذى يطلبه ، فقال وهو يخرج ورقة بالأسئلة من جيبه : — أريد قبل أن أنسى أن تسمح لى بتصويرك فان قراء جريدتى سوف يسعدهم أن يروا صورتك الى جانب الحديث !

ولم اكن اكثر من شاب يتملكه الزهو امام مثل هذا الطلب ، مهما أرهق عقله بمصارعة غروره ونزواته ، وتغلبت على استنكار عقلى لهذا الغرور بنكتة زائفة (.. لن أكون مسئولا اذا هبط توزيع جريدتكم بعد نشر الصورة) !

قلتها وأنا أتهيأ لمقابلة العدسة وما كاد السيد بن يعقوب يفرغ من التقاط الصورة ، حتى كان يحدثنى عن نفس الموضوع الذى شرد اليه ذهنى وكأنه يتابع أفكارى .. قال أن جريدته توزع ربع مليون نسخة !

وعجبت لهذا الرقم الضخم بينما استطرد هو يقول : لا تعجب فجريدتنا تصدر باللغة العبرية ، ويقرأها اليهود فى شتى أنحاء العالم .. ان توزيعها لا يقتصر على يهود فلسطين !

وابتسمت للفكرة .. فما كان يخطر لى قط أن كلاما لى سوف يترجم فى يوم من الايام الى اللغة العبرية . وقلت للسيد اسحق بن يعقوب — الذى أدركت لاول مرة — أنه يهودى : ما اسم جريدتك ؟

فأجاب بنفس اللهجة المتواضعة : اننى مندوب جريدة دافار ! وهى التى ستنشر الحديث الرئيسى معك ! ولكنى سأنشر ايضا بعض كلامك فى جرائد أخرى تصدر باللغة العربية .. مثل جريدة (نداء الارض) وغيرها من جرائد فلسطين !

قلت لنفسى : اذن فهذه فرصة ذهبية .. ان أحاديثى سوف تنشر بالجملة فى جرائد مختلفة .. فى وقت واحد !

وتطلعت فى شوق الى الصحفى الفلسطينى ، استمع الى اسئلته ، واذا به يصدمنى بسؤاله الاول :

— ما رأيك فى فتح أبواب فلسطين للمضطهدين اليهود ؟

لقد أدركت فى الحال أن كل هذه المقدمة لم تكن أكثر من (طعم) انها (رشوة) خبيثة لا تتكلف مليما واحدا .. وهى مع ذلك أخطر أنواع الرشوة .. انها صور ! وأحاديث ! وشهرة ملفقة .. مفتعلة !

وجاء دورى لكى أتفرج أنا عليه فأجبته فى لهجة حاسمة :

— اننى ضد الهجرة اليهودية !

وبرقت عيناه دهشة وقال :

— ألست تقدميا ؟ ان جميع الاشتراكيين .. فى كل انحاء العالم يؤيدون هذه الهجرة !

قلت له فى هدوء : على اى اساس ؟

فأجاب : على أساس أنها مسألة انسانية .. ففى بعض دول العالم اضطهاد عنصرى ضد الاقلية اليهودية فالاشتراكية من ناحية تحارب هذه العنصرية .. وهى من ناحية أخرى تعطف على هؤلاء الكادحين المشردين الذين يعيشون بلا مأوى !

قلت له : لم تعد هناك دول تضطهد اليهود .. اذا كنت تعنى بكلامك المانيا النازية فهذه لم يعد لها وجود ومع ذلك فلماذا تريد ان تحل مشكلة اليهود المشردين — ان صح ان هناك مشكلة بهذا الاسم — على حساب سكان فلسطين ؟

وعاد اسحق بن يعقوب يشككنى فى (مبادئى) فقال : عجيب ! هذه أول مرة أقابل فيها اشتراكيا يعالج المشكلات من زاوية (عنصرية) !

ولم احتمل هذه (الوقاحة) فقلت له بحدة : من هو العنصرى فينا أنا الذى اقول ان فلسطين لسكانها العرب ! أم انت الذى تقول انها للمهاجرين اليهود ؟؟

وأحس (بن يعقوب) انه تعثر فى أسلوبه معى ولكنه لم ييأس ، فعاد يعتذر عن هذه (الهفوة) بأنها نتيجة تأثره .. ثم بكى فجأة وهو يقول : آه لو رأيت حال هؤلاء (المعذبين) !!

واستطرد : هل تظن ان الموافقة على فتح ابواب الهجرة الى فلسطين يعنى تدفق اليهود من أنحاء العالم الى هناك ؟ كلا بالطبع فاليهودى الذى يعيش فى أى بلد مطمئنا الى مصالحه وحرياته لا يمكن ان يفكر فى الهجرة من هذا البلد .. اننا نطالب بفتح فلسطين لليهود كمبدأ فقط وتأكد انه لن يذهب الى هناك اكثر من بضعة الوف من المضطهدين بالفعل !

قلت له لاحسم المناقشة : وانا اطالب بمنع الهجرة تماما من حيث المبدأ ايضا .. لأن هذه الهجرة هى اعتداء على حق السكان الاصليين من ناحية ولأن من شأنها من ناحية أخرى ان تحول فلسطين الى دولة يهودية ...

وقهقه اسحق بن يعقوب ساخرا وهو يربت على كتفى وقال :

ـ هذه دعاية استعمارية يراد بها تأليب العرب على اليهود حتى يخلو الجو للانجليز .. كيف تصدق ـ وانت رجل تقدمى ـ ان اليهود سيؤلفون دولة فى فلسطين ؟

وكأنما كان الرسول الصهيونى قد اعد عدته لكل شىء فقال :

ـ ومع ذلك فلنفرض المستحيل .. ولاسلم جدلا بأن اليهود سوف يؤلفون حكومة فى فلسطين ، فأيهما تفضل ، ايها الزعيم الاشتراكى ـ هكذا قال على سبيل الرشوة ! ـ حكومة يؤلفها الاقطاعيون العرب من عائلة الحسينى .. ام حكومة يؤلفها العمال اليساريون اليهود ؟!

واجبته ايضا بلهجة حاسمة : اننى افضل بالطبع حكومة يسيطر عليها الاقطاعيون العرب ـ ان صح التعبير ـ على حكومة تسيطر عليهـا الصهيونية العالمية !

ولم ييأس بن يعقوب ايضا فقال :

ـ قلت لك لا تصدق الدعايات الانجليزية فالرأسمالية اليهودية ـ ويلاحظ انه لم يستخدم كلمة الصهيونية ـ لا تظفر باكثر من عشرين

فى المائة من المقاعد فى الوكالة اليهودية بينما يظفر العمال فى انتخابات هذه الوكالة بالثمانين فى المائة من المقاعد

قلت له : ان الرأسمالية لم تستمد قوتها يوما من كونها تؤلف اغلبية ولكنها تستمد قوتها من نفوذها الاقتصادى .. من سيطرتها على رأس المال !

واحس بن يعقوب ان امله قد خاب واننى لست الفريسة السهلة التى تصورها فقام وقال وهو ينصرف :

ـ سأترك لك هذا التقرير لبن جوريون ـ ولم يكن اذ ذاك الا زعيما ـ وسترى فيه حقائق تجعلك تعيد النظر فى هذه الآراء

ولم يزد بل شد على يدى وخرج .. وبين ثنايا التقرير كان اسحق بن يعقوب قد نسى بطاقته الحقيقية .. انه (ايزاك جاكوب) !!

* * *

لقد سقطت فى الامتحان الذى عقده لى (ايزاك جاكوب) مندوب تل ابيب وحقت على اللعنة الصهيونية !

وفجأة تجمعت المنظمات التى يسيطر عليها الصهيونيون فى مصر لتعلن على حربا عنيفة لم تترك نقيصة واحدة لم تلصقها بى ونشطت فى البحث عن (زعماء) اشتراكيين .. آخرين .. البحث عن (تقدميين) يؤمنون بأن التقدمية والصهيونية .. سواء !!

ووضعت فى افواه الببغاوات والمأجورين أقبح الشتائم واشنع الاتهامات وجرت حملة منظمة استخدمت فيها الاموال والفتيات الصهيونيات لتحطيم اى نشاط اتولاه لخدمة بلادى .. فلا ينبغى مطلقا ان يظهر على سطح الارض (اشتراكى) لا يؤمن بالصهيونية !!

ولا شك ان هذا الاسلوب الصهيونى قد ترسب فى اعماقى وترك فى تفكيرى اثرا ، او عقدة نفسية ، هى التى انتهت بى الى هذا الكتاب .. ولكن هذه العقدة لا تعنى ان ما اصل اليه من حقائق ـ بسبب ميولى الخاصة ـ يجب أن ينحى جانبا بدعوى أن المؤلف صاحب هوى ! ذلك أن كل تفكير لاينفصل عن المفكر ، كما ان التاريخ لا يمكن فصله عن المؤرخ ، أو كما يقول بول فولكييه (اننا لا ندرس

الماضى لذاته ابدا بل نبحث فيه دائما عن انوار نلقيها على الحاضر فى سبيل تفسيره ، بل ان ما يجعل نظرتنا تضطرب ايضا هو اننا نبحث عن وثائق تبرز نظرتنا السياسية والاجتماعية التى توجهها بذاتها مطامحنا الشخصية .. **اننا حينما نبحث عن كل ذلك نتوصل الى ايجاد ما نرغب فيه .. ليس عن طريق اختراعنا له وانما عن طريق احتفاظنا بما يثبت نظريتنا من معطيات التاريخ أو بما يضخم معناها) .**

وفى هذا ايضايقول العالم النفسانيجوسدورف فى كتابه « اكتشاف الذات » (ليس هناك من معرفة مهما تكن بعيدة ومجردة لا تكشف لنا عن ذواتنا وبصورة ادق ان كل معرفة مهما كانت هى معرفة تردنا الى ذواتنا لانها جزء منها)

وعلى هذا الأساس أقرر ان كراهيتى الشخصية للصهيونية هى التى دفعتنى الى ان اقبل على دراسة اساسها المادى ، وبالتالى على تطورها ودورها فىخلال التاريخ .. واذا كانتعين الحب (عمياء) فعينالكراهية ستة على ستة !

لذلك فانى ادعو المثقفين فى كل مكان الى ان يطالعوا هذا الكتاب بأمانة واحساس بالمسئولية ، وان يتجردوا بقدر الامكان — فالتجرد المطلق مستحيل كما قلت — من كل نظرةسابقة الى هذا الموضوع ، وان يناقشوه باعتباره محاولة اجتهادية لتفسير ظاهرة من ظواهر التطور ، ينبغى الا نتجاهلها !

* * *

وادرك وانا انشر هذا الكتاب ، خطورة ما قد اتعرض له من دسائس ومؤامرات ، وربما تصل الى حد القتل.ذلك ان ايمان الصهيونية بالارهاب اصبح من المسائل التى لا يختلف فيها اثنان !

واقسم اننى لا استهدف (بطولة زائفة) بما سأقوله الآن ، وهو اننى اعرف تماما ان هذه التضحية التى اقدم عليها بنشر هذا الكتاب ، هى فدائية تشبه فىاسلوبها طريقة (الهاراكيرى) فى اليابان ، لكنىاقدم

مستقبلى وحياتى راضيا فى سبيل الحقيقة التى عشت لها وسأظل اعيش لها ما بقى فى نفس يتردد

التى اعى كل كلمة اكتبها ، واعرف عن طبيعة الأخطبوط الصهيونى هذه الخسة والنذالة ، فحيث لا يستطيع ان يواجه الشعوب والجيوش والكتل ، يعمد دائما الى اساليب الجبن ، والغدر ، فى جنح الظلام !

وعزائى هو ايمانى المطلق — فى نفس الوقت — بأن المؤامرةالصهيونية لن تعيش طويلا ، وأن الوعى الصاعد فى كل شعوب العالم ، لن يلبث أن يقتلع من طريق التقدم كل ما للصهيونية من جذور فى شجرة الاستعمار !

اما اسرائيل .. ذلك المعسكر الذى اقامته الصهيونية العالميةللجيوش التى اعدتها لغزو افريقيا ، فان الجيوش العربية المسلحة .. المتحررة من النير الاستعمارى ، سوف تمحوها من خريطة الدنيا ، وتعيد فلسطين لاصحابها ولن يمر وقت طويل حتى تغسل جيوشنا هذه المنطقة الملوثة من القارة الافريقية كلها .

لن نسمح بقواعد حربية للاستعمار الصهيونى ، لا فى فلسطين ، ولا فى الجزائر ولا فى غينيا ... ولا فى اى مكان وستكون صيحتنا المدوية فى آذان المستعمرين جميعا ان (افريقيا للافريقيين)

اغسطس سنة ١٩٥٦

فتحى الرملى



الاستعمار
نهاية ... وبداية ..

كانت أحلام المساواة تداعب صدور البشر منذ مئات السنين ، وقد عبر كثير من الرواد الاوائل ، من الفلاسفة والكتاب عن هذه الآمال فى دعوات ، بل وحركات ، متعددة ظهر بعضها خلال بعض العهود الاسلامية ومن هذه الدعوات ما يسميه نفر من المؤلفين باشتراكية (ابى ذر الغفار) ومن تلك الحركات ايضا حركة (بربك الخرمى) الذى دعا الى شيوع المال والنساء !

وما ظهر فى الفكر الاسلامى ، تردد مثله من قبل ومن بعد ، فى اوربا وآسيا ايضا .. وحسبى من الامثلة الكثيرة التى يمكن ان اقدمها هنا ، هذا المثل الواحد وهو تلك الدعوات التى سبقت الثورة الفرنسية وصاحبتها ، الى الغاء الملكية الفردية ، لتصبح الارض للجميع !

وهذه الدعوات التاريخية ، هى التى نعبر عنها الآن باسم الاشتراكية الخيالية ، او الشيوعية المثالية او الطوبائية (١) تمييزا لها عن الاشتراكية العلمية التى دعا اليها ماركس ، بل لعل التعبير الأدق هنا أن نقول : (الاشتراكية العلمية التى تنبأ بها ماركس) لان ماركس لم يؤلف جمهورية كتلك التى الفها افلاطون على الورق ! ولم ينظم (مدينة فاضلة) كتلك التى تنافس على تنظيمها — فى عالم الخيال — كثير من الكتاب والمفكرين ، على مر العصور ، نذكر منهم الفارابى فى الفكر العربى ، وتوماس مور فى الفكر الانجليزى كلا .. بل أن ما فعله ماركس كان يختلف عن ذلك كل الاختلاف . ذلك أن الرجل لم يرسم نظاما ، او يخترع شكلا من اشكال الحكم ، بل انه اكتشف حقيقة موجودة بالفعل ، هى ان المجتمع يتطور وفق قوانين صراع المتناقضات

---

(١) نسبة الى بعض النظم التى تخيلتها الفلاسفة .

او كما عبر انجلز فى بساطة (ان تاريخ المجتمع هــــو تاريخ صراع الطبقات) ومن خلال هذا الصراع انتقل المجتمع من مرحلة الشيوعية البدائية ، الى العبودية ، الى الاقطاع ، الى الرأسمالية .. وفى ضوء قوانين التطور نفسها تنبأ ماركس ان المرحلة التالية للرأسمالية هى الاشتراكية ، وقد تحققت هذه النبوءة العلمية فانتقل المجتمع — فى اكثر من نصف العالم — الى النظام الاشتراكى ، واذا لم يكن قد تم على هذا النحو فى العالم كله بعد ، فما ذلك الا لان الصراع الطبقى لا يتم فى مستوى واحد ، فى وقت واحد ، فى كل العالم

واذا كان ماركس قد اكد ان الرأسمالية ، تحمل من المتناقضات فى اساس تكوينها ، عناصر فنائها ، فلم يكن ذلك يعنى ان الرأسمالية — قبل ان يقضى عليها — لن تمر ايضا بمراحل من التطور ، وقد انتهى لينين حوالى سنة ١٩١٦ — وفى ضوء التفسير الماركسى نفسه للتاريخ — الى القول بأن الرأسمالية تتطور وتتشكل حتى تصل فى النهاية الى اعلى مراحلها ، وهى الاستعمار

وقد تحققت نبوءة لينين أيضا ، لانها لم تكن نبوءة غيبية ، بل نبوءة مؤسسة على العلم والمنطق ، فهل يتطور الاستعمار بدوره ، ويصل من مرحلة الى مرحلة ، حتى يبلغ منتهاه الكمى ، فيتحول الى شكل آخر .. او يتحول من الكم الى الكيف ؟

لا شك اننا نحتكم فى هـذا الى نفس المنهج الذى التزمه ماركس ولينين فى دراستهما للتطور ، ووصلا عن طريقه الى نبوءات علمية ، لم تلبث فعلا ان تحققت

ان التطور ، كما قلنا ، لا يسير فى مستوى واحد فى كل مكان ، بل يحكمه قانون آخر هو الصراع الطبقى والظروف المساعدة على تغليب طبقة على اخرى فى مجتمع ما ، **ولذلك فالنظام الراسمالى فى رومانيا او بولنـدا او هنغاريا لم يبلغ هنـاك مرحلة الاستعمار بل تحول مباشرة نحو النظام الاشتراكى ، بينما بلغ النظام الراسمالى فى فرنسا وانجلترا وامريكا**

تلك المرحلة العليا التى حددها لينين للنظام الراسمالى ، وهى مرحلة الاستعمار .

ولكى ازيد هذه النقطة وضوحا ، اعيد هنا ما يقوله ستالين شرحا لطبيعة التطور —[1] (ان اسلوب النمو من الاسفل الى الاعلى لايحدث على مستوى من المستويات ، تتطور فيه الظواهر تطورا متناسقا ، وانما يحدث على مستوى يبرز التناقضات القائمة فى صميم الاشياء والظواهر ذلك هو مستوى الصراع القائم بين الميول المتضادة ، التى تؤثر فى قاعدة هذه المتناقضات .

وعلى هذا الاساس تبدأ دراستنا بالسؤال التالى وهو :

هل يظل الاستعمار — كظاهرة تاريخية — جامدا لا يتحرك ولا يتطور فى انتظار تطور الكفاح (البروليتارى) فى الدول المستعمرة الى الحد الذى يمكن البروليتاريا من القضــاء على الرأسمالية وبالتالى على الاستعمار ؟

ان منطق التطور نفسه يصيح ، لا !

يقـول هيجل (أن كل موجـود — حيا كان او جامدا — يخضع للصيرورة ، ويتطور بلا توقف)

ويقول ماركس (ان كل ظاهرة تحمل من المتناقضات ما يدفع بها الى التطور ، وان الشكل الجديد الذى ينتهى اليه التطور بعد أن يبلغ منتهاه الكمى ، هو محصلة تلك المتناقضات) .

وتطبيقا لهذا ، يولد النظام الرأسمالى وهو يحمل متناقضاته ، وأساس هذه المتناقضات ظهور الطبقة العاملة التى لا يعيش النظام الرأسمالى بل لا يولد اصلا الا بها ، ويستمر الصراع بين المتناقضات فى النظام الرأسمالى واساسها تضاد المصالح بين العمال والرأسماليين ، ومن خلال هـذا الصراع .. من خلال هذا التناقض يولد نظام جديد ، هو الذى ندعوه بالاشتراكية .

---

(١) المادية الجدليـة والتاريخيـة بقلم جوزيف ستالين .

لكن المتناقضات ليست بين العمال والرأسماليين فحسب ، فلكل منهما ايضا متناقضاته .. ولكل جزء من الجزء متناقضاته . وما اشبه هذا بما كشفه العلم اخيرا من ان الذرة التى لا تعادل غير جزء من عشرة ملايين من المليمتر تتألف من مجموعة شمسية كاملة !

فاذا تركنا الصراع الاساسى بين الرأسمالية والعمال وجدنا الرأسمالية تواجه اشكالا معقدة من الصراع .. من المتناقضات الداخلية ، المعقدة .. انها تواجه المنافسة بينها ايضا ومن خلال صراع المنافسة ، من هذه الحركة يحدث تطور فى الرأسمالية الفردية ايضا فتدخل فى مراحل واشكال اخرى متتابعة هى التى نسمى بعضها الاتحادات ، والاحتكارات ويستمر الصراع الداخلى ايضا فيدفع بهذه الاشكال الجديدة الى الحركة .. الى التطور الداخلى فى شكل جديد .. فى مرحلة اعلى هى مرحلة الاستعمار !

يحدث ذلك كله نتيجة ظروف مادية متعددة ، يمكن ان نلخصها اجمالا فى بطء الصراع الرئيسى بين القوى الاساسية فى المجتمع الرأسمالى .. نتيجة نكسة طارئة او غير طارئة فى الحركة العمالية مثلا ، كما هو الحال فى امريكا ، حيث الصراع الداخلى للرأسمالية اكثر كان النظام الرأسمالى اكثر نموا وتضخما عنه فى اى مكان آخر

وقد يحدث العكس ايضا .. بل لقد حدث عكس هذا بالفعل فى روسيا ، فالصراع النظرى داخل الحركة العمالية دفع بها الى تطور ثورى سريع هو الذى ادى بالعمال الى الحكم قبل ان ينضج النظام الرأسمالى نفسه . ويبلغ الحد الذى يجعل الصراع الطبقى يصل الى هذا المستوى الثورى . حتى ان ماركس نفسه لم يخطر بباله ان الثورة الاشتراكية ستبدأ من روسيا الاقطاعية ، بل تنبأ بأنها ستنشب فى المانيا ، حيث كان النظام الرأسمالى اكثر نموا وتضخما عنه فى اى مكان آخر

وعلى هذا ، وطبقا للديلكتيك المادى نفسه ، نؤكد ان الاستعمار ــ الذى هو اعلى مراحل الرأسمالية ــ لا يمكن ان يظل طول عمره استعمارا بصورة واحدة ، ولكنه ككل ظاهرة يخضع لقوانين التطور

ان الاستعمار يتطور ، وتعلمنا قوانين (الديلكتيك المادى) ان التطور لا يظل تطورا كميا فحسب ، بل انه عندما يبلغ منتهاه الكمى ، يتحول ايضا من تطور كمى الى تغير كيفى .. كالماء الذى نضعه على النار ، ترتفع درجة حرارته ، وترتفع حتى اذا بلغت الحد الاقصى لهذا التطور الحرارى وصلت الى درجة الغليان ، ومن الغليان يحدث التغير النوعى الكيفى ، فتتحول من سائل الى بخار

ولا يمنع من هذا طبعا ان اى تدخل خارجى يمكن ان يختصر مرحلة من مراحل التطور ، تماما كما أدى تدخل الجيش الاحمر لتحرير هنغاريا ورومانيا .. الخ الى اختصار مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالى فيها ، وهى مرحلة الاستعمار

ومن هنا ، فان الاصل فى الاستعمار ايضا ــ كظاهرة ــ هو ان يتطور ويتطور حتى يمر بأشكال اخرى جديدة ، مالم يحدث التدخل الخارجى الحاسم الذى يختصر هذه المراحل من عمره .. كثورة داخلية او حرب مثلا ..

ان الاستعمارية اذن هى نهاية بالنسبة للرأسمالية الفردية كشكل من أشكال الاستغلال يعتمد اساسا على نهب فائض قيمة من الطبقة المنتجة مباشرة ولكن هذه النهاية ــ فى نفس الوقت ــ هى بداية لمرحلة جديدة لشكل آخر من اشكال الاستغلال يعتمد على فتح الاسواق الاجنبية لحسابه ، ونهب موارد البلاد الاخرى وخاماتها الخ ..

ولكن هل تتطور هذه الحلقة الجديدة فى الاستغلال حتما داخل نفسها ، اما الاصح هو القول بأن التطور العام يدركها فيوقف مراحل نموها الذاتى ؟

ان الماركسى الذى يجعل (الديلكتيك المادى) منهج تفكيره يسلم بالطبع ان ظواهر التاريخ ، وحدة متكاملة لا يمكن فصلها او عزل جزء منها ، ولكن ما معنى هذا ؟

معناه ان التطور العام لا يقف ابدا ، لكنه يسير فى طريقه فى غير نسق واحد ، وفى غير درجة متساوية ، ولنضرب لذلك مثلا ان اول ثورة

للعبيد ضد السادة قامت فى ايطاليا .. واول ثورة للبورجوازية ضد الاقطاع قامت فى فرنسا ، واول ثورة للعمال ضد البورجوازية قامت فى روسيا .. ولو ان التطور كان يسير فى نسق واحد لقامت الثورة البورجوازية فى كل مكان فى العالم فى وقت واحد ، او لتتابعت الثورات فى ايطاليا بالذات ، حيث قامت الثورة الاولى !

ولو قلنا ان التطور مرتبط فقط بتطور وسائل الانتاج وحدها لقامت الثورة الاشتراكية فى المانيا قبل روسيا، ولكانت امريكا قد تحررت من النظام الرأسمالى قبل الصين !

ومرة اخرى ننتهى الى هذه النتيجة ، وهى ان الاستعمارية نهاية بالنسبة للراسمالية الفردية ولكنها بداية لظاهرة جديدة لا يلبث أن يتمخض عنها التطور !

وبعد فقد كان لينين يقول بالحرف الواحد (١) « لقد انتهى عهد الرأسمالية القديمة ، والشكل الجديد من الرأسمالية يمثل مرحلة انتقال نحو شىء آخر » .. ولم يكن يعنى بكلامه هذا ان الشىء الآخر هو الاشتراكية ، بل الاستعمار !

واليوم حق لنا ان نقول ايضا : لقد انتهى عهد الاستعمار القديم ، والشكل الجديد من الاستعمار يمثل مرحلة انتقال نحو شىء آخر !

---

(١) الاستعمار اعلى مراحل الاستعمار ترجمة الدكتور راشد البراوى

تدويل الاستعمار

والآن .. هل خضعت الاستعمارية لقوانين التطور ، وما مدي ما بلغته من درجات التطور الذاتى الكمى ؟ وما مدى تأثرها بالتطور العام ؟ وفى اى اتجاه تسير ؟ وماذا نتنبأ بالنسبة لمستقبل الاستعمارية ؟ اى بالنسبة لتغيرها الكيفى ؟؟

سأضغط الاجابة هنا بقدر الامكان حتى يسهل على القارىء ان يستوعب أهم ما أريد توضيحه ، وهو ....

قبيل الحرب العالمية الاولى ، استخدم المفكرون كلمة (الامبريالية) ــ اى التوسع الامبراطورى ــ تمييزا لها عن الاستعمار الناشىء .. او الاستعمار فى اول درجاته

وهذه (الامبريالية) هى اول مظاهر التطور الكمى للاستعمارية كظاهرة تاريخية ، فبعد ان كان الاستعمار هو غزو دولة لدولة اخرى ، اصبح الاستعمار يعنى كذلك ان دولة واحدة تحتل عدة دول اخرى بنفس الخطوات التى قطعتها البورجوازية فى خلال تطورها ، بل وايضا بنفس الخطوات التى خطاها الاقطاع وهو فى طريقه الى البورجوازية !

وشهدت الحرب العالمية الاولى اول محاولة من جانب الاستعمارية لتأليف اتحادات بينها تقسم العالم .. وهى خطوة ثانية ايضا فى التطور الكمى للاستعمارية ، وقد تنبأ لينين ــ فى ضوء تحليلاته العلمية ــ بأن امام الدول الاستعمارية محاولة اخرى لاعادة تقسيم العالم فى حرب عالمية ثانية !.. ذلك ان التطور الاستعمارى فى كل منها لن يسير بدرجة واحده ، وبالتالى فلابد ان تحاول بعضها اعادة التقسيم طبقا لحاجاتها الاستعمارية ، وبالذات طبقا لمدى تطور النظام الاستعمارى فيها !

وهذه الاتحادات الاستعمارية التى شهدنا آخرها فى اوائل الحرب

العالمية الثانية اتحاد (محور روما ــ برلين ــ طوكيو) من ناحيـة ، واتحاد الحلفاء (انجلترا ــ فرنسا ــ امريكا) من ناحية اخرى .. هذه الاتحادات تذكرنا بالاتحادات الرأسمالية الداخلية ، كاتحادشركات البترول .. او اتحاد شركات النقل الخ ، كما تذكرنا ايضا باتحادات (الامراء) قبيل مغرب النظام الاقطاعى !

واذا كانت الحلقة الثالثة فى التطور الكمى للرأسمالية هى الاحتكار بعد الاتحادات .. واذا كانت الحلقة الثالثة فى التطور الكمى للاقطاعية هى (الملك) بعد اتحادات الامراء .. ففى وسعنا اذن ان ندرك الصورة التى يمكن انتكون عليها الحلقة الثالثة من التطور الكمى للاستعمارية ان هذا الشكل الجديد من تطورها لابد ان يأخذ نفس الاتجاه التركيزى كالاحتكار الرأسمالى ، وكالملك الاقطاعى !

وهذه التطورات الكمية ــ فى هذا النسق ــ لا تحدث عفوا او بمحض الصدفة ، انما هى ــ طبقا لقواعد الديلكتيك المادى نفسه ــ النتيجة الطبيعية لكل مرحلة من مراحل الصراع الطبقى ، الذى قلنا انه يؤرخ المجتمع ، ويرسم خريطة النظام !

فالنمو الاول يحدث كنتيجة طبيعية لميلاد جـديد او حياة جـديدة لمرحلة ما من مراحـل التطور الذى لم تشتد متناقضاتها بعـد .. فالرأسمالية مثلا تحمل فى طياتها عناصر فنائها ، او بتعبير ادق عناصر صيرورتها ، ولكن مع وجود هذه المتناقضات من اللحظة الاولى فانها لا تصبح خطرا عليها الا بعد فترة من الوقت ، ولتوضيح هذا نقول ان الرأسمالية تظهر وهى تحمل الجنين الذى سوف يرثها وهو (العمال) ولكن (العمال) لكى يرثوا الرأسمالية بل حتى لكى يصارعوها لابد لهم من تكوين .. من احساس ، ووعى ، وتجارب .. والى ان يتربى الوليد الجـديد ويصبح خطرا حقيقيا على أمه الرأسمالية ، فان الام ستجد امامها فرصة النمو ، والتضخم ! ويشتدساعد الاطفال ــ العمال ــ ويصبحوا صبيانا فتحس الامهات بالخطر فيتحدن .. تلك هى اتحادات الرأسمالية ! ثم يتطور الصبيان فيصبحوا فتيانا اقدر على مصـارعة

الامهات المتحدات ، فتتجه الرأسمالية الى تركيز قواها فى شكل جديد هوالاحتكار ، ويتطور الفتيان ــ اى العمال ــ الى شبان اقوى من أن ان تقف امامهم هذه الاحتكارات ايضا ، فلا تلبث الاحتـكارات ــ دفاعا عن بقائها ــ ان تتحول الى استعمار !

ولا تقل ان الاتحادات والاحتكارات موجهة كذلك الى المستهلكين الى العمال وحدهم فهذه سذاجة فى الاعتراض ، لان المستهلكين ليسوا ايضا سوى العمال .. فالرأسمالية تسعى لاستغلالهم منتجين ومستهلكين فى وقت معا

ولا تقل اننا نتجـاهل هنا مختلف المتناقضات الموجـودة داخـل الرأسمالية نفسها ، فنحن ندرك ايضا ان الاتحادات ــ الكارتلات ــ والاحتكار ــ الترست ــ لا توجه ايضا ضد العمال فحسب ، ولا ضد العمـال والمستهلكين ايضا فحسب ، ولـكنها كذلك ضد المنافسة الرأسمالية نفسها !

وبالعكس نحن نقرر ، ومن البداية ان دور المتناقضات الداخليـة الذاتية لا يقل بحال عن دور المتناقضات الخارجية والعامة ، وكل هذه الاشكال المختلفة للصراع هى التى تدفع عجلة التطور الى الامام

اذن فطبيعة الصراع ونوعه .. وكذلك درجتـه هى التى تقرر طبيعة ونوع ودرجة التطور التالى فى المجتمع

ونستطيع بشىء من التحليل والتأمل ، ان نجد نفس هذا المثال الذى قدمناه عن تطور الرأسمالية نستطيع ان نجد المثال نفسه ، فى تاريخ تطور الاقطاعية او العبودية كذلك وهنا تصبح مهمتنا فى الكلام عن التطور الاستعمارى سهلة .. لقد قلنا انه قطع مرحلتين هامتين فى طريق تطوره ، الاولى وهى النمو ، وقد ظهرت فى شكل الامبريالية ــ اى التوسع الاستعمارى ــ والثانية وهى الاتحاد ، وقد ظهرت فى انشطار الدول الاستعمارية الى معسكرات تسعى لتقسيم العالم .. كما ظهر ذلك واضحا فى الحرب العالمية الاولى وفى المرحلة الاولى للحـرب العالمية الثانية ، التى تنبأ بها لينين

اذن ، فما دامت الاستعمارية قد خضعت لقوانين التطور الكمى على هذا النحو ، فلاشك انها خاضعة ايضا للتطور الكيفى ، ولابد انها ستتحول الى شكل جديد من اشكال الاستغلال .. كما يعلمنا التاريخ

والسؤال الطبيعى الذى لابد ان يرد الى الخاطر ، هو كيف تكون الصورة الجديدة .. المرحلة الثالثة للتطور الكمى فى الاستعمارية ، وبالتالى كيف تكون الصورة التى يكون عليها التحول الكيفى او التغير المرتقب ؟

اما عن الحلقة الثالثة للتطور الكمى فى الاستعمارية ، فالمسألة اوضح من ان تحتاج الى مجهود كبير ، ذلك اننا قد شهدنا بالفعل مبادىء انتقال الاستعمارية الى هذه الدرجة من درجات تطورها

اتجهت الاستعمارية فى بادىء الامر الى محاولة التخلص من الحركات الوطنية ، والمنافسات الخارجية عن طريق الاستعانة بشركاء من الرأسمالية المحلية للمستعمرات التى تحتلها ، فتخصص لبعضهم نصيبا ضئيلا من الاسهم او الارباح وبذلك تثبت قدميها فى هذه المستعمرات ضد المنافسة الاستعمارية نفسها ، ومن ناحية اخرى تأمن خطر الحركات الوطنية بواسطة هذا الطابور الخامس من المستفيدين .. من الشركاء الوطنيين الذين تسعى بالطبع لفرضهم زعماء وحكاما على تلك المستعمرات ، هكذا فعلت المانيا قبل الحرب فى بعض دول اوربا التى تسيطر عليها ، فمن امثلة ذلك انها الفت بعض الشركات الالمانية الرومانية لاستثمار الثروات المنجمية كالنحاس والكروم ، واخرى لاحتكار النباتات الزيتية ، والعلف ، والمنسوجات الخ

وهكذا فعلت من قبلها اليابان فى الصين ، وهكذا فعلت انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا

لكن التناقض الطبيعى بين مصلحة رءوس الاموال الوطنية ، ورءوس الاموال المتطفلة الدخيلة ، لم يلبث ان جعل هذه التدابير ايضا غير ذات قيمة ، ولم تلبث الشعوب ان كشفت النقاب عن وجه الخونة المنتفعين

من السيطرة الاستعمارية ، فلم تعد لهم قيمة تضليلية ، كما لجأت الاستعمارية المنافسة الى نفس السلاح ، وهو شراء عدد آخر من الوطنيين الذين يقبلون التعامل معها .. واقرب مثال لذلك هو مافعله الاستعمار الامريكى مع الاستعمار الانجليزى بعد الحرب الاخيرة ، فقد دخلا فى مزاد واحد لشراء (زعماء) (وعملاء) خونة من المستعمرات حدث هذا فى ايران ، وفى الهند ، وفى منطقة الشرق الاوسط كلها تقريبا

لم يكن هذا حلا يقضى على متناقضات الاستعمارية فلم تلبث ان تطورت الى صورة اكثر ملائمة من وجهة نظرها طبعا ، فى هذه الصورة الاخيرة من صور التطور التى انتهت اليها الاستعمارية

انها تدويل (رأس المال) الذى ولدت محاولاته الاولى من نصف قرن تقريبا .. تلك الشركات (العالمية) التى تجتمع فيها رءوس اموال انجليزية وامريكية وفرنسية والمانية الخ .. انها المقابل الطبيعى للملك فى الاقطاعية ! والاحتكار فى الرأسمالية !

ان هذه الشركات العالمية احتكار نعم .. ولكنه من نوع آخر .. ليس هو ذلك الاحتكار القومى او المحلى ، ولكنه صورة جديدة للاحتكار ، كما كان الاحتكار الرأسمالى صورة جديدة من صور النظام الملكى .. ولم يكن من الصدفة ان يطلق على ارباب الاحتكار لقب الملك .. ملك الحديد ! وملك البترول ! وملك الفحم ! لقد كانوا بالفعل ملوك النظام الجديد الذى ورث النظام الاقطاعى .. كانوا بالفعل ملوك الرأسمالية فى مرحلة تطورها الثالثة !

ولقد قلنا ان شكل التطور ــ فى حالة الكم او الكيف ــ لا يحدث بالصدفة ، ولكنه يتم وفق قوانين ثابتة هى ظروف ونوع ودرجة الصراع ، فما هى ظروف ونوع ودرجة الصراع الذى انتهى بالاستعمارية الى هذا الشكل الثالث من اشكال التطور الكمى وهو كما قلنا تدويل رأس المال ؟

ان الذى حدد هذا الاتجاه للاستعمارية عاملان رئيسيان هما :

اولا ــ التناقض الخارجى للاستعمارية ، فقد استهدفت فى

النصف قرن الاخير لتجمعات وتكتلات شعبية ــ عالمية ــ فكانت الدولة الاستعمارية لا تلقى المقاومة من الشعب الذى تستعمره فقط ، ولكنها كانت تواجه تأييد مختلف شعوب العالم ، لذلك الشعب المستعمر ، حتى لقد بلغ التأييد الجماعى الشعوبى للشعب المستعمر ضد الدولة المستعمرة له ، حد التعاون المسلح ، وكان لقيام الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى اكبر الاثر فى (بلورة) هذه الاتجاهات التحررية التى تجرى على نطاق شعوبى ، او عالمى .. ورد الفعل الذى يحدثه هذا التجمع الشعوبى فى الاستعمارية ، هو الذى يحدد لها نفس الاتجاه ، الذى يجعلها ــ الى حد ما ــ اقدر على مواجهته .. او على محاربته ، دفاعا عن وجودها !

ثانيا ــ التناقض الداخلى للاستعمارية : فقد واجهت خللا وتصدعا فى المحالفات الاتحادية ــ كما تنبأ لينين ــ لأن التطور فى الدول الاستعمارية لا يسير بدرجة متساوية وفى نسق واحد ــ كما سبق ان كررنا ــ فكلما غلب حصان من الخيول الاستعمارية المتسابقة زملاءه فى شوط من الاشواط ، احس بأنه مغبون فى القسمة ، وانه لابد من اعادة التقسيم او الخروج عليه .. وهذا هو ما نسميه التناقض بين المعسكر الاستعمارى الواحد ، والذى جعل زادانوف ــ فى تقريره المشهور سنة ١٩٤٨ ــ يتنبأ بأن الخلاف بين انجلترا وأمريكا أقرب مدى من الخلاف بينهما وبين الاتحاد السوفييتى

ولما كان هذا السباق الاستعمارى ، تحكمه اتجاهات امبريالية ذات جذور قومية او وطنية ، فقد اصبح على رأس المال ان يحطم تلك الاتجاهات عن طريق الانطلاق فى جو ارحب .. عن طريق التدويل ، على الاقل حتى يؤمن سلامته ضد المؤامرات التى توحى بها طبيعة المنافسة الاستعمارية الجنونية ، كأن يساعد الاستعمار الفرنسى الشعب الطرابلسى فى مقاومته الوطنية ضد الاستعمار الايطالى او كأن يساعد الاستعمار الانجليزى سوريا ولبنان ضد الاستعمار الفرنسى !

ان غريزة البقاء ، تدفع بالاستعمارية الى الخروج من كل هذه

المآزق .. من كل هذه المتناقضات ، بتدويل رأس المال !

ولم يلبث ان ظهر بالفعل اثر هذا التدويل فى ما نراه اليوم من وقوف الاستعمارية كتلة واحدة ضد الشعوب ...

لم يكن الجيش الامريكى وحده هو الذى يحارب الشعب الكورى بل كان الاستعمار الدولى انجلترا وفرنسا لغاية تركيا نفسها ، احتشدت كلها لتحطيم الحركة التحريرية فى كوريا !

ولم يكن الجيش الفرنسى وحده هو الذى يحارب الشعب الفيتنامى فى الهند الصينية ، بل كان الاستعمار الدولى .. امريكا ، وانجلترا ايضا ، بل وفى المقدمة وبحماسة وتطرف اشد من حماسة الجيش الفرنسى

ولم يكن الجيش الهولندى وحده هو الذى يحارب الشعب الاندونيسى ويحاول القضاء على حريته وتطوره ، بل كان الاستعمار الدولى .. كان الاحتكار الاستعمارى المؤلف من امريكا وانجلترا وفرنسا وسائر زميلاتها وتوابعها

ولم يكن الجيش الانجليزى وحده هو الذى يحارب الوطنيين فى بورما والملايو بل كان الاستعمار الدولى بأجمعه وراء الانجليز ، بل امام الانجليز !

هذه حقائق اضحت بديهية لا تحتاج الى دليل .. وهى اوضح مظهر لاتجاه الاستعمارية نحو التدويل !!

ولقد ظهر هذا الاتجاه جديا الى تدويل رأس المال كما قلنا فى مطلع هذا القرن .. ومن اهم امثلة ظهوره ، ما ورد فى تقرير احد قناصل حكومة النمسا والمجر فى البرازيل سنة ١٩١٣ (ان انشاء الخطوط الحديدية فى البرازيل يتم فى الاغلب بواسطة رءوس الاموال الفرنسية والبلجكية والبريطانية والالمانية) وقد هلل كاوتسكى (١) لهذه الظاهرة واعتبر تدويل (رأس المال) سبيلا الى قيام الامن والسلام فى ظل النظام الرأسمالى

---

(١) زعيم المانى بدأ ماركسيا ثم انحرف

ولكن لينين اوضح سخافة هذا الرأى فى كتابه المعروف (الاستعمار اعلى مراحل الاستعمارية) اذ قال بالحرف الواحد :

ان اشكال الصراع قد تتغير ، بل هى تتغير فعلا لاسباب متباينة وخاصة ، ولعوامل مؤقتة نسبيا ولكن جوهر الصراع ، وما ينطوى عليه من تباين الطبقات لا يمكن ان يتغير ما دامت الطبقات قائمة

والحق ان تدويل رأس المال ، الذى ارادت به الرأسمالية الاستعمارية حل أزمة متناقضاتها لم يكن الا استئنافا للصراع على صورة جديدة . بالضبط كما لم ينه النظام الملكى متناقضات الاقطاع ، وكما لم ينه (الاحتكار) متناقضات الرأسمالية !

ان التاريخ يعيد نفسه ، ولكن فى شكل جديد يتلاءم مع ما وصل اليه المجتمع من تطور .. فالصراع الطبقى – حتى داخل الاستعمارية – لم يقف بهذا التدويل لرأس المال ، لان جوهر الصراع – وهو وجود طبقات – لم يتغير !

لا مفر من الصيرورة مهما تعددت المحاولات .. وقد حاولت الرأسمالية ان تتغلب على ازماتها – اى على متناقضاتها – فلا تكاد تظن انها وجدت الحل الاوفق ، حتى تواجه – بسبب هذا الحل – ازمة اشد واعقد !

ان الرأسمالية تخلق البطالة خلقا لتهبط بمستوى الاجور ، فاذا بها تواجه – نتيجة انتشار البطالة – هبوطا فى الطلب – اى فى المقدرة الشرائية – وتحاول التغلب على هذه الازمة بتدمير الانتاج للمحافظة على مستوى الارباح فتحدد امريكا زراعة القطن ، وتلقى البرازيل ثلاثة ارباع محصول البن فى البحر ، واستراليا تستخدم القمح وقودا للقطارات وهولندا وايرلندا تضرب العجول والخنازير بالرصاص .. لكن هذه التدابير كلها لا تزيد المشكلة الا تفاقما ، فالاسعار ترتفع جدا بالفعل لكن الطلب يقل جدا ايضا نتيجة هذا الارتفاع مع انتشار البطالة ، وانعدام المقدرة الشرائية ! ومن جديد تحاول الرأسمالية علاج مشكلة البطالة حتى توجد المستهلكين القادرين على الشراء !

وفى سنة ١٩٣٣ – وكان فى العالم ثلاثون مليونا من المتعطلين بينهم

اثنا عشر مليونا فى امريكا وحدها – صرح ناطق بلسان الرئيس روزفلت بقوله (علينا ان نحقق للمستهلكين القوة التى تمكنهم من شراء المنتجات اذا اردنا حماية وبقاء مصانعنا ومزارعنا ، وان نضمن قدرتها على تصريف انتاجها وهذا ما يتطلب منا القضاء على بطالة ١٢ مليون مستهلك بعيدين عن (امكانية الشراء) !

ولم يكن امام الرأسمالية من سبيل الى معالجة مشكلة البطالة سوى حشدهم فى مشروعات الاشغال العامة للحكومة كتوسيع الشوارع او رصف الطرق او اقامة الكبارى .. ذلك ان السوق لم تكن تحتمل مزيدا من الانتاج ، وقد ساعد هذا الحل مؤقتا على ايجاد مقدرة شرائية ، لكنه لم يلبث ان تمخض عن مشكلة جديدة هى التضخم النقدى نتيجة التوسع فى النفقات العامة ، دون ان تكون هناك زيادة تقابلها فى الدخل القومى ! وهذه الازمة الجديدة حدت بالدول الرأسمالية الى التراجع اكثر من مرة فبعد ان صدر قانون الاشغال الكبرى فى الولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ وتابعت الارجنتين ، والمانيا ، وفرنسا ، والنمسا ، لغاية جنوب افريقيا .. بعد ان تابعت هذه الحكومات السياسة التى رسمتها الولايات المتحدة بزيادة نفقات الاشغال العامة لمعالجة البطالة .. عادت بعد سنوات فخفضت الاعتمادات الكبيرة لتمنع التضخم ، فاذا برد الفعل يأتى بنتيجة مزعجة ، هى هبوط المقدرة الشرائية من جديد ، وما يستتبع ذلك حتما من افلاس عدد كبير من البيوت التجارية والصناعية .. وهنا – فى سنة ١٩٣٦ – عادت الدول الاستعمارية الى الاغداق على الاشغال العامة ، وهكذا تحاول الرأسمالية التغلب على ازماتها عبثا ، فهى تتخبط وتدور فى حلقة مفرغة ، دون ان تسد هذه الترقيعات ثغرة بعد اخرى فى الثوب المهلهل .. ثوب الرأسمالية الذى لم يعد يصلح (لستر) المجتمع المتطور الى الامام !

وهكذا الاستعمارية هى الاخرى .. عبثا تحاول ترقيع ثوبها او قلبه واعادة تفصيله بما يلائم ذوق العصر لقد اصبح الثوب كله (مودة) قديمة ، يستحيل تجديده !

فلا الاتحادات الاستعمارية نجحت فى تقسيم العالم تقسيما نهائيا بينها ، ولا الحروب المتتابعة نجحت فى اقرار اى قسمة .. ولا تدويل (رأس المال) افلح فى القضاء على المتناقضات الاستعمارية ، فليس معنى تكتل الاستعمار الدولى ضد الشعوب جملة ان المتناقضات داخل الاستعمار الدولى قد صفيت وانتهت ، كلا ... انما هى مجرد محاولة يائسة تمليها غريزة الدفاع عن النفس .. غريزة الرغبة فى البقاء !

لا مفر اذن للاستعمارية من الصيرورة .. من التحول الكيفى الى شكل آخر من اشكال الاستغلال

استعمار الاستعمار

والى اين تنجه الاستعمارية فى صيرورتها المرتقبة ؟

ان الذى يحدد هذا ايضا هو الاساس الذى قامت عليه آخر مراحل تطورها الكمى .. اى الظروف والطريقة التى تم بها تدويل رأس المال!

وحين نتكلم عن مرحلة تدويل رأس المال ، فاننا لا نعنى بهذا ان جميع رءوس الاموال الاستعمارية قد تم تدويلها ، كلا فلم يحدث هذا حتى ولا بالنسبة لدول معينة .. انما نعنى بالكلام هنا ، ان (التدويل) ظاهرة واضحة فى تاريخ رأس المال الاستعمارى بدأت فى اواخر القرن الماضى ، وانقلبت الى محاولات متتابعة منذ اوائل هذا القرن ، ولما كان التطور بطبيعته متداخلا ومتشابكا ومترابطا الى جانب انه ــ كما كررنا ــ لا يسير فى نسق واحد ، او بدرجة واحدة ، لذلك فانه ــ اى التدويل ــ يخضع ايضا لقوانين التطور الذاتى داخل نطاق التطور العام فهو ينمو على مهل .. ويبدأ نموه بطيئا ، ثم لا يلبث ان يتدرج نحو النمو فى سرعة اكبر ، فى طريقه الى الصيرورة

ان الاقطاع لم يظهر فى العالم كمرحلة تاريخية بعد ان بلغت مرحلة العبودية اقصى درجات تطورها ، كلا ... بل لقد ظهر الاقطاع قبل ذلك خلال المراحل التى قطعتها العبودية نفسها فى طريقها الى الاقطاع ، وهذا طبيعى لأن العبودية خرجت الى العالم وهى تحمل بذرة الجنين القادم .. وكذلك لم تظهر البورجوازية بعد ان بلغ الاقطاع اقصى درجات نموه ، ولكنها ظهرت قبل ذلك .. من خلال المجتمع الاقطاعى نفسه ، فكثيرا ما التقى النظامان ــ او المرحلتان بتعبير اصح ــ فى بلد واحد تماما كما التقت البورجوازية بالاقطاع فى روسيا قبل الثورة ، وتماما ايضا كما تلتقى الاشتراكية والبورجوازية اليوم فى بعض دول العالم التى تضطرها ظروف المد الثورى الى تحقيق بعض خطوات هامة

نحو الاشتراكية كسياسة التأميم مثلا

كل هذا يفسر لنا خطورة هذه الظاهرة التى تبـدو اليوم ضعيفة ، ونعنى بها اتجاه الاستعمارية نحو تدويل رأس المال ، فقد مر الاستعمار بمراحل من النمو والتشكل ، بحسب ارادة التطور العام ككل ، وكلنا يعرف ان الاستعمار من الناحية التاريخية قد بدأ بغزو فردى هو هجرة السكان من منطقة الى منطقة اكثر خصوبة كهجرة العبرانيين الى ارض مصر فى مرحلة العبودية ! وتنمو بذرة الاستعمار حتى تتشكل بمايناسب ارادة المرحلة الاقطاعية .. فيتحول الى غزو جماعى للاستيلاءعلى ارض الغير !! ويتطور مرة ثالثة حتى يبلغ فى مرحلة البورجوازية درجةاخرى من درجات تطوره لخدمة النظام الجديد ، فيصبح الاستعمار هو فتح الاسواق لفرض المنتجات البورجوازية ! ويمضى الاستعمار بعد ذلك فى تطوره ، يتلون ويتشـكل بحسب تطور الاسـاس الاسـتغلالى للمجتمع الطبقى .

ان الاستعمار يتحول فى طريق تطوره لتصبح له معان جديدة .. منها نهب المواد الخام للبـلاد المفتوحة ومنها تصدير رؤوس الاموال واستثمارها فى البلاد الاجنبية !

ومن هنا فاننا حين نتكلم عن ظاهـرة التدويل الاستعمارى تبعـا لتدويل رأس المال ، وعن الصدى الذى تردد لهذا التحول التاريخى فى صورة ما نراه اليوم من التعاون الاستعمارى المسلح ضد الشعب .. عندما نتكلم عن هذا لا نعنى أن متناقضات الاستعمارية قد صفيت ووجدت حلا !

وبالعكس فمن هنا أيضا تبدأ متناقضات الاستعمار ـ المتناقضات الذاتية أساسا ـ فمنذ أخـذ الاستعمار صـورة « شركات دوليـة مساهمة » لاستعمار العـالم ، انتقل الصراع الى المساهمين أنفسهم ، فكبار المسـاهمين من ناحية يشعرون بقوتهم وبأنهم أصحاب النصيب الاكبر من رأس المـال ، فيجب أن يكون لهم بالتالى اكبر نصيب من

الربح ، بل كل الربح ، وصغار المساهمين من ناحية اخرى يشكون فى نوايا الكبار أعضاء مجلس الادارة ، ويتهمونهم بالسرقة ، والتلاعب ، والاختلاس !

فلا نعجب حين نرى الدول الاستعمارية اليوم تبدو متعاونةمتحالفة من ناحية ، متنافسة متحاربة من ناحية أخرى ، ولا ندهش حين نجد امريكا تتآمر مع انجلترا ضد بورما والملايو ، وتدبر لهـا الدسائس والمؤامرات فى ايران . او نجد انجلترا تسيروراءامريكا فى كوريا ، بينما تزحف على بعض مناطق نفوذها البترولية فى الحجاز .

لا غرابة فى أن تعيش المتناقضات وتنمو داخل الاسـتعمارية رغم نمو الاتجاه الاستعمارى الجديد نحوالتدويل ، فالاستعمارية كما قلنا لا تنمو فى درجات واحدة ، ومن هنا فهى تصارع ذاتها لتحقق التمركز الأخـير ... الذى يماثل التمركز الاحتكارى بالنسبة للرأسـمالية ! وبتجلى هذا فى شكل واضح تماما ، من محاولة امريكا ، التى فاتهـا اقتسام العالم مع الدول الرأسمالية فى الحربين المـاضيتين .. محاولة امريكا هذه أن تعوض كل ما فاتها باسـتعمار الدول الاسـتعمارية نفسها ... وتستخدم هذه الدول الاسـتعمارية مجرد وسـيط مباشر يمثل تاجر القطاعى أمام تاجر الجملة !

وفى هذا يقول العالم الاقتصادى الامريكى فيكتور بيرلو فى كتابه المعروف (اعمدة الاستعمار الامريكى)

« ان محاولة استعمار اوروبا لا تقف عند حدودها القارية ، فجميع الخطط الامريكية الرامية الىاخضاع الدول الاوروبية تشـمل مستعمرات هـذه الدول وانصاف مستعمراتها ايضا »

ان امريكا ـ ذلك المسـول الضخم الذى ظهر من تحت أنقـاض الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية ـ يريد أن يصفى هذه الشركة

الاستعمارية ، لا لحساب الشعوب ولا لحساب الحـرية ، بل لحسابه هو .. لحساب حفنة من شياطين المال فى الولايات المتحدة !

هذا الممول الضخم لا يريد أن يضيع الوقت فى غزوات استعمارية جزئية هنا وهنـاك ، فمثل هذه الغزوات من ناحية لا تليق بمقامه الاستعمارى ... ولا تتناسب ـ من ناحية أخرى ـ مع طبيعة التطور الفكرى الذى جعل تجدد مثل هذه الغزوات أمرا فى حكم المستحيل ، وهو فـوق ذلك كله لا يقنع بمثـل هذه الغزوات ، ولا يشبع بهذه الوجبات الصغيرة !

ان الممول الامريكى الطموح لا يريد أن يبعثر جهوده فى البحث عن مستعمرات صـغيرة جديدة كانت أو قديمة ، طالمـا ان امكانياته تسمح له بالسيطرة على الدول الاستعمارية نفسـها وما دامت هذه الدول الاستعمارية تقتسم العالم ـ العالم « الحـر » على الأقل ! ـ ففى امكان الممول الامريكى الأكثر طموحا أن يسـيطر على كل هذا العالم ... الحر !!

واذا كان الاتجاه نحو التدويل ـ داخل الاستعمار ـ قد انعكست ضرورته على كثير من الدعوات والتنظيمات السياسية فقد انعكست من ناحية أخرى هذه المحاولات الجريئة لرأس المال الامريكى الطموح .. انعكست هى أيضا على نفس تلك الدعوات والتنظيمات السياسية .. وظهرت من خلالها .

فبينما اتجه « فلاسفة » السياسة الامريكية الى الدعوة لاستبدال مبدأ الوصاية الفردية ـ أى الاستعمار الفردى ـ بما سموه « الوصاية الدولية » ... أى الاستعمار الجماعى !!

بينما أصبح مبدأ « الوصاية الدولية » شعارا من شعارات هيئة الامم المتحدة ، ينبرى المنـدوب الامريكى الى تقديمه كحل حاسم ، كلما تنازعت الدول الاستعمارية واختلفت حول احـدى فرائسها من الدول الصغيرة ...

بينما نجد هذه ، نجد المتناقضات المتشابكة داخل الاستعمارية من ناحية أخرى لا تؤمن بهذا « الاتحاد الاستعمارى » الا كخطوة فقط ، فلا بد من السيطرة الكاملة ... لا بد من الطور الاحتكارى للاستعمار أو « الزعامة » الدولية كما يشاء تواضع الرجعية الامريكية أو تضليلها ... ان تسميه !

وقـد لوح د . وتش أمين صنـدوق شركة « سـتاندرد أويل » الامريكية بهذه « الزعامة الايجابية القوية فى شئون العالم السياسـة والاجتماعية والاقتصادية » حسب تعبيره هو ... لوح بهذه الزعامة فى خطاب ألقاه سنة ١٩٤٦ وقال فيه بالحرف الواحد « ان من واجبنا أن نحققها ـ أى الزعامة الامريكية ـ بأوسع ما تحتمله الكلمة من معنى ... **ان علينا بوصفنـا أكثر الدول انتاجا ومالا ، وصنـاعة ، ان نحزم أمرنا ونتحمل المسئولية التى يلقيها على عاتقنا كوننـا نملك غالبية الاسهم فى هذه الشركة التى يسمونها (العـالم) » !!**

ولا تقنع النيويورك تيمس ـ لسـان الاستعمار الامريكى ـ بمجرد التبشير بهذه « الزعامـة » ولكنها تلوح بفرضها على العـالم بعبارات تهديدية واضحة ، فتكتب بعد شهور :

« لقـد انتهى عصر السياسة الانعزالية وحل محله عصر تحمل
« الولايات المتحدة لمسئولياتها العالمية . وان حكومتنا لتملك اليوم
« أسطولا بحريا اضخم ـ عددا او عدة ـ من كل أساطيل العـالم
« مجتمعة ! ولبلادنا القـوة الجـوية الكبرى ، والقواعد البحرية
« والجوية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم ، وبيدها سر القنبلة الذرية ،
« وميزانيتها الحربية هى أكبر ميزانية عرفها العالم » !!

وأهم ما يلفت النظر فى تهديد النيويورك تيمس أنه جاء تعقيبا على هياج فريق من الاستعماريين البريطانيين الذين يرون أن هذه الزعامة الاستعمارية يجب أن تكون للامبراطورية البريطانية ... وقد هالهم أن تسلمهم هذه الشروط التى فرضتها الاستعمارية الامريكية الأقوى ،

ضد الاستعمارية الأقل « أسهما » فى « شركة العالم » حسب تعبير السيد وتش !

فبينما أخذ تشرشل الجانب الخطابى فى هذه العاصفة التى شهدها مجلس العموم البريطانى سنة ١٩٤٧ فنعى الامبراطورية البريطانية بعبارات مؤثرة ، ودموع غزيرة ... تلاه مستر ايمرى وزير الممتلكات البريطانية فقال :

« ان النظم والوسائل التى تتبعها الولايات المتحدة تهدف الى تمكين فائض الانتاج الامريكى من غزو العالم وتوطيد سلطان « أرباب المال الامريكى » وهدد ضمنا بما يمكن ان يثيره الاستعمار البريطانى فى العالم من متاعب فى وجه هذه المحاولة نتيجة « انعدام التعاون بين الدول لتحقيق مصالحها المشتركة » !

ثم أوضح اللورد « ملتون » عضو مجلس اللوردات سر هذه الثورة فى حديث له بجريدة التيمس فى ٢٤ يناير ١٩٤٧ ، قال :

« لقد كان مشترطا فى المفاوضات التى دارت بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ان تمنح الاخيرة امركا المركز التجارى الممتاز فى الامبراطورية البريطانية » !

لكن أمريكا مالكة أغلبية الاسهم فى «شركة العالم» لم تلبث أن اقتلعت فى طريقها هذه العاصفة ، كما اقتلع تشرشل نفسه ، ولم تلبث أن ظفرت بالمركز التجارى الممتاز ، لا فى الامبراطورية البريطانية وحدها ، بل فى كل الامبراطوريات ! لقد فرضت الاستعمارية الاميركية نفسها — فى نطاق الاستعمار الدولى — زعيمة ... وقائدة !!

لكن «الاستعمارية» ، كظاهرة تاريخية فى تطور المجتمع تحس بأنها تكاد تختنق داخل هذه البقية الباقية من الاطار القومى .. الاميركى .. الذى تعيش فيه ، انه الزنزانة الأخيرة التى تريد أن تنطلق منها «لتتحرر» بل لتتبلور فى الشكل الاخير الذى يحقق لها التمركز النهائى !

ان الاستعمارية فى هذا الطور الاخير لها تسعى جاهدة لمقاومة كل متناقضاتها بالهروب الى شكل جديد .. الى الصهيونية !!

ان الصهيونية هى أعلى مراحل الاستعمار .. وهذا ما نستخلصه من الترابط الوثيق بين سيطرة بضع عشرات من الاحتكارات الدولية على موارد العالم وثرواته من ناحية ، وسيطرة بضع عشرات من الصهيونيين على تلك الاحتكارات من ناحية أخرى !!

ولكن لا بد لنا من تفسير بالطبع .. فما هو ؟



نحو الصهيونية

قلنا فى فصل سابق بأن الاتجاه الى تدويل رأس المال قد ظهر فى أواخر القرن الماضى ، ولم يكن ذلك مجرد دعوة خيالية كتلك الدعوات التى قامت تبشر بالمساواة المطلقة ، قبل أن يرسى ماركس قواعد الاشتراكية العلمية .. نعم ، لم تكن الدعوة الى تدويل رأس المال حلما يتغنى به أحد شعراء الرأسمالية - الاستعمارية ، كلا !!

ولكنها كانت اتجاها ماديا يقتضيه التطور الطبيعى الذى انتهى اليه الاستعمار ... ولم يلبث هذا الاتجاه أن تحقق ، وكانت أول خطاه ذلك الاتفاق الذى عقده منتجو القضبان الحديدية فى انجلترا وبلجيكا والمانيا سنة ١٨٨١ - وكانت اذ ذاك أكثر الدول الصناعية تقدما - اذ اتفقوا على تنسيق العمل بينهم فى غرفة واحدة لاحتكار هذه الصناعة فى العالم بأسره ، ووقف حركة التنافس بينهم ، وقد انضمت فرنسا سنة ١٩٠٤ الى هذه الغرفة أو النقابة التى لم يتم فيها اندماج رأس المال اندماجا تاما كما يحدث فى الشركة الواحدة .

فاذا سلمنا بأن «الاقتصاد محرك التاريخ» ... واذا سلمنا بأن كل دعوة سياسية هى تعبير عن تطور مادى موجود فى المجتمع ، وبالتالى فان كل تطور مادى يقتضى حتما قيام الشكل السياسى أو الدعوة الفكرية التى تعبر عنه .. اذا سلمنا بكل هذه البديهيات أصبحنا أمام سؤال هام هو :

ما هى الدعوة السياسية التى صاحبت هذه الدرجة من درجات التطور التى بلغتها الاستعمارية ؟

اننا نفتش فى الاتجاهات السياسية التى ظهرت فى أواخر ذلك القرن وما تلاه من أعوام .. ونبحث عن الدعوة الفكرية أو السياسية التى يمكن أن تخدم هذا الاتجاه الجديد للاستعمارية ، فماذا نجد ؟

فى أواخر القرن الماضى ظهرت الدعوة الى الصهيونية !!

وفى سنة ١٨٨١ بالذات لمعت الدعوة للتكتل الصهيونى ، وبدأ الاستعداد للمؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد بعد ذلك بعامين !

واذا كانت الصهيونية - باختصار - هى الدعوة لسيادة «الجنس السامى» وتهيئته لحكم العالم ، على اعتبار أن هذا الجنس هو «شعب الله المختار» !

فهل كانت المصادفة البحتة هى التى جعلت فكرة اخضاع الشعوب لحكم أقلية من اليهود تصاحب الاتجاه الى اخضاع هذه الشعوب نفسها لسيطرة أقلية من ملوك المال ؟

وهل كانت المصادفة البحتة أيضا هى التى جعلت أول نشاط صهيونى يظهر فى نفس العام الذى تم فيه أول خطوة فى الاحتكار الاستعمارى عن طريق «تدويل» رأس المال ؟

لقد كانت الدعوة الصهيونية أكثر من مجرد أحلام وأطماع فردية ، تطوف بأذهان نفر من الخياليين .. فلم تلبث ان تألفت فى العام التالى - عام ١٨٨٢ - جمعية عشاق صهيون - التى ألفها الصحفى اليهودى «بيرنوم» - وأوفدت فى نفس العام أول دفعة من المهاجرين الى فلسطين وزودتهم بالمال اللازم لاقامة اول المستعمرات الزراعية قرب يافا حيث أطلقوا عليها اسم «ريشون ليزيون» - أى رواد صهيون - ولم تكن هذه الحركة حركة مشردين بؤساء من الطبقة العاملة اليهودية ، كلا ، فمن وراء هذا النشاط كان يقف البارون دى هيرش ، ثم البارون ادمون دى روتشيلد .. وكانا أغنى أغنياء العالم الى جانب أنهما أغنى أغنياء اليهود !!

لقد أنفق أولهما عشرة ملايين من الجنيهات فى سبيل ما سماه «توطين» اليهود فى الارجنتين وأمريكا ... بينما أنفق الثانى مع بقية أفراد أسرته ضعف هذا المبلغ على «توطين» اليهود أيضا فى شمال ، ووسط ، وجنوب أفريقيا .

وسنرى من سير الحوادث بعد ان هذا التوزيع لم يأت عفوا أو صدفة فقد كان اليهود اذ ذاك متغلغلين فى شرق أوروبا وآسيا ... وكان

المطلوب هو أن يتغلغلوا فى غرب أوروبا وبقية القارات الخمس !

فحتى عام ١٨٨١ كان عدد يهود العالم هو ٧٫٦٦٣٫٠٠٠ بينهم ٥٫٧٣٦٫٠٠٠ يعيشون فى روسيا وشرق أوروبا ... فبدأوا يهاجرون الى امريكا وأفريقيا ... حتى لقد تدفق منهم الى امريكا لغاية سنة ١٩٢٩ نحو ٢٫٨٨٥٫٠٠٠ يهودى ، واتجه ٢٢٠٫٠٠٠ يهودى آخرين نحو افريقيا وغرب أوروبا والى انجلترا بالذات .. وقد أصبح التوزيع الحالى لليهود حسب آخر الاحصاءات (١) ، هو ١٣ مليون ونصف مليون تقريبا موزعة على النحو التالى :

٦٫٥٠٠٫٠٠٠ يهودى فى امريكا ، وأغلبهم فى نيويورك وواشنطن
٢٫٠٠٠٫٠٠٠ يهودى فى اوروبا ، واغلبهم فى دول الشرق .
٢٫٥٠٠٫٠٠٠ يهودى فى أفريقيا ، وأغلبهم فى فلسطين والجزائر .
٢٫٥٠٠٫٠٠٠ يهودى فى بقية أنحاء العالم ، وأغلبهم فى آسيا بالذات.

ومن هذا الاحصاء يتبين أن امريكا وحدها تستوعب أكثر من نصف عدد اليهود فى الكرة الارضية .. فاذا عرفت أن تسعين فى المائة من هؤلاء الستة ملايين ونصف يهودى فى امريكا يستوطنون المدن الكبرى بالذات حيث يوجد منهم ٤٢ ٪ فى نيويورك وحدها ! واذا أضفت الى ذلك كله أن نسبة مستوى المعيشة لليهودى الامريكى تعادل مستوى معيشة عشرة من الامريكان المسيحيين مجتمعين ، أو نحو عشرين من الامريكان الزنوج ، أدركت مدى سيطرة هؤلاء اليهود على رؤوس الاموال الاميركية ، وبالتالى على السياسة الاميركية كلها ، وهو ما سوف نعود اليه بالتفصيل حالا ..

ومن احصائية توزيع اليهود فى العالم نرى أنهم اقليات ضئيلة جدا من حيث العدد ، ولكن اذا قسناهم بمدى سيطرتهم على رؤوس الاموال - فى أى بلد تقريبا - وجدناهم قوة رهيبة ، ذلك أن أصحاب رؤوس الاموال بطبيعتهم لا يستمدون قوتهم ونفوذهم بعدد أفرادهم ، بل بعدد

---

(١) احصاء تقريبى نشر عام ١٩٥٤

أموالهم ... فالرأسماليون أقلية ولكنهم يتحكمون ، واليهود هم أقلية الاقلية .. أو هم «الاقل» الذى يتحكم فى مجموع الاقلية !

وهذه الحقيقة البسيطة من حيث وضوحها ، الخطيرة من حيث دلالتها ، هى التى تحدد لنا طريق اتجاه الاستعمارية الى التغير النوعى الذى هو النتيجة الحتمية لكل تطور !

هذا التغيير النوعى المرتقب ... والذى ظهرت بذوره بالفعل ، يفتقر الى «أيدلوجية» جديدة ... الى أساس فكرى تتوكأ عليه لتمضى الى غايتها ، كما يتوكأ الطفل على «المشاية» حتى يتعلم المشى .

وقد رأينا «البورجوازية» فى مطلع ظهورها تضع الاساس «الايدولوجى» للشكل الذى تريد أن تتبلور فيه ... ولا شك أن «البورجوازية» هى التى وضعت بذرة المبادىء الوطنية ، وظلت ترعى هذا النبت الجديد ، طالما كانت تتغذى منه .. وكان شعراء البورجوازية وكتابها هم أول من تغنى بأنشودة الوطنية ، اذ كانت البورجوازية فى حاجة الى الوطن ... تماما كما كان السادة يتغنون — فى مرحلة العبودية — بالقبيلة ، والتعصب القبلى ... وكما كان الامراء — فى مرحلة الاقطاع — يتغنون بالفروسية ، والدم الازرق !

وقد ظلت «البورجوازية» تستخدم «المبادىء الوطنية» كقنطرة تعبرها الى مصالحها وأرباحها ، فلما احتاجت — فى تطورها — الى الفتح والاستعمار ، لم تعد الوطنية تعنى فى نظرها مجرد حرية الوطن أو استقلاله ... بل «نقحت» المبادىء الوطنية فجعلت لها معنى آخر هو سيادة الوطن على الاوطان الاخرى !! .. وظهرت للوطنية البورجوازية شعارات جديدة تمثل اتجاهاتها ... «الامبراطورية» الفرنسية ... وبريطانيا «العظمى» ... والمانيا «فوق الجميع» وايطاليا أيضا ... «فوق الجميع» !!

ثم جاء عصر الاحتكارات الدولية ... مرحلة تدويل رأس المال فبدأت (البورجوازية الاستعمارية التى تحولت الى استعمارية دولية)

تعزف لحنا جديدا ، أو تضع أسس أيدلوجية جديدة .. انها الاتجاه الاتحادى ... الاتجاه الى «العالمية الرأسمالية» التى بدأت أول تجاربها السياسية فى عصبة الامم ، وكانت من محاولاتها الفكرية المشهورة الدعوة الى اللغة الواحدة — الاسبرانتو — والدعوة الى «التعاون» الاقتصادى بالغاء الحواجز الجمركية ، وفتح الاسواق للجميع ... أى لجميع الاحتكارات العالمية على قدم المساواة !!

وهذه الدعوة العالمية ، التى تردد صداها بعد ذلك فى حركات بعضها خبيث وبعضها ساذج ... بعضها فى شكل «محافل ماسونية» أو «ديانة» بهائية وبعضها فى حركة «المواطن العالمى» أو فى كتاب «الزعيم» الاميركى ويندل ويلكى .. «عالم واحد» . وهذه العالمية الاستعمارية .. هى رد الفعل الطبيعى للاتجاهات الشعبية الصاعدة نحو العالمية الحقيقية ، العالمية المتحررة من الاستعمار والاستغلال ... تماما أيضا كما كانت الوطنية البورجوازية هى المقابل الطبيعى للوطنية الحقيقية التى تنبعث من وجدان الفلاحين «الاقنان» الذين حرمهم الاقطاع حتى حرية الانتقال من مكان لآخر فى الوطن الواحد !

ونعود الى موضوعنا الاول ، وهو ان الاستعمارية فى اتجاهها الاخير نحو التغير النوعى تحتاج الى «أيدولوجية» فما هى أيدولوجيتها التى تتناسب مع أقصى درجات التمركز النهائى ؟

انها الصهيونية ... انها احتكار الاحتكار .. واستعمار الاستعمار أو هى السيطرة الأعلى على سيطرة أقل درجة ... فالرأسمالية تسيطر على الشعب ، والاستعمار الفردى يسيطر على «بعض» الشعوب ، والاستعمار المتحد يسيطر على «كل» الشعوب . وأخيرا تجىء الصهيونية لتسيطر على الاستعمار المتحد !!

ان الصهيونية ... هى سيطرة رؤوس الاموال اليهودية على رؤوس الاموال العالمية كلها ، وهذا التعريف يحدد نوع الايدولوجية التى تحتاج اليها الاستعمارية فى تغيرها النوعى المرتقب !

ونحن اذ نقرر ان الاساس المادى للصهيونية — فى تطور المجتمع —

هو أنها رأس الرمح فى الاستعمارية الدولية .. نحن اذ نعرف الصهيونية بأنها أعلى مراحل الاستعمار ..

نحن اذ نفعل هذا ، ندعو كل من لا يرتاح الى هذا التحليل ان يقدم لنا تحليلا ديلكتيكيا آخر ، للاساس المادى للحركة الصهيونية ، اذ لابد لكل حركة سياسية بل لكل حركة فكرية من اسباب مادية منبعثة تلقائيا من تطور المجتمع العالمى ..

ولا شك أن مما يسهل للمتأمل أو المحلل مهمته ، ان نستعرض فى الصفحات التالية تاريخ الدعوة الصهيونية ، وفلسفتها ، وأهدافها ، والخطوات التى تمت حتى اليوم فى مجال النشاط الصهيونى ...

من التوراة الى التلمود

استهدف اليهود منذ نشأتهم للحقد الطبيعى الذى تشعر به الشعوب نحو مستغليها ، اذ يسجل تاريخهم حقيقة لا يستطيع أحد أن ينكرها ، وهى أنهم كانوا منذ خروجهم من أرض مصر قبل أربعة آلاف سنة ـ غزاة ، اتجهوا أول ما اتجهوا الى أرض كنعان للاستيلاء عليها وطـرد أهلها ، وكان القادة المغامرون لهذا الجيش لا يفتأون يغـذون روح العدوان والاغتصاب والسرقة فى نفوس جنودهم بتعاليم لها طابع دينى حتى تصبح لها قداستها !

ومن السهل أن يبرر هذا «الخروج» بأنه كان نتيجة للطغيـان الفرعونى ... وأنها كانت حركة ثورية تستهدف تحرير العبيـد من السخرة التى أثقلت كاهلهم ، لكن الرد على هذا أسهل فلم تكن السخرة وقفا على «الاسرائيليين» وحدهم فى ذلك الحين بل كانت هذه السخرة سمة النظام العبودى ، سواء فى حكومة «الفرعون» المستبد أو غيرها من حكومات الملوك السفاحين الذين قامت عروشهم على جماجم العبيد فى تلك العهود ، ولم تكن «أيدولوجية» النظام اذ ذاك تفرق بين المواطن او الاجنبى ، فالتقسيم المعروف اذ ذاك ، هو سادة وعبيد ... وكثيرا ما يصل العبد الذكى الى الاندماج فى السادة انفسهم فيصبح واحدا منهم ، ومع أن هذه الامثلة لم تتكرر كثيرا ، الا أننا نجد أقرب مثالين لها ، كانا من هؤلاء الوافدين على مصر بالذات ، فأولهم وهو ـ يوسف ـ اشتراه فرعون مصر عبدا فلم يلبث أن عينه وزيرا للمال ، وآخرهم وهو ـ موسى ـ لم يلبث ـ رغم أنه من هذه القلة الوافدة ـ أن أصبح قائدا كبيرا فى بلاط فرعون ، يعهد اليه بحملات الفتح والغزو!

واذا كانت ثمة نزوة مجنونة قد تملكت ذلك الفرعون كما يقال فاتجه الى ذبح «المولودين» الذكور من بنى اسرائيل فما كان ذلك الا رد الفعل للنبوءات والشائعات التى كانت هذه (الجالية) ترددها ، عن

ظهور «ملك» من بينهم يستل العرش من ذلك الفرعون المصرى..وما كان فرعون المجنون ليتردد فى ذبح مواليد المصريين أيضا لو تملكه الوهم ، ان يخرج من بينهم من يقضى عليه !!

ان استبداد الفرعون وطغيانه اذ ذاك لم يكن يفرق بين العبيد المصريين والعبيد الاسرائيليين .. ولعل الاصوب ان بعض الكهنة والرؤساء كانوا يخافون هذه القلة الغريبة عنهم ، لا سيما وهى تتهامس بعقائد وغيبيات لا تتفق وعقائد وغيبيات اولئك الكهنة والرؤساء ، ولعل هذا الخوف أيضا كان يجعل وطأتهم على هذه القلة أشد درجة من وطأتهم على سائر العبيد المصريين ..

ولا شك عندى أن موسى شخصيا كان ثائرا يهدف الى التحرر من السيطرة الاستبدادية ، وأن جريمة قتل «المقدم» المصرى التى ارتكبها كانت تعبيرا عن ذلك الاتجاه فى نفسه ، وكان انتمائه الى هذه الاقلية ، وما أوحته اليه قصة انتشاله من النهر ... كل ذلك جعله يتجه فى ثورته ذلك الاتجاه «القبلى» فاقتصرت دعوته على تحرير «بنى اسرائيل» دون سائر العبيد الذين يتلظون فى جحيم فرعون .

وقد آمن موسى على كل حال بهذه الرسالة ــ رسالة اخراج بنى اسرائيل من أرض مصر ــ بعد الرؤيا التى أوحت اليه بهذا الاتجاه وهو يرعى غنم حميه شعيب أو (يثرون) فى أرض مدين ..

والحركة الموسوية جديرة بالاعجاب ولا شك ، وليس من العدل أو الانصاف أن نقيسها بمقاييسنا الحاضرة ، وننسى أن أربعة آلاف سنة أو يزيد ، تفصل بيننا وبين ذلك التاريخ فعلينا أن نجعل ذلك فى اعتبارنا ، حتى نضع كل شىء فى مكانه .. فى الميزان الصحيح ..

«والتوراة» هى السجل التاريخى (لثورات) بنى اسرائيل ، ومن ثورات اشتقت كلمة (توراة) .

واذا كانت «التوراة» قد كتبت بعد وفاة موسى بسبعمائة سنة على الاقل ــ وهذا ثابت تاريخيا ــ ففى استطاعتنا أن نقرر بكل اطمئنان ، أن اكثر ما تضمنه من وقائع وقواعد وتعاليم قد صب فى القالب الذى

يتلاءم مع الظروف التى كتب فيها بلا جدال .

ولا أستطيع أن أتصور .. ولا أريد أن أصدق ما ينسب الى موسى مثلا من أنه طلب الى «بنى اسرائيل» فى ليلة الخروج أن ينهبوا المصريين وأن يستولوا على أكثر ما يستطيعون من نقودهم ، ومصوغاتهم ، تحت ستار الاقتراض حتى يأخذوه معهم فى المهجر الجديد الذى يشدون الرحال اليه فى فجر اليوم التالى !

انما صيغت هذه (التعاليم) بوحى حفنة من القواد الطموحين الذين خلفوا موسى ورأوا أن يستغلوا سخط العبيد الاسرائيليين فى تسخيرهم لاقامة عروش يتربع عليها أولئك القواد .. من امثال يشوع بن نون !

وقد كتبت التوراة أساسا لاولئك الجنود من العبيد الاسرائيليين .

ومن هنا نجد التوراه تصف الله دائما بأنه «رب الجنود» .

ومن هنا نجد التوراه دائما تستثير حماسة أولئك الجنود ، وتقوى معنويتهم بشعارات عنصرية ، قبلية ، كتذكيرهم بأنهم الشعب المختار . نسل ابراهيم ، الذى ورثه الله الارض وما عليها !

ومن هنا كذلك نجد التوراه دائما تتكلم عن الحرب العدوانية .. عن الغزو ، وما يحتاج اليه الغزو من قسوة وقطاعة وارهاب ..

«أن لم تطردوا سكان الارض من امامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ، ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الارض التى انتم ساكنون فيها »

عدد ح ٣٣ ع ٥٥ و ٥٦

«لا ترهب وجوههم لان الرب الهك فى وسطك اله عظيم ومخوف ، ولكن الرب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلا قليلا .. لا تستطيع ان تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية .. ويدفع الرب الهك امامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا ، ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء »

تثنية ح ٧ ع ٢١ ـ ٢٤

«حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى

الصلح ، فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعوب الموجودة فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتاكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك .. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الامم هاهنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة واحدة » .

تثنية ح ٢٠ ع ١٠ ــ ١٧

« ان الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : كل موضع تدوسه بطون اقدامكم لكم اعطيته كما كلمت موسى .. من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحيثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » .

يشوع ح ١ ع ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧

« وفى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » .

تكوين ح ١٥ ع ١٨ ــ ٢١

« متى اتيت الى الارض التى يعطيك الرب الهك وامتلكتها وسكنت فيها فان قلت اجعل على ملكا كجميع الامم الذين حولى فانك تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب الهك .. من وسط اخوتك تجعل عليك ملكا » .

تثنية ح ١٧ ع ١٤ ــ ١٦

وهذه الآيات تضىء لنا الطريق اذا اردنا كشف الظروف التى كتبت

فيها التوراة ، والدوافع الحقيقية لمثل هذه التوجيهات التى جعلت من الله قائدا اعلى لجيش بنى اسرائيل يرسم له الخطط ، ويشرح له التفاصيل الدقيقة ، عن الطريقة التى يحاصر بها أريحا ، [illegible] يغزو بها ارض كنعان كلها ، والويل لمن لا يستسلم لهذه الغزوات [illegible] (رب الجنود) لم يكتف بهلاك ٣٣ ملكا من خصومهم بل واباد شعوبهم كلها لأنها قاومت زحف اسرائيل عليها !!.. ولا حيلة لنا فى تفسير تلك « الآيات » على هذا النحو ، فقد كان هنالك على مر التاريخ الاسرائيلى عدد من المتفقهين من اذكاء هذه الروح العدوانية ، فثانى الكتب المقدسة عند اليهود هو «التلمود» .

وبالرغم من أن التلمود كتب بعد نحو الفى عام من التوراة الا أننا نجد روح العدوان أشد وأقوى فى التلمود أيضا .

نفس الاتجاهات العنصرية ... ونفس الدعوة الاستعمارية للشعوب الاخرى ... ونفس التحريض على القتل والارهاب وارتكاب كل جريمة فى سبيل سيادة بنى اسرائيل .

ويهمنا قبل أن نستعرض بعض آيات «التلمود» أيضا ، أن نعرف شيئا عن الظروف التى كتب فيها ..

* * *

لم يستتب الامر للاستعمار الرومانى فى بلاد اليهودية الا بعد مجازر رهيبة ، واضطر المستعمرون الرومان الى اعدام آلاف الثوار الذين حاولوا التمرد على الرومان الغزاة ... وبينما كان الشعب اليهودى يقاوم المستعمرين ببسالة ، طعنه قادته من الكتبة والفريسيين من الخلف خانوه وتعاونوا مع المستعمر ، ولا عجب فهم حفنة الاقطاعيين وعملائهم من الكهنة ورجال الدين !

وكانت حركة المسيح أيضا هى ثورة الشعب اليهودى ضد الاستعمار الرومانى .. وكانت فى تكتلها السلمى أعظم تعبيرا عن ثورة مكبوتة لشعب يعيش فى أشد حالات الارهاب والخوف والفزع .. ان الدين الجديد هو التعبير الرمزى عن ارادة العقل الباطن للشعب فى ذلك الحين .

وكان الرومان المستعمرون ينظرون بقلق الى هذه الحركة الجديدة ولكنهم لا يجدون مأخذا واحدا يجعلونه سببا للبطش بها فسلطوا على هذه الحركة الشعبية وكلاؤهم الخونة .. سلطوا الكتبة والفريسيين واذنابهم من كهنة المعابد اليهودية للايقاع بالسيد المسيح ، فكانوا يسعون لاستفزازه لحساب السلطة الرومانية المستعمرة !

وكان وكلاء الاستعمار الرومانى أشد حماسة منه فى التجسس على حركة المسيح ومتابعتها بعيونهم والتآمر عليها ، ولا عجب فقد كانت المسيحية هى أيضا حركة الفقراء ضد الاغنياء .. أو هى حركة المستغلين ضد الصيارفة والعشارين والمرابين ، من تجار اليهود !!

واكثر ما جاء فى الانجيل يؤكد هذا التحليل ..

((أترك مالك واتبعنـا))

((لا يدخل الغنى الجنة قبل أن يدخل الجمل من سم الخياط)) .

((طوبى للمساكين بالروح ...))

وقد ندد المسيح بارستقراطية هذه الطبقة المستغلة من الطائفـة اليهودية التى كانت تضع نفسها فوق عامة اليهود . طائفة الفريسيين التجار ، والصدوقيين الملاك !

وكان دقيقا فى وصف أرستقراطيتهم ، كما جاء فى الانجيل اذ يقول: «ويعظمون أهداب أثوابهم ، ويحبون المتكئات الاولى فى الولائم ، والمجالس الاولى فى المجامع ، والتحيات فى الاسواق ، وان يدعوهم الناس سيدى ... سيدى» .

وقد أنذرهم مرارا بالمصير الذى ينتظرهم «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين» ... ثم يواجههم بالاتهام اذ يقول لهم : «لانكم تأكلون بيوت الارامل» !!

ولايذكر تاريخ المسيح كله أنه استخدم العنف الا معهم فلم يكتفه بأن وصفهم بأنهم «الحيات أولاد الافاعى» بل أنه ذهب فى الهجـوم عليهم الى أبعد من هذا ، ففتل حبلا وانهال به على التجار الذين يبيعون بضائعهم فى طريق الهيكل كما قلب موائد الصيارفة والمرابين وهو يقول

لهم غاضبا : «لا تجعلوا بيت أبى تجارة» !!

كانت حركة المسيح هى بداية انفجار لثورة الشعب الذى كبت المستعمر حريته بالارهاب الدموى ، فلم يسعه الا أن ينتظر ظهـور «المخلص» أو المنقذ من عند الله ، ويعلل بعض مفسرى الاناجيل مقابلة الشعب للمسيح بالازدراء فى بادىء الامر رغم انتظار ظهوره **بانهم كانوا يظنون ان المخلص الذى سيجيئهم بعد موسى ، سوف يطرد الاستعمار الرومانى ، ويقيم مملكة على الارض ، بينما كانت المملكة التى اعدها لهم المسيح فى السماء !!**

والحق ان المسألة لم تكن بهذه السهولة ، ولم يكن ثمة سبيل امام هؤلاء الذين استعبدتهم الامبراطورية الرومانية سوى محاربة الطغيان بهذه «التعبئة الروحية» التى أعلنها المسيح كخطوة أولى على الاقل .

والمهم أن المسيحية كانت تعبيرا عن ارادة الشعب اليهودى ــ وكان اذ ذاك شعبا بالفعل ــ لكن هذا التعبير كانت تنقصه الوسيلة المادية فاكتفى بانتصارات روحية .. وكان أول مظاهر التعبير عن الرغبة فى التحرر هو الوصف الجديد للنبى فاذا كان موسى فى التوراة هو «خادم الرب» فالمسيح فى الانجيل هو «ابن الله» !!

هذا الفارق الذى يبدو بسيطا ، انما يدل فى رأيى ، على الامل الذى كانت تجيش به الصدور اذ ذاك ، أمل التحرر من العبودية التى يعيشون فيها .

وبينما كان الشعب اليهودى يمضى وراء المسيح ، أفرادا وجماعات.. كان الكتبة والفريسيون يدبرون المؤامرات مع الحكام ورجال الاحتلال الرومانى ضد الحركة الشعبية الجديدة ، وكانت المؤامرات كلها تدبر فى اتجاه واحد ، هو اعطاء سلطة الاحتلال فرصة قانونية ضد القائد الشعبى الذى يوشك أن يجمع الجماهير اليهودية مرة أخرى

فيرسل المتآمرون من يسأل المسيح هل يعطون الجزية لقيصر أم لا؟ .. حتى اذا قال لا ، كان ذلك سببا كافيا للقبض عليه بتهمة التحريض على العصيان المدنى !

ويرسل المتآمرون من يسأل المسيح هل يرجمون « مريم المجدلية » كما تقضى شريعة موسى فى الزنا أم لا ؟ ... حتى اذا قال لا كان ذلك سببا كافيا للقبض عليه أيضا بدعوى أنه يدعو ضد الشريعة !

وكان بيلاطس الذى يحكم بلاد اليهودية باسم الاستعمار الرومانى حصيفا حقا ... فلم يشأ أن يظهر بمظهر المقاوم للدعوة المسيحية الجديدة حتى لا يثير كراهية الشعب الملتف حولها ضد الدولة الرومانية، بل فعل ما يفعله غلاة المستعمرين الانجليز حين يفرقون بين أفراد الشعب الواحد ... لقد ترك مهمة المقاومة للاقطاع اليهودى ، وجهازه الدينى من كهنة الكتبة والفريسيين ... فتركهم يقاومون المسيح ، ويحاكمونه ، ويطلبون صلبه ، وظل حتى آخر دقيقة يعرض على المتآمرين واتباعهم أن يعفو عنه !

ومن السذاجة أن تفسر تآمر الكهنة اليهود على السيد المسيح بأن الدافع لها كان مجرد الخوف من منافس قوى يوشك ان يحتل مكانتهم .. فربما كان هذا هو أحد العوامل المشجعة فقط ، بدليل أن اضطهاد المسيحيين قد استمر بعد المسيح أيضا ، وظل كهنة اليهود وأغنياؤهم يتآمرون مع الاستعمار الرومانى على الشعب المتكتل تحت الراية الجديدة ، فقتلوا واعدموا مئات الشهداء المعروفين فى تاريخ المسيحية .. اسطفان ، ومار يعقوب ، ويوسف الصالح ، وكليوفاس وتيمون وماترونا وغيرهم ...

وكلما اشتدت حركة المقاومة الشعبية التى كانت تعمل ضد الاستعمار والطغيان تحت راية المسيحية ، كانت مؤامرات الاستعمار وصنائعه من كهنة اليهود تتخذ طابعا اكثر اجراما ووحشية فأطلقوا يد أتباعهم ومأجوريهم لمذابح رهيبة راح ضحيتها مئات الالوف من الثوار المسيحيين .

فى سنة ٥٢٤ جرد «ذو نواس» أحد ملوك الحميريين اليهود حملة ارهابية ضد الثوار المسيحيين فقتل منهم آلاف الشهداء

وفى سنة ٦٠٨ هجم المتآمرون فى انطاكية على عدد من أولئك الثوار فلم يكتفوا بقتلهم بل حرقوا جثثهم حرقا ...

وفى سنة ٦١٤ تعاون المتآمرون من كهنة اليهود مع المحتل الجديد — أحد ملوك فارس — فهبوا بقيادة « بنيامين الطبراوى » فذبحوا آلاف الشهداء المسيحيين الذين تصدوا للمحتل ..

سلسلة متصلة من المعارك التى خاضها تجار اليهود وكهنتهم ضد الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها ... سواء كانت هذه المعارك لحساب أولئك اليهود المنتفعين وحدهم ، أو لحسابهم وحساب سادتهم المستعمرين كشركاء فى استغلال وامتصاص الشعب .. باسرائيليه ومسيحيه !

وقد كتب التلمود بعد نحو مائتى سنة من استشهاد المسيح ... أى فى عنفوان هذه المعارك ، فكان دعوة جديدة للتعصب ... انه اسوأ وأقبح تفسير للتوراة ، وللشريعة الموسوية !

والتلمود هو مجموعة التعاليم والشرائع التى قالها وسنها رؤساء الدين من كبار الحاخامات وعلى رأسهم يهوذا الرئيس ، وقد خشى الحاخام « يوضاسى » ان تضيع هذه التعاليم والشرائع فجمعها فى كتاب سماه « المشنا » — وهى كلمة عبرية تعنى الشريعة — ثم علق رجال الدين اليهودى على هذه التعاليم محللين ومفسرين بحواشى كثيرة وشروحات وافية جمعت أيضا فى كتاب سمى « غاماراه » وقد كونت المشنا مع غاماراه كتاب «التلمود» وهى أيضا اختصار عبرى لجملة « تعاليم ديانة وآداب اليهود »

وقد عثر على نسختين أصليتين من التلمود ... وجدت الاولى بفلسطين عام ٢٣٠ ميلادية وسميت « تلمود أورشليم » ووجدت الثانية فى العراق سنة ٥٠٠ ميلادية وسميت « تلمود بابل »

وقد ظلت هذه التعاليم التى تضمنها التلمود سرا يتبادله الحاخامات اليهود وسادتهم ، جيلا بعد جيل .. حتى اجترأ بعضهم فى القرن التاسع عشر على نسخ هذه التعاليم وترويجها فى نطاق أوسع .. وهو ما سنعود الى الحديث عنه

ولنقف أولا لنرى كيف يدعو « التلمود » فى صراحة لا تحتمل التأويل الى التعصب والقيصرية وسيادة السامية على سائر المخلوقات .. ونحن نستعمل كلمة « المخلوقات » هنا بدلا من كلمة « البشر » مثلا ،

لأن التلمود يعتبر اليهود وحدهم هم البشر وما عداهم فمجرد حيوانات!

والتلمود يصف اليهود بأنهم نسل ابراهيم ، وباقى الامميين ـ جمع أمة ـ نسل نوح ... وابناء ابراهيم ـ أى اليهود ـ هم ابناء الله وأحبائه ، وهم «شعب الله المختار» وفى كتاب التلمود بالنص

« اليهود أحب الى الله من الملائكة ، وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه » ، فمن يصفع اليهود كمن يصفع الله » !

وجاء فى التلمود « سنهدين ص ٥٨،٣٢ »

اذ ضرب اممى اسرائيليا فالاممى يستحق الموت !

وفى التلمود أيضا ، انه اذا

لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الارض ولما خلقت الامطار والشمس ، ولما أمكن باقى المخلوقات أن تعيش والفرق بين درجة الانسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وباقى الامميين !

بل وجاء فى تلمود أورشليم بالحرف « ص ٩٤ »

ان النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هى نطفة ... حصان !

وفى التلمود « يباموت البند ٦ »

ان اليهودى يتنجس اذا لمس القبور وفاقا للتوراه ما خلا قبور من عداهم من الامم اذ كانوا يعدونهم ـ بهائم ـ لا أبناء آدم !

ويعتبر التلمود أيضا

الاجانب ـ اى غير اليهود ـ كلابا لانه مذكور فى سفر الخروج (١٢،١١) ان الاعياد المقدسة لم تجعل للاجانب ولا للكلاب !

وفى تفسيرات للرابى موسى بن نعمان ، والحاخام رشى لعبارة سفر الخروج

« ان الكلب أفضل من الاجنبى لانه مصرح لليهودى فى الاعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الاجنبى ، او يعطيه لحما بل يعطيه للكلب »

ويقول الحاخام (باربانيل) « الشعب المختار فقط يستحق الحياة الابدية ، واما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير »

ويقول الرابى مناحم « أيها اليهود انكم من بنى البشر لان أرواحكم مصدرها روح الله ، واما باقى الامم فليست كذلك لان أرواحهم مصدرها الروح النجسة» !

ويقول الحاخام «أربل» أن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة ، واذا كان الاجنبى ـ أى غير اليهودى ـ « قد خلق على هيئة الانسان فما ذلك الا ليكون لائقا لخدمة اليهود التى خلقت الدنيا لاجلهم ! »

ولم تأت هذه العنجهية العنصرية فى التلمود عفوا ، بل كانت الاساس الذى ترتكز عليه الدعوة العدوانية الاستعمارية لقادتهم المغامرين من تجار ووسطاء ، فقد شرع التلمود لليهود حقوق امتلاك الارض وما عليها دون سائر البشر . يقول الرابى «اليو» :

ـ سلط الله اليهود على اموال باقى الامم ودمائهم !

وفى التلمود ما يفسر هذه العبارة .. هكذا

« اذا سرق أولاد نوح ـ اى غير اليهود ـ شيئا ولو كانت قيمته طفيفة جدا يستحقون الموت لانهم قد خالفوا الوصايا التى أعطاها الله لهم ، واما اليهود فمصرح لهم أن يضروا الاممى لانه جاء فى الوصايا « لا تسرق مال القريب » ... وما دام موسى لم يكتب فى الوصية « لا تسرق مال الاممى » فان سلب ماله لا يخالف الوصايا ... حسب راى علماء التلمود !

ويفسر « ميانود » آية (لاتسرق ان السرقة جائزة من الاتباع)

بان الانسان المقصود هو اليهودى دون سواه اما من عداه فمن الجائز سرقته !

وجاء فى التلمود

ان مثل بني اسرائيل كمثل سيدة في منزلها، يستحضر لها زوجها النقود فتاخذها بدون ان تشترك معه في الشغل والتعب !!

وجاء في التلمود أيضا

ان الرابي صموئيل أحد الحاخامات المهمين كان رأيه ان سرقة الاجانب مباحة ، وقد اشترى هو نفسه آنية من الذهب كان يظنها الاجنبي نحاسا ، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهما آخر من البائع !

واشترى الرابي كهانا مائة وعشرين برميلا من النبيذ ولم يدفع للاجنبي الا ثمن مائة منها فقط !

ويبرر التلمود غش غير اليهود صراحة اذ يضع لهم هذا التشريع وهو

« يلزم ان تكون طاهرا مع الطاهرين ودنسا مع الدنسين » !

وجاء في التلمود

ان الله لايغفر ذنبا ليهودي يرد للامي ماله المفقود، وغير جائز رد الاشياء المفقودة من الاجانب

(سنهدرين ص ٦٧)

وهذه النزعة الى السرقة والاغتصاب التي أسسوها على عقيدة دينية هي أن الارض وما عليها من خيرات هي من اليهود واليهم .. هذه النزعة تجر بالطبع الى نزعة أخرى هي العدوان ، والقتل ، والارهاب ... ضد غير اليهود بطبيعة الحال !

يقول التلمود في صراحة

« اقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودي ان ينجي احدا من باقي الامم من هلاك او يخرجه من حفرة يقع فيها لانه بذلك يكون حفظ حياة احد الوثنيين » !

وفي صحيفة أخرى من التلمود

« اذا وقع احد الوثنيين في حفرة يلزمك ان تسدها بحجر » !

ويقول التلمود ايضا

« من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لان من يسفك دم الكافر يقرب قربانا لله »

لكن التلمود الذي أباح سرقة غير اليهودي ، بل وحرض على قتله أيضا ... هذا التلمود ما كاد يتعرض لعلاقة اليهودي الكادح باليهودي الغني المستغل ، حتى حذر الفقير من الطمع ، وأوصاه بالقناعة وتقوى الله ويقول ربي طرفون بالحرف الواحد (١) .

« العمال كسالى رغم أن الاجر وافر » ويقول ايضا « ان سيدك سيكافئك بامانة على عملك . ولكن اعلم ان مكافاة الرجل الصالح ليست في هذا العالم ! »

وبعد ، فان الذي يعنينا أن نلفت النظر اليه بعد هذه المنتخبات التي قدمناها لبعض آيات التوراه ... ولبعض تعاليم التلمود ... الذي يعنينا أن نلفت النظر اليه هو ان هذه المنتخبات ليست من عندياتنا وتفسيرها على هذا النحو ليس من اجتهادنا ... كلا ولكنها أيضا من اختيار الصهيونية ومن تفسير فلاسفتها ودعاتها !

---

(١) مواعظ الآباء

اليهودى واليهودية

يقول زعيمهم المعروف سوكولوف عن « الصهيونية فى التوراة »

« أن أهم أهداف موسى هو تامين مستقبل الامـة اليهودية والاستيلاء على أرض الميعاد الى الابد ... ولا سبيل الى المكابرة فى هذا ... عبثا يحاول بعض اليهود اقناعنا بان « اليهودية » ليست امة بل مجرد دين .. فما عساه يكون الدين اليهودى اذا كانت التوراة لا تعتبر فى نظر اليهودى وحيا منزلا من عند الله ؟ .. من المضحك المبكى أن نرى يهودا معترفين بوحدانية الله يقولون نحن المان أو هنغاريين !! اذا لم يكن هذا هو الكفر فانه ولا شك سخرية .

لا يمكن فصل الدين اليهـودى ما لم تظهر توراة جديدة » !

واذا كان « سوكولوف » اليهودى الصهيـــونى يجزم بأن الدين اليهودى لا يمكن فصله عن الطائفة اليهودية على أساس دينى فان « كارل ماركس » اليهودى المتحرر من كل نزعة عنصرية يقطع أيضا بأن الطائفة اليهودية لا يمكن فصلها عن الدين اليهودى ولكن على أساس دنيوى !.. اذ يقول فى كتابه « المسألة اليهودية[1] » بالحرف الواحد « لم يستطع المجتمع البورجوازى اقناع اليهودى بخيالية جوهره الدينى الذى ليس هو على وجه التدقيق الا المفهوم المثالى للمنفعة العمليـــة ، ولا نجد جوهر اليهودى المعاصر ــ اذن ــ فى التوراه والتلمـــود وحسب ، بل نجده فى المجتمع الحالى ، وليس هو جوهر مجرد ، بل هو جوهر عملى مطلق ، وليس بمثابة حدود اجتماعية لليهودى وانما بمثابة حدود يهودية للمجتمع » !

---

(١) ترجمة محمد عيتانى - بيروت

والحق ان اليهودية — كأيدولوجية — تمثل اتجاها تاريخيا حقيقيا فى تطور المجتمع ، فهى التعبير الفلسفى لمصالح تلك القبائل المتنقلة التى سبقت غيرها الى أسواق التجارة العالميـة ، فكان كبراؤها هم الرواد الأوائل للبورجوازية .. كانوا طليعة النظام الرأسمالى ، فكانوا حتى ذلك الوقت يمثلون القوى الصاعدة فى التطـور ، ثم لم يلبثوا أن أصبحوا — بنفس الوضع — فى طليعة القوى المناهضة للتطور ... المناهضة للمجتمع

يقول كارل ماركس أيضا فى كتابه ذاك — المطبوع سنة ١٨٨٤ — وبالحرف الواحد :

« نحن نقر بأن فى اليهودية عنصرا عاما وحاليا مناهضا للمجتمع ، وهو عنصر دفع بالتطور التاريخى الذى ساهم فيه اليهـود من هذه الناحية السيئة مساهمة نشيطة الى نقطة الأوج فى الزمن الحاضر » .

وقد يسأل البعض لمـاذا نقيم كل هذا الوزن لأثر الأيدولوجية اليهودية فى التطور ، بينما هى كأيدولوجية قد انهزمت أما الأيدولوجية المسيحية مثلا ؟

والجواب على هذا سهل ، نجده فى كتاب كارل ماركس أيضا ، وبتحليله العميق ، اذ يقول :

« لم تتغلب المسيحية المثالية على اليهودية الواقعية الا فى الظاهر ، فقد كانت المسـيحية أكثر سموا ، وأكثر روحانيـة ، من أن تلغى وحشية الحاجة العملية الا بتصعيدها فى ضباب أثيرى ! »

وفى تحليل ماركس ما يفسر هذا الكلام أيضا ، اذ يقول فى موضع آخر من كتابه :

« فاليهودى مثلا — الذى لا يحسب له حساب فى فينا هو الذى يقرر — بقوته المالية — مصير النمسا كلها ، واليهودى الذى قد يكون فى أصغر الدول الألمانية محروما من الحقوق ، هو الذى يقرر مصير أوروبا بأجمعها » !

وهكذا لم يستعمل ماركس كلمة الصهيونية أو الصهيونى قط ،

لأن الصهيونية — كمذهب سياسى — لم تكن قد ظهرت بعد ، ومن ناحية أخرى ، لأن « اليهودية » هى الأصل والأساس ، فمن طبيعـة تركيبها المادى ، والتاريخى ، والفلسفى تنبثق النزعة الصهيونية ، بعد أن تتفاعل هذه « اليهودية » مع التطور العام للمجتمع ... .

واليهودية تختلف اختلافا جوهريا عن سائر الديانات القـديمة والحديثة ، فهى ليست مجرد عقائد غيبية ، أو دعوة للتوحيد ، ولكنها تحمل فى صلبها جراثيم المذاهب الاستعمارية .. فالتعصب والعدوان ، والاغتصاب ، والتحكم ، كانت الأهـداف الأساسية لتلك القبـائل العبرانية القديمة أينما حلت ، وحيثما ارتحلت !

ليست اليهـودية اذن مجرد دين ... كلا ، انما هى منهج طبقى لأسوأ ما عرفه التطور من ألوان الاستغلال ووسائل الربح ، ولعـل هذا هو ما جعل كارل ماركس يقول :

« المـال هو اله اسرائيل الجشع ، وأمامه لا ينبغى لأى اله أن يعيش ... ان المال يخفض جميع آلهة البشر ويحولها الى سلعة » .

وهذا التعريف الذى يطلقه ماركس هو تحليل علمى دقيق ... هو الخلاصة التى نصل اليها اذا استعرضنا تاريخ اليهود ، منذ كانوا مثل سائر القبـائل المتجولة ، قبيل مشرق الحضـارات الأولى على ضفاف النيل والفرات ، يشتغلون بمبادلة السلع التجارية ، والتنقل بها بين مختلف الاسواق فوق ظهور الجمـال ... الى أن تم لهم اتخاذ مركز تجارى ثابت فى منطقـة تتوسط هذه الاسواق ، وتلتقى فيهـا القوافل التجارية القادمة من فارس الى مصر ، والذاهبة من الشام الى الهند ، وما يؤدى اليه هذا التلاقى من تنشيط الحركة التجـارية بين أكبر قارتين فى ذلك الحين ... آسيا وافريقيا .

وكانت بلاد الكنعانيين — فلسطين — هى ذلك المركـز الذى اختاره العبرانيون ليكون مقرا دائما لاقامتهم ... والواضح هنا ان اسم «العبرانيين» مشتق من صفتهم الغالبة اذ ذاك .. صفة «العبور»

من مكان الى مكان ، وليس نسبة الى « عابر » أحد أحفاد ابراهيم كما يقول بعض المؤرخين .

ففى سنة ١٠٢٠ قبل الميلاد استطاعوا بقيادة « شاؤول » احتلال فلسطين بعد قتل جالوت ملك الكنعانيين ، وتنصيب شاؤول هذا ملكا عليها !

ومن بعده ، تولى عرش اليهود — فى فلسطين — الملك داوود فالملك سليمان ... ومع ذلك فلم يدم استيلاء اليهود على فلسطين سوى تسعين سنة فى كل التاريخ ، فما أن توفى الملك سليمان حتى انشطرت المملكة الى شمال وجنوب حوالى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد ، ولم يلبث « بختنصر » ان قوض تلك المملكة اليهودية ... ونقل اكثر رعاياها الى بابل .

ولم يكن بختنصر الكلدانى وحده هو الذى دمر تلك المملكة ، بل أن كثيرا من الملوك الذين تعاقبوا على مر العصور ... كانوا يهاجمونها لشهرتها كمنطقة غنية بأولئك التجار الأثرياء ، مما جعل هؤلاء يهربون منها الى بلاد أخرى ... كمصر وقبرص والشام وبلاد الاغريق ... والرومان .

وقد انتشر أولئك الأثرياء — من تجار اليهود — فى مختلف العواصم كمهاجرين ... وكانوا على من العصور يحرصون على التكتل معا فى احياء واحدة ، ولا عجب فقد كانت مساكنهم هى أيضا بورصاتهم وأسواقهم فى ذلك الحين ، وبالتالى فان لهم فى هذا التكتل مصلحة مادية ... لهم فى هذا التكتل منافع وأرباح !

ولم تبق فى فلسطين سوى الطبقة الدنيا من اليهود ... أولئك الفقراء الذين واجهوا الغزاة والفاتحين ، واصطلوا وحدهم بجحيم الاستعباد !

وفى الوقت الذى كان هذا الشعب اليهودى الفقير ينقرض تحت وطأة الظروف القاسية ، والفتوحات الدموية .. والمجازر الارهابية ،

فى الوقت الذى كان الشعب اليهودى الفقير ينقرض ويتبخر فى أسوأ ظروف الجوع ، والحرمان والذل ... فى ذلك الوقت نفسه ، كان تجار اليهود ، ينتشرون فى أنحاء العالم ، يصل بعضهم الى نابولى ومارسيليا ، ويتوغل بعضهم نحو الهند والصين .

وكانت الخبرة التجارية الواسعة التى توارثها أولئك اليهود المهاجرون أبا عن جد ، تدعم نفوذهم حيث يحطون رحالهم ... وما أسرع ما تعقد بينهم وبين الحكام صفقات مالية تربط أولئك الحكام بهم .

وحيثما وضع أولئك التجار اليهود أقدامهم ، كانت بذرة « البورجوازية » توضع فى الأرض ، فتطرح نزعات جديدة فى مقدمتها ولا شك تلك النزعة الاستعمارية التى لازمتهم منذ كانوا قبائل متجولة ... مغيرة .

ولم يكن أولئك التجار القلائل ... المشتتين ، يملكون قوة عددية تؤهلهم لغزوات جديدة ، ولكنهم كانوا يملكون قوة المال ... وقوة التوجيه الى العدوان ! يتوارثها الابناء عن الأباء ، ويتوارثها الآباء عن الاجداد !!

وقد ثبت تاريخيا أن اليهود هم الذين دفعوا «وليم الفاتح» الى دخول انجلترا حتى يمكنهم أن يدخلوها فى ركابه ! وهم الذين دفعوا اسكندر الأكبر الى أكثر فتوحاته .. وحضروا فى ركابه الى مصر ! وهم الذين أغروا فيليب الثانى ملك أسبانيا على ضم البرتغال الى بلاده ! كما وجهوا «جنكيز خان» الى أكثر مغامراته الاستعمارية ! بل نحن لا ننسى أن دزرائيلى هو الذى اشترى لانجلترا أسهمها فى قنال السويس ليفسح لأقدامها مكانا فى بلادنا !

وهكذا حيثما دخل اليهود بلدا ، كانت بذور النظام الاستغلالى تدخله ... ولا تلبث ان تتمخض عن اتجاهات عدوانية الى الحرب ... الى الغزو ، والاستعمار !

وكان التكتيك اليهودى واحدا فى كل مكان ، وفى كل مرة ، مما يؤكد هذه الصلة الفكرية التى تربطهم جميعا ، وما يؤكد من قبل ومن بعد ، انهم يشتركون فى أساس طبقى واحد ، وان وضعيتهم الاجتماعية لا تكاد تتغير !

تلتف هذه الأقليـة اليهودية الوافدة الى بلد ما ، حول حكامه ، وتزين لهم أساليب الرشوة ، وطرق الاثراء على حساب الجماهير .ولهم فى هذا أساليب ملتوية ، وأفانين شاذة ، يوحى اليهم بها شعورهم بأن الربح ــ ولا شىء سواه ــ هو الهدف الوحيد !

فتارة يوعزون الى الحـاكم بسن قوانين للسخرة ، تمكنهم من تشغيل العمال بربع أو نصف أجر ، وبدون أجر اطلاقا ، كما فعلوا مع الجنرال « فان دون بوش » وهو يمثل الاحتلال الهولندى فى جاوة وتارة يقنعون الحاكم بمنحهم بعض الامتيـازات واطلاق يدهم فى العمل ، مقابل حصة فى الأرباح كما فعلوا مع بعض ملوك انجلترا ... مثل هنرى الرابع !

وهم أول من ابتكر تسلل الاستعمار الى البلاد على هيئة شركات من عقيدتهم الدينية ، التى تزعم أن اليهود عبيد الله ، وأن باقى البشر من عقيدتهم الدينية ، التى تزعم أن اليهود عبيد الله ، وأن باقى البشر عبيد اليهود !!

يقول زعماؤهم الأقدمون « يميز عبيد الله بختان جميع ذكورهم ، ويميز عبيدهم بثقب آذانهم ! »

أجل ... ان هذه النزعة المنحطة لا تزايل تفكيرهم ، فبعد أربعة آلاف سـنة من ميـلاد هذه الآراء العنصرية ، يخـرج كاتب من فلاسفتهم(١) ليقول :

« اذا طلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا فانى أقول : ان شعوب أوروبا ، بعد أن أفنت سكان امريكا الأصليين

(١) منتسكيو

لم تر بدا من أن تستعبد شعوب افريقيا لكى تستخدمها فى استغلال كل من هذه الاقطار الفسيحة . والشعوب المذكورة ما هى الا جماعات سوداء البشرة من قمة الرأس الى أخمص القدم ، وأنفها أفطس فطسا شنيعا ، بحيث يكاد يكون مستحيلا أن نرثى لها » .

« ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى ــ وهو ذو الحكمة السامية ــ قد وضع روحا ــ وعلى الأخص روحا طيبـة فى داخل جسم حالك السواد » .

جرائم الدم



وقد كان من الممكن أن يؤدى تشتيت اليهود ، واندماجهم فى وطنية جديدة حلت محل الأيدولوجيات الدينية ، وساد التعصب للوطن ، وأصبح شعار البورجوازية الصاعدة اذ ذاك ... « الدين لله والوطن للجميع » كان من الممكن أن يؤدى ذلك التطور الى اختفاء هذه الدعوات العنصرية وتفسير التوراة وشريعة موسى بما لايتعارض مع الحضارة والتقدم الانسانى ... بل بما لا يتعارض مع العلم الذى أثبت خرافة تلك الأسطورة التى يسمونها الجنس النقى... المصفى !

كان من الممكن أن يعيش اليهود مع المسلمين والمسيحيين ... بل ومع البوذيين والبهائيين ، وسائر البشر الذين يدينون بمختلف العقائد والديانات ، لولا هذه النزعة الاجرامية التى ما فتئت تسعى لاستغلال الدين الاسرائيلى فى السياسة ... انها النزعة الصهيونية !

وقد عادت النغمة العنصرية تطل برأسها فى أواخر القرن التاسع عشر ، حين اجترأ بعض المتآمرين فطبعوا « التلمود » وأخذوا يروجونه فى أنحاء العالم !

ولا عجب ففى ذلك الوقت كانت الرأسمالية اليهودية تضيق الخناق فى كل مكان على الرأسماليات الوطنية فى الدول الكبرى ، اذ كانت تلك الرأسمالية اليهودية تزاول نشاطها البورجوازى فى عزلة عنصرية مما جعلها هدفا لحملات الاضطهاد التى توحى بها طبيعة المنافسة التجارية ...

وكان رد الفعل السريع لتعاليم هذا الكتاب « المقدس » ان انتشرت موجة من الجرائم البشعة ، روعت العالم كله حينذاك ... وتغنى بها جرائم ذبح أحد الكفار من المسيحيين أو المسلمين — ليقدم لأمته قربانا لله فى عيد الفصح.. كما يفهم من بعض تعاليم ..التلمود !

وكان من المستحيل أن يطول أمد هذه الموجة الاجرامية فانحسرت بسرعة ، عقب ما أحدثته من استنكار واشمئزاز العـالم بأسره ، وقد تكتل اليهود أيضـا لاستنكار هذه الجـرائم ، والتبرؤ منها ، واكد بعضهم بحسن نيـة أو سوء نيـة ، ان هذه الجرائم مدسوسة على اليهـود ..

ولا شك أيضا أن روح الكراهية التى انتشرت ضد اليهود بصفتهم رأس الرمح فى النظام الرأسمالى كانت من الأسباب التى ساعدت على المبالغة والتهويل فى أمر هذه الجرائم القليلة ، فضخمتها ، وكلما عثر على « قتيـل » بلا قاتل ، كانت الجمـاهير تميل الى اعتبـاره من ضحايا اليهود .

انه الحقد الطبقى ، كما ذكرنا ، يجد له مخرجا ومتنفسا فى هذا الاضطهاد ، تنفخ فيه ولا شك رأسمالية محلية تئن من وطأة المنافسة اليهودية فى ميادين التجارة ، والمال ... فضلا عما فى هذا « النفخ » من تحويل أنظار الجماهير المستغلة عن جذور المشكلة ، وتعمية لهـا عن بلوغ درجة الوعى الكامل ..

كل هذه العوامل جعلت كراهية اليهود اذ ذاك توشك أن تتحول الى مجزرة ، وقد رأت بعض الحكومات ، حقنا للدماء ، ستر بعض هذه الجرائم الفـردية حتى لا توسع شقة الخلاف بين المواطنين ، أو حتى لا تنقلب الثورة على اليهود الى ثورة على النظام الرأسمالى كله، لكن هذا كله لا يمنع الحقيقة ، وهى ان بعض المتعصبين المجانين من اليهود قد لطخ يديه فعلا بهذه الجرائم ، حتى لقد اضطرت الحكومة الفرنسية اذ ذاك الى حرق جميع النسخ المطبوعة من التلمود على أثر ما لوحظ فعلا من انتشار بعض هذه الجرائم البربرية فى فرنسا ... وفى سائر بلاد العالم .

ومن أشهر هذه الجـرائم الشـنيعة ما ذكره المـؤرخ الفرنسى « شارل لوران » فى كتابه المثير « المسائل التاريخية عمـا جـرى فى

سوريا سنة ١٨٤٠ » عن مقتل الأب توما وخادمه ابراهيم عمار ... فى دمشق .

وقد لخص الدكتور يوسف نصر الله هذا الحـادث فى مقـدمة الترجمة العربية للكتاب(١) على النحو الذى ننقله هنا بالحرف الواحد.

« وفى مساء اليوم الخامس من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ طلب الأب توما لحارة اليهود بقصد تطعيم ولد للوقاية من الجدرى فلبى الدعوة فى الحال . ولما أن شاهد أن الولد المطلوب لأجله مريض وفى درجة الخطر لم ير اجراء التطعيم موافقا فرجع لديره وكان بالقرب من بيت الولد المريض دار « داود هرارى » وكان هذا الرجل معـدودا من أتقى اليهود فى الشام ، وكان النصارى يبالغون فى اعتباره وتوقيره واكرامه ، حتى أنهم كانوا يقولون عنه يهودى نصرانى صالح ، وكان داود هرارى صديقـا للأب توما فلمـا رآه مارا أمام داره استدعاه للدخول فلبى الأب دعوته ودخل فوجد هناك أخا داود وعمه واثنين من عظماء اليهود فلما صار فى احـدى الغرف أغلق الباب ، وانقض الجميع عليه كالذئاب الكاسرة ، ووضعوا على فمـه منديلا وربطوا يديه ورجليه ثم نقلوه الى غرفة بعيدة عن مطل الشارع وأبقوه هناك الى أن أظلم الليـل وأخذوا فى الاستعدادات اللازمة لذبحه فلما جاء حضرة الحاخام استدعوا حلاقا يهوديا اسمه « سليمان » وأمروه بأن يذبح القسيس فخاف هذا الرجل وامتنع عن الاقدام على العمل فجاء الرجل التقى بين اليهود ... الرجل الوقور داود هرارى صديق الأب توما بنفسه فأخذ السكين ونحره » .

ويمضى الدكتور يوسف نصر الله فى تلخيص الحادث المروع من واقع التحقيقات الرسمية التى قدمها المؤرخ الفرنسى فى كتابه ، ويذكر كيف ارتجفت يد القاتل وهو يذبح صـديقه ، فتقـدم أخوه هارون فأكمل الذبح ، وكان سليمان الحلاق قابضا لحية الأب توما ، وكان الحاضرون يتناولون الدم فى اناء ثم يضعونه فى زجاجة بيضاء وسلت

(١) نشرته مطبعة المعارف عام ١٨٦٩ .

فيما بعد الى الحاخام باشا يعقوب العنتابي ، وبعد أن تمت تصفية دم الذبيح على هذه الحالة نزعوا ثيابه عن جثته وأحرقوها ثم قطعوا الجسد قطعا وسحقوا العظام بيد الهاون وطرحوا الجميع فى أحد المصارف المجاورة لمنزل الحاخام موسى أبى العافية وظنوا أنهم بهذه الوسيلة قد دفنوا الحادثة فى قبر عميق ، ولكن الدم البرىء بقى يصرخ الى الله كصراخ هابيل عندما قتله قايين أخوه ، فلما طال وقت رجوع الأب توما الى ديره قلقت أفكار خادمه ابراهيم عمار ، وبما أنه كان عالما بتوجه معلمه لحارة اليهود جاء اليها يسأل عنه فدخل دار داود هرارى وسأل من كان فيها عن سيده فأدخلوه منزل بعض المتهمين وذبحوه كما ذبحوا معلمه ، وكان الأب توما دعى لوليمة عند طبيب والى دمشق فى ٦ فبراير ، ولكنه لم يذهب فى الميعاد المحدد بسبب فقده قبل ذلك اليوم وعدم رجوعه الى الدير وجرى البحث عليه اذ ذاك بدون فائدة » .

« أما كشف الحادثة فكان على الصورة الآتية وهو انه فى صباح اليوم الثانى ٦ فبراير جاء الذين كانت عادتهم الحضور لسماع قداس الأب توما فمن حضر منهم أولا ظن انه نائم ومن حضر أخيرا حسب ان القداس انتهى ، والقسيس خرج لاشغاله مع أن بعضهم قرع الباب فلم يجاوبه أحد وبعضهم قال انه شاهد الأب توما عشية أمس متوجها لحارة اليهود فقلقت أفكارهم فأعلموا الباقين بالأمر فوقع بين الشعب هيجان وسار البعض الى سراى الحكومة وطالبوا بالفحص والتدقيق عن هذا الأب » .

« واشتغل قنصل فرنسا بهذه القضية وأعطاها ما تستحقه من الأهمية فظهر أثناء التحقيق أن الحلاق اليهودى دعى ليلا عند التاجر اليهودى هرارى فنظر الأب توما مكتفا ومطروحا على الأرض ، ثم جرى ما جرى كما سلف ، وعند وجود الجثة عثر أيضا على قطعة من الطاقية التى كان يلبسها الراهب وهى معروفة فى كل دمشق .

واعترف اذ ذاك سبعة من المتهمين قائلين انه قبل الواقعة بأيام اخبرهم الحاخام باشا انه يلزم

الاستحصال على دم بشرى لاستعماله فى عيد الفصح القريب فاجابه داود هرارى انه سيتحصل على ذلك ولو كلفه من الاموال ما لا يعد . وكان المتهمون وقت اعترافهم محبوسين فى حبس الانفراد واعترافاتهم جاءت مطابقة لبعضها وبواسطتها صار الاستكشاف على الجثة وعلى بعض الملابس » .

ويختم المترجم تلخيصه لهذه الجريمة الوحشية قائلا :

« وبعد أن تمت التحقيقات ثبتت التهمة ضد المتهمين وتوفى أثناء المحاكمة اثنان منهم كما سنذكره ، ونال العفو أربعة لأنهم أقروا بالحقيقة ، وحكم على العشرة الباقين بالاعدام » .

« وقد كاد أن ينفذ هذا الحكم لولا أن قنصل فرنسا رأى أن يعرض أوراق القضية على دولتلو المغفور له ابراهيم باشا الذى كان وقتئذ قائدا للجيوش المصرية لكى يجرى المصادقة عليها ففى أثناء تلك المدة هاج يهود أوروبا وماجوا ، واغتنموا الفرصة فضاعفوا الوسائط الفعالة ، وبذلوا الأصفر الرنان لاطفاء نيران الحادثة والتحصل على عفو عن المحبوسين وقيل انهم قدموا ٢٠٠ الف قرش الى وكالة فرنسا و ٥٠٠ ألف قرش لأحد المحامين ، ولكن لما خاب مسعاهم وطاح عملهم وثبتت التهمة وصدر الحكم ، سافر اثنان من عظمائهم هما كراميو وموزز مونتيفيورى منتدبان من قبل جمعية الاتحاد الاسرائيلى لانقاذ المحكوم عليهم فوصلا مصر ورفعا عريضة لصاحب الدولة المغفور له محمد على باشا التمسا بموجبها اعادة النظر فى الدعوى وتخليص المتهمين فقبل دولته التماسهما مراعاة للظروف وأصدر عفوا عن المجرمين اجابة لاسترحام عموم الشعب الاسرائيلى » .

ولا أبغى بالاشارة الى هذا الحادث استثارة القراء واستفزاز مشاعرهم ، فلو انى قصدت الى هذا لقدمت عشرات الأمثلة والنماذج لهذه الجرائم العنصرية التى روعت أوروبا فى منتصف القرن الثامن عشر ، بل لو أنى قصدت الاثارة لقدمت جريمة ذبح الأب توما وخادمه

مؤامرة على العالم

بكل تفاصيلها ... بنص الاعترافات التى استخلصها المحققون من المتهمين أثناء استجوابهم وهى تحقيقات حقيقية ، حضرها قنصل فرنسا دمشق كما حضرها قنصل النمسا وغيرهما من ممثلى الدول الأجنبية ، التى كان بعض المتهمين ــ من رعاياها ــ قد استنجدوا بها ....

لكنى لا أقصد الى الاثارة ، فأنا أعرف أن جرائم « الحصول على دم كافر » قد أوقفت فى العالم أجمع ، ولو أنها استؤنفت فى «اسرائيل» فى صورة جديدة سوف نعود اليها .. والذى يعنينى من العودة الى حوادث جرت سنة ١٨٤٠ هو الاستدلال على مدى التعصب العنصرى « الذى يستمد أسسه النظرية من كتاب له أكبر قدسية فى نفوس اليهود ... فهو مكمل للتوراة ، بل هو جزء لا يتجزأ منها باجماع الآراء اليهودية !

هذه « الروح » كان يمكن أن تموت وتندثر ، بل هى كانت فى طريقها الى التبخر بالفعل ، لولا أن الاستعمارية ــ بعد نصف قرن ــ من هذه الحوادث ، أحست بحاجتها الى أن تنفخ فيها ، فاذا بالمؤتمرات الصهيونية التى تتابعت فى مطلع هذا القرن ، تعود الى الوراء ... وتنبش مقبرة الزمن ، لتخرج منها هذه الجثة المتعفنة ... جثة التعصب الغبى المجنون ، فى أبشع صورة ، وأحط درجاته !

وكانت مهمة الدعوة الصهيونية فى أول نشأتها بعث هذا التعصب وتجميعه ، وتدبير قيادة موحدة ترعاه ، ولكن مؤتمر ١٨٨٤ لم ينجح فى هذه المهمة ، الا بالقدر الذى نجحت فيه الاستعمارية بالنسبة لتحقيق هدفها فى تدويل ... رأس المال !

... وفى سنة ١٨٩٧ ، وكانت حركة التدويل قد قطعت مرحلة هامة من مراحل تثبيت بذرتها فى « تربة » الاستعمارية، عقد أول مؤتمر صهيونى ، وضع للحركة الصهيونية العالمية قواعدها السياسية التى ترتكز على أسس اقتصادية أيضا !

حضر هذا المؤتمر نحو ٢٥٠ مندوب يمثلون مختلف هيئات اليهود فى العالم بأسره ... وفتح الحاضرون اكتتابا لانشاء شركة ، وبنك ، برأسمال مال قدره ٢ مليون جنيه استرلينى ، وكان هذا مبلغا ضخما فى ذلك الحين ، وكان النجم اللامع فى ذلك المؤتمر هو الصحفى السويسرى ، تيودور هرتزل الذى ينتسب الى احدى الأسر اليهودية الغنية فى المجر ، فقد أحس بذكائه ان الدعوة الصهيونية لن تبهر يهود العالم أو تثير حماستهم وتدفعهم الى التكتل الا اذا تجسدت فى مطالب وشعارات أوضح وأبسط من ذلك الحلم الضخم ، الذى يبدو كأسطورة خيالية ، ونعنى به حلم السيطرة على العالم !

وكان الشعار الذى اطلقه « تيودور هرتزل » هو انشاء مملكة لليهود ، فوضع كتابا بعنوان « الدولة اليهودية » فرش فيه طريقا الى « الجنة » التى يستطيع أن يقيمها بنو اسرائيل !

ولم يحدد هرتزل مكان « الدولة اليهودية » المنشودة على خريطة العالم ، فحيثما وجد اليهود الأرض التى يتجمعون فوقها ، تنشأ هذه الدولة ... فى روسيا ... أو فى قبرص ... أو فى غينيا ... أو فى الارجنتين !

ومن يدرى فلعل هرتزل أرادها دولة تشمل العالم كله !.. لا من النيل الى الفرات كما يتحدث المتواضعون أو الخبثاء من قادة الصهيونية اليوم علنا ، بل كما أسفرت عنها قرارات ذلك المؤتمر الذى جمع

أبالسة العالم ... فقد ضبطت سيدة فرنسية بعد ذلك وثائق فى منتهى الخطورة ، هى التى كشفت عن النوايا الصهيونية الحقيقية وفضحتها.

وقد عثرت على هذه الوثائق أثناء زيارتها لقطب من أقطاب جمعية « عشاق صهيون » فى سرداب أحد المحافل الماسونية .. وكانت هذه الوثائق عبارة عن « الخطة السرية » التى تقدم بها أحد فلاسفتهم لاستعمار العالم ، والاستيلاء على كل خيراته[1] .

والمرجح – تاريخيا – أن واضع هذا المنهج هو الزعيم الصهيونى سيكفرا من أهالى كييف ومؤسس الجمعية السرية الصهيونية (بن موشى) أى بنى موسى وقد ناقشته اللجنة العليا للمؤتمر الصهيونى وأقرته ، وقد استوحاه سيكفرا بدوره من خطة للحاخام ريشهورن ألقاها عام ١٨٦٩ على قبر رئيس الحاخامين شمعون بن يهوذا ، فى مدينة براغ ، وقد رسم لليهود – فى تلك الخطبة – طريق السيادة على العالمين !

وقد نشرت هذه الوثائق الخطيرة التى عرفت باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » بمختلف لغات العالم ، وظهرت لأول مرة باللغة الروسية سنة ١٩٠٥ فى كتاب أثار اذ ذاك أكبر ضجة فى أنحاء العالم وهب اليهود فى كل مكان ينكرونها ، ويتهمون ناشرها بأنه مؤلفها ومزيفها ...

لكن نظرة واحدة الى هذه الخطة الجهنمية ، ومقارنتها بما نفذ منها الى اليوم بالفعل ، تكفى للحكم عليها .

بل لقد اعترف بها تيودور هرتزل ضمنا حين صرح – فى عدة بيانات أصدرتها اللجنة الصهيونية سنة سنة ١٩٠١ – وقال فيها صراحة أن بعض الوثائق الخطيرة قد سرقت « من قدس الأقداس » وما كان لها أن تنشر قبل الأوان !

فما هى بروتوكولات صهيون ؟.. ما هى هذه الخطة السرية التى

(١) الخطر اليهودى للاستاذ محمد خليفة التونسى

وضعت منذ نحو ستين عاما للاستيلاء على السلطة العالمية ، واقامة مملكة اليهود التى تشمل الكرة الأرضية جميعا ؟

ما هى هذه البروتوكولات التى ذعرت الصهيونية العالمية لافتضاح أمرها ، ونشرها على الناس ... وهى المنهج الذى تكتموه حتى عن بقية اليهود ، مبالغة فى الحيطة والحذر ؟

واننى اذ أنشر فيما يلى خلاصة موجزة لهذه البروتوكولات التى تولى الاستاذ دريك زريك ترجمتها حرفيا سنة ١٩٥١ من واقع النسخة الاصلية الموجودة فى المتحف البريطانى :

انى اذ أفعل هذا ، أقرر أن هذه الخلاصة لا تغنى عن النص الكامل ، لكن حسبى أن أرسم فى هذا الكتاب الخطوط الرئيسية للدراسة التى ينبغى أن يتكاتف على تكملتها جميع المثقفين الأحرار ، الذين يشعرون بمسئوليتهم فعلا ، ازاء مستقبل الجنس البشرى .. »

١ – ان الاشرار أكثر من الأخيار ، وان كل نفس تنطوى على طموح الى السلطة والسيطرة .. الحكم والمال ، وأن الشىء الذى كبح جماح هذه الوحوش الضارية المدعوة بشرا حتى الساعة « هو القانون » ، وما القانون الا القوة ، ومن هنا نستنتج ان الحق كائن فى القوة » .

« أما الحرية والأخاء والمساواة » فشعارات جوفاء تستخدمها الأحزاب لاستمالة الجماهير أو لسحق بعضها بعضا ... فالحرية فكرة خيالية وليست حقيقية ... والمساواة ضد الطبيعة نفسها ، وما دام سلطان الذهب فى عصرنا هذا أعظم نفوذا مما للحكومة الديموقراطية، وما دام الذهب فى حوزتنا – نحن اليهود – ففى استطاعتنا أن نشترى به كل ما نشاء ، ونسيطر به على كل ما نريد » .

« شعارنا القوة والرياء » وفى سبيل هذه السيطرة **لا ينبغى أن نحجم عن اللجوء الى الرشوة ، والخداع ، والخيانة فى سبيل بلوغ مآربنا ، والسياسة تقضى بالاقدام دون تردد على اغتصاب ملكية الغير ، اذا كان**

فيها ما يؤمن لنا الخضوع والسلطة » .

« وهذه هى مرحلة الفتح السلمى » !!

٢ ــ من مصلحة اليهود أن تسفر الحروب عن كسب أراض جديدة ، حتى يتيسر نقل الحرب الى الميدان الاقتصادى مما يضطر الفريقين المتحاربين الى وقوعهما فى قبضتنا نظرا لتفوقنا فى هذا المضمار ، فيضع كل منهم نفسه تحت تصرف عملائنا الدوليين الذين لهم ألوف العيون التى تخترق كل الحدود دون ان يجرؤ أحد على وقفها ... وحينئذ تطمس حقوق الدولية سائر الحقوق الأهلية .

فنقبض على مقدرات الشعوب ونديرها بواسطة رجال نختارهم ممن نتوسم فيهم أن يكونوا أكثر استعدادا للعبودية ، لاستخدامهم كالبيادق فى اللعبة بين أيدى عباقرتنا من المستشارين والاخصائيين المعدين منذ حداثتهم لادارة شئون العالم أجمع » .

٣ ــ فصل قوة رجال الحكم البصيرة عن قوة الشعب العمياء يفقد القوانين أهميتها فتصبحا عاجزتين كالضرير الذى يفقد عصاه ولكى ندفع ذوى المطامع الى اساءة استخدام السلطة نضع جميع القوى المتعارضة وجها لوجه ... وستنمو هذه الكراهية بتأثير الضائقة الاقتصادية التى ستنتهى بشل الحركة التجارية والصناعية ، ومتى آن الأوان لأن نخلق ــ بفضل وسائلنا السرية وذهبنا النضار ــ ضائقة اقتصادية عامة ، تقذف فى آن واحد بجموع العمال الغفيرة الى الشوارع فى جميع البلدان الاوربية و لاشك ان هذه الجماهير ستقدم بلذة على هدر دماء من هم ــ بنظرها الساذج ــ سبب الأزمة ، ولكنها لن تمسنا أو تمس مصالحنا بسوء لأننا سنكون على علم سابق بساعة الهجوم ، فنتخذ من التدابير ما يكفى لدرء الخطر » .

« ولا خوف من أى كسب تناله الجماهير من ثورتها «الديموقراطية» لأنها لن تكسب سوى حقوق شكلية وهمية ، وما الذى يستفيده

العامل الفقير من حرية الثرثرة ... على صفحات الصحف ، أو داخل البرلمانات ، ما دامت هذه الصحف وتلك البرلمانات ستكون فى قبضتنا ؟! » .

٤ ــ ويؤدى حكم الغوغاء الى فوضى ، تعقبها نكسة استبدادية ، ولما كان الاستبداد بطبيعته غير شرعى ، فهو بالتالى غير مسئول ، وهو خفى محجوب عن الأنظار ... تديره وتحركه قوة سرية من وكلائنا المنتشرين ، والذين يتخذون المحافل الماسونية أوكارا لهم ... ومن ذا الذى يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟!

وهذه المرحلة الاستبدادية ستحول العقول الى الميدان التجارى والصناعى وتشغل الناس بمصالحها المادية ومنافعها الشخصية ، وفى غمرة هذه الحرية ــ فى عالم الصناعة والتجارة ــ يجب أن تتخذ المضاربات قاعدة التعامل حتى تتسرب جميع الثروات التى تخرجها الأرض والمصانع من حوزة مالكها الى فوهة المضاربات ... أى الى خزائننا !

وهذه المضاربات هى السبيل الى تدمير اقتصاديات الأمميين وزلزلتها من أساسها ، واخضاع اقتصاد العالم كله لنفوذنا وحدنا !

٥ ــ « أنا أولى الملوك » ... يقول أنبياؤنا بأن الله قد اصطفانا لكى نسود العالم ، ووهبنا النبوغ لكى تكلل أعمالنا بالنجاح ، ولو كان للجانب الآخر مثل هذه الموهبة لاستطاع مقاومتنا ولكن الساكن الجديد لا يساوى الساكن القديم ، وسيكون القتال بيننا عنيفا الى أقصى حد ، بلا شفقة ولا رحمة مما لم يشهد له العالم مثيلا ان هؤلاء الأذكياء الذين يدعون العبقرية سيظلون متأخرين لأن المحرك الذى يتوقف عليه دوران الجهاز الحكومى أصبح فى قبضتنا .. انه الذهب وحكماؤنا الذين ابتدعوا علم الاقتصاد كشفوا لنا عن النفوذ العجيب لهذا الذهب فى العالم !

ولكى يكون « رأس المال » هذا مطلق العنان يجب أن يجمع الصناعة والتجارة فى حكرته ، وهذا ما نسعى لتحقيقه بواسطة أيدينا

الخفية فى كل مكان ... وبشتى الوسائل ، وفى مقدمتها جر الشعوب الى للحرب ... وتلهيتها فى السلم بفيض غامر من الأفكار المتعارضة وموجات الانحلال ، مع تجريدها من كل أسلحتها !

والى جانب ذلك علينا أن نحارب « المتفوقين والممتازين » ونقضى على كل الظروف التى تؤدى الى الامتياز ببذر الخلافات ، وتعميقها وتشجيع كل محاولة للتحطيم والهدم ، فتنعدم الثقة ، ويتعطل فهم الناس بعضهم بعضا .

وفى هذا الجو سنبشر بفكرة التعاون الدولى ، ساعين الى تأليف هيئة عالمية تسوس شئون العالم ، ولا شك أن ادارة هذه الهيئة سوف يعهد به الينا !

٦ ــ السيطرة على ثروة العالم عن طريق انشاء احتكارات عالمية ضخمة ، تستوعب كل ثروات الأمم ، وتكون بمثابة خزائن لكل كنوز العالم . ولا نلبث نحن أن نبتلع هذه الاحتكارات !

لقد انتهت ارستقراطية الأمميين كقوة سياسية ولم يبق لهم من قوة الا كملاك أرض وعقارات ، ولا سبيل الى القضاء على هذه القوة الا بتنشيط أعمال المضاربة حتى يتحول ميدان « الربح » الى البورصة فيتجه أولئك الملاك الى استغلال ثرواتهم فى الأسهم والسندات بدلا من الأراضى والعقارات التى تصبح غير جزيلة الربح، لا تغرى بالحرص عليها ، بل توضع كرهونات للقروض التى تدفعها عن طريق بنوكنا ، ثم لا يلبث الملاك أن يعجزوا عن الوفاء بها !

٧ ــ يجب أن نكون مرهوبين ، وأن تحس الحكومات بقدرتنا على اشعال الثورة أو اعادة النظام ، وأن فى استطاعتنا أن نثير الفتن والقلاقل والمتاعب فى طريق من يعادينا .. وهذا يقتضى أن تزداد القوة البوليسية التى نسيطر عليها من خلال الحكومة ... كما يزداد نفوذ الصحافة وكل أدوات النشر التى نسيطر على أكثرها بالفعل ، وبواسطة هذين الجهازين الخطرين ، نعلن حكم الارهاب على كل من يقف فى طريق أهدافنا ، فاذا فشلنا مع كل ذلك فى تأديب خصومنا ، أو اتفق

البعض علينا .. حاربناهم بمدافع امريكية أو صينية أو يابانية (القصد هو ... مدافع أجنبية !)

٨ ــ طالما أن ملء مناصب الحكومة باليهود غير متيسر وغير مأمون بعد ، فيجب أن نعهد بهذه المناصب الخطيرة الى أحط الأمميين أخلاقا وأسودهم صحائف ، فهذا ما يجعل قبضتنا عليهم أشد وأقوى ... فيكونون بالتالى أكثر اخلاصا لنا ! وأحر دفاعا عن مصالحنا ! ويجب أن نجند لحركتنا جيشا ضخما من جميع ميادين المهن الحرة ، كالمحامين والأطباء ورجال الادارة ، والسياسيين ... فضلا عمن تتولى تدريبه فى مدارسنا الخاصة التى يمكن أن تتخذ أى اسم أو عنوان !

ويجب أن نصيغ كل جرائمنا فى قالب قانونى براق ، مستعينين فى ذلك برجال القانون ، بل وبرجال القضاء .

٩ ــ لقد تركنا لأعدائنا ــ أى غير اليهود ــ المؤسسات والأجهزة والأدوات لكننا قبضنا على القوى المحركة ..! وتركنا مختلف الأحزاب تتناحر شيوعية كانت أو محافظة ، جمهورية أو ملكية ، واكتفينا بأن يكون لنا فى كل منها عملاء وأصدقاء ، وما دام النضال الحزبى يحتاج الى مال ، وما دام المال فى أيدينا ، فالنضال الحزبى ــ فى أى اتجاه ــ يسير وفق مصالحنا وأهدافنا وحدها !

وعلينا أن ننفخ فى « اضطهاد اليهود » فهذا هو السبيل لتجميع اليهود وربطهم بقيادتنا فى سبيل الخطة المرسومة ... وان هذا الاضطهاد على كل حال لا يمكن أن يصل الى القضاء علينا ، ففى وسعنا عن طريق « الانفاق الخفية » التى حفرناها فى سياسة أى دولة ، أن ننسف ما نشاء من المدن أو الأنظمة أو المؤسسات !

١٠ ــ اقامة حكومة أوتوقراطية يسهل العبث بها واخضاعها لنا ... عن طريق تركيز كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فى أقل عدد من المرتشين ... وعلى رأسهم جميعا أكبر وكلائنا ، وهذا نسعى لأن نمنحه أوسع السلطات حتى نضمن تنفيذ أية خطة بواسطة الايحاء اليه بها ..!

والاتجاه الى السرية والكتمان، كل نشاط سياسى لنا، هو السبيل الى النجاح فالمبدأ الذى لا يدع علنا يترك لنا حرية العمل !!

١١ — شاءت ارادة الله أن يشتت « شعبه المختار » لحكمة فبينما يبدو هذا التشتيت مظهرا للضعف، فانه فى الحقيقة السبب فى اجتماع كلمتنا، وهو سر قوتنا التى جعلتنا نقترب من عرش العالم !

ان محافلنا الماسونية هى الخيط الذى يصل بين حلقاتنا ... وسيأتى قريبا اليوم الذى يفاجأ فيه غنم العالم وخنازيره باقتحام ذئاب بنى اسرائيل حظائرهم، فلا يجدوا أمامهم سوى اغماض عيونهم .. تماما كما يفعل الغنم عندما تفاجأ بالذئاب مستسلمة لمصيرها المحتوم !

١٢ — الأب والصحافة هنا أعظم أداة للسيطرة الفكرية، لذلك سوف نشترى العدد الأكبر من دور الصحافة والنشر ووكالات الأخبار العالمية، حتى لا يرى الناس أى خبر أو مقال الا من زاويتنا، ومن خلال نظاراتنا الملونة !

ويجب أن تكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف والأحزاب المختلفة ... من ارستقراطية الى شعبية ... ومن ثورية الى فوضوية، وستكون هذه الجرائد مثل الاله الهندى « فشنو » لها مئات الأذرع ... وحين يمضى الثرثارون المغفلون فى ترديد ما يتوهمون أنه رأيهم أو رأى جرائدهم أو أحزابهم ... سنكون نحن قد حققنا ما نبغى فلن يرددوا الا ما نضعه نحن فى أفواههم من وراء ستار !

١٣ — يجب أن نعمل على تحويل أنظار الرأى العام دائما، كلما وجدناه يتجه الى الحقيقة ... ان واجبنا أن نشغله عن أى طريق أو تفكير جدى سليم، باثارة موضوعات جديدة لها طابعها الصحفى الجذاب وسيتولى عملاؤنا المهيمنون على الصحف نشر هذه الموضوعات أو ابتكارها بشرط ألا يفهموا هم أنفسهم شيئا عن الخطة، ولنعمد فوق ذلك الى تلهية الناس بشتى أنواع الملاهى الجديدة، ونملأ فراغهم بمختلف المباريات الفنية والرياضية مثلا !

وحين نجلس على عرش العالم يناقش خطباؤنا تلك المشكلات التى

كانت تحير الناس، فلا يرتاب أحد فى اننا كنا نصنع تاريخ المستقبل وفق خطة سياسية لم يفهمها أسمى واحد طوال قرون عديدة !!

١٤ — تحطيم كل عقائد الايمان .. وعندما نحقق هدفنا باقامة مملكة صهيون العالمية، سيفضح فلاسفتنا كل المبادىء والعقائد والديانات فلا يقوم فى العالم كله دين ... سوى ديننا !

١٥ — حماية أنفسنا من كل مؤامرة يمكن أن تفاجأ بها، وذلك بالانتشار فى كل المنظمات السرية، والمحافل الماسونية .. ففى هذه الخلايات والتنظيمات نستطيع أن ننصب الشباك لكل أعدائنا ... لكل الاشتراكيين أو الثوريين أو الوطنيين !

ان الاعضاء الذين نبعث بهم الى هذه الخلايا السرية، هم وكلاء بوليسنا الدولى السرى ... وعن طريقهم لا نعرف الأخبار فقط، بل ونستطيع أيضا التحكم فى سير الحوادث !

فليس أسهل من تسخير المغفلين من أعضاء هذه الخلايا الذين هم فى طبيعتهم، مغامرون يتلهفون الى اقتناص البطولة، أو المجد والشهرة ... ان فى الامكان التسلط على أكثرهم ذكاء باثارة غروره، واعجابه بنفسه !

١٦ — تقويض دعائم الجامعات العلمية القائمة الآن لتبنى على أنقاضها جامعات جديدة فى مملكة صهيون، تستبعد منها جميع الدروس الكلاسيكية، ويعاد فيها كتابة التاريخ القديم وتوجه الشبيبة — من خلال مناهجنا — الى الطاعة والخضوع لحكماء صهيون ... دون سواهم !

١٧ — والبوليس الرسمى نعمل على تحويله الى ستار يحجب عن الحكومات حقيقة ما يدور بين الشعب !.. ومن الوسائل الفعالة لافساد مختلف الهيئات، تكليف وكلائنا من ذوى المراكز الهامة بتلويث غيرهم !.. بتشجيع هذا الغير على الانحلال، والرشوة واساءة استعمال السلطة ... فهذه هى الحبال التى تشدهم الينا، وتربطهم بنا !

١٨ ، ١٩ — الاغتيالات الفـردية تضعف هيبة الحكومة وتقضى عليها أمام الشعب الذى توحى اليه أخبار هذه المؤامرات ضد الحكم بقرب زوال هذا العهد ... وتوجيه الناس الى الاغتيالات لا يحتاج لأكثر من بعض شعارات سياسية تصب فى آذان الناس الذين يحبون بطبيعتهم التآمر كفن ، تتملكهم هوايته !!

وقد غذينا هذه الهواية بما نشرناه من أفكار توحى بأن القـاتل السياسى بطل ! ... بل شهيد ، لأنه مات فى سبيل اسعاد الانسانية أو تحرير الوطن ! وهذه الصورة البراقة للقاتل السياسى هى أهم مايشجع على التمرد ... والقتل !

٢٠ — ان استيلائنا على ثروات العـالم — عن طريق الأسهم والسندات — سيضطر الحكومات الى طلب العون المـالى منا ... من مصارفنا وخزائننا فتقع هذه الحكومات فى قبضة الرأسماليين منا ... وهكذا نجرد الحكومات والشعوب — كلاهما — من أسباب القوة !

٢١ — اغراق حكومات الأممين بالديون عن طريق تشجيعها على الاقتراض ... منا ! عن طريق عقد قروض داخليـة لسد حاجاتها ، ويتم تغطية هذه القروض من جيوبنا ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، فيكون بوسعنا افلاسـها بعـد فترة من الوقت ... عندما نطالب بديوننا جميعا !

ونحن فى هذا « التكتيك » نعتمد أولا وأخيرا على البورصات وما تحتمله من ألاعيب نتقنها ، لذلك سنلغى هذا البورصات عندما يتم السيادة فى الأرض لعرش صهيون !

٢٢ — لا يبقى أمامنا بعد كل ما سبق سوى الخطوة الأخيرة نحو عرش صهيون ، هو مقدار من العنف ... من استعمال القوة لاقرار « السلام الأبدى » تحت راية مملكتنا !

٢٣ — وأول ما نعمله لتحصين مملكتنا هو تدمير كل الهيئات والمنظمات التى مولناها ودفعناها قبلا لحسابنا ، فمن العبث أن نتركها حتى تعـود فتدمرنا ... ان ملك اسرائيل سوف يكون منتخبا من عند الله ! ومعينا من السماء ! كى يكنس كل هذه الأفكار الفوضوية

والخيالية التى كانت وسيلة عرشنا الأبدى !!

٢٤ — ان ملكنا المحبـوب الذى سيتشرف بالجلوس على عرش سليمان ليحكم العالم ، ستحف به مجموعة من حكماء صهيون ... من نسل داوود ! تعاونه فى تحمل أعباء مهمته « الصمدانية » ! وسيكون حكمهم حازما !.. عنيفـا ! لخير الانسـانية ! أما الملك فيكون مثال العزة والمهـابة والجبروت ... انه المسيح المنتظر من سبط يهوذا ونسل داوود !!

وقعه ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين
« أعلا درجات الماسونية اليهودية »

تلك هى خلاصة الخطة الجهنمية للمؤتمر الصهيونى ... وقـد أصيب اليهود بما يشبه الحمى عندنشرها ، واندفعوا يكذبونها جميعا، ويؤكدون أنها وثيقة مزورة من تأليف ناشريها !.. ولم يكن التكذيب وحده يكفى ، بل أنهم لجأوا الى حيلة خبيثة لاسدال الستار عليها ، فأوعزوا بنشرها مع شرح تطبيقى ... بل مع شرحين ، الأول يقول ان الشيوعية ليست الا الصهيونية مقنعة ، وان اليهود قد استولوا على الحكم فى روسـيا السوفيتية ، وهذا الشرح يقصـد به تشكيك الشيوعيين فى حقيقة الوثيقة الصهيونية وقيمتها !.. والشرح الثانى يقول أن الصهيونية ليست سوى الرأسمالية الانجليزية أو الامريكية الغربية مقنعة ، وأن اليهود هم الذين ينادون بالحكم البرلمانى الخ .. وهذا الشرح يقصـد به تشكيك هذه الدول أيضا فى قيمـة الوثيقة الصهيونية وحقيقتها !!

لكن الشىء المقطوع به على كل حال ، أن كثيرا مما جاء فى هذه الخطة الصهيونية قد تحقق بالفعل !.. ففى خلال نصف قرن ، احتكر اليهود بورصات العالم ، وسيطروا على صحافتـه ، واذاعاتـه ، وكل أجهزة الدعاية فيه ... وفى خلال نصف قرن تغلغل اليهود فى مختلف الجماعات ، فاندسوا فى أحزاب اليسار وأحزا باليمين ، ولا عبرة بما يقال من أن هذا طبيعى لأن اليهود اما أن يكون من الطبقة الكادحة

فتستميله المبادىء الاشتراكية، واما أن يكون من الطبقة الرأسمالية فينحاز الى مبادىء المحافظين والرجعيين ... لا عبرة بهذا لأن ما نقصده هنا هو السعى للسيطرة على هذه الأحزاب المختلفة من وراء ستار ، وقد ثبت من حركات التطهير التى شملت الأحزاب الشيوعية فى شرق أوربا سنة ١٩٥٣ ان الأعضاء اليهود كانوا يؤلفون حلقات خارج التنظيم بغية السيطرة على المكاتب السياسية لهذه الأحزاب ... وكان بين التهم المنسوبة الى أنابوكر فى رومانيا أنها شجعت الهجرة الى اسرائيل، وكأن يهود رومانيا أيضا لا يستطيعون العيش فى أمن من الاضطهاد !

وكل هذه الحقائق تفسر لنا هذه الظاهرة العجيبة ، وهى أن جميع الذين ثبتت خياناتهم فى الحركة الشيوعية مثلا كانوا من اليهود بالذات وعلى رأسهم ... راديك .. وبريا !

لقد حقق الصهيونيون ... أو هم يحاولون بتعبير أصح تحقيق خطتهم كاملة ، وقد قطعوا شوطا هاما فى هذا السبيل ، فقد مدوا رأس الجسر الذى أشاروا اليه بالفعل فى بروتوكولاتهم وأقاموا دولة اسرائيل !

ولم تبق أمامهم سوى خطوات ... أولها أن تتسع دولة اسرائيل حتى تصبح من النيل الى الفرات ... وثانيها أن يستتب الأمر لهذه المملكة الصهيونية فتحكم العالم أجمع !

والسؤال الذى نوجهه لمن يبقى متشككا فى هذه الوثيقة الخطيرة ــ بروتوكولات صهيون ــ ولمن يقلل من خطورتها .. السؤال الذى نوجهه هو :

ــ هل كان « مزور » هذه الوثيقة مطلعا على الغيب يعرف مقدما ما سوف يحدث فى خلال الخمسين عاما التى تلت وضع هذه الخطة ؟ أم تراه ــ امعانا فى التزوير ــ قد عمل على تنفيذ الخطة التى تولى « تأليفها » ؟!

الفلسفة الصهيونية

وقبل أن نمضى فى استعراض ما حققته الصهيونية من برنامجها فى السيطرة الفعلية على العالم ...

يهمنا قبل ذلك أن نقف قليلا لنستعرض الأسس الفلسفية التى تقوم عليها الدعوة الصهيونية ، لمناقشتها فى ضوء العلم والمنطق ...

ان الأساس الاول للدعوة الصهيونية هو ان « اليهودية » ليست مجرد دين ولكنها قومية .

فيقول كوهلر فى « دائرة المعارف اليهودية » سنة ١٩٠٤ « يصعب على المرء تعريف اليهودية تعريفا واضحا موجزا ، فهى ليست مجرد دين يستند الى عقائد مقبولة بل هى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشعب اليهودى » .

ويقول ماكس بوردو نائب رئيس المؤتمر الصهيونى فى عامى ١٩٤٦/١٩٤٧ ، والذى يعتبره الصهيونيون من علماء الأجناس أن كلمة « جنسية » يختلف معناها بين دولة وأخرى ، فهى فى امريكا وغرب أوروبا تعنى الانتماء الى دولة ما ، بينما هى فى آسيا وشرق أوروبا تطلق على « شعب ينحدر من سلالة واحدة » !

وفى رأيه ، ورأى الصهيونية عموما ، ان اليهود شعب ينحدر من سلالة واحدة هى سلالة اسرائيل !

وعلى هذا الأساس تحرص الصهيونية على الا يندمج اليهود فى اى شعب آخر ، الا على اساس احتفاظهم بقوميتهم لا دينهم فحسب ، مهما منحتهم الدولة التى يقيمون فيها من حقوق متساوية مع سائر المواطنين ، وفى هذا يقول احد زعمائهم وهو البارون دى روتشيلد :

اذا كانت الامتيازات السياسية التى اكتسبناها ستضعف ، بأى وجه من الوجوه تعلقنا بشعورنا اليهودى فنكون قد اشتريناها بثمن باهظ ،

وهذا بلا شك احباط للاغراض التى قصدها من ساعدونا فى سبيل الحصول عليها !

ويتكلم حاييم وايزمن الزعيم الصهيونى المعروف فى كتابه (التجربة والخطأ) عن هذه (الجنسية اليهودية) فيقول بدهشة :

كنت اتحدث دائما مع دكتور بارنيس فكان الرجل — رغم يهوديته — يدعو الى امتزاج اليهود فى الامم التى يعيشون فيها ، وقد سألنى مرة عن جنسيتى فقلت له : (أنا يهودى)

وتعجب لاجابتى وحاول اقناعى بأن اليهودية دين لا جنسية فأفهمته أن اليهودية جنسية وقومية !

ويقول ايضا فى موضع آخر :

وفى سويسرا عرفت لينين ، وتروتسكى .. وبلنكوف .. وكانوا يهودا ، لكنهم كانوا يحتقروننا — نحن دعاة (الصهيونية) — ويقولون لنا أن اليهـودى يجب أن يصلح وطنه اولا لا ان يهـرب منه ويدعو نفسه يهوديا .. فكنت ابادلهم (احتقارا باحتقار وكرها بكره) !

وهذا الاساس الاول للفلسفة الصهيونية هو الاكذوبة الاولى فقد ثبت علميا ، وتاريخيا ان الشعب الاسرائيلى اصبح خرافة لا وجـود لها اليوم على الاطلاق !..

فمن الناحية التاريخية ثبت ان اليهود قد قاموا بنشاط (تبشيرى) واسع قبل ميلاد المسيح بألف عام ، ويقول البروفسور (اليهودى) ليوى استاذ اللغة العبرية فى جامعة اكسفورد (١)

نشط اليهود الى التبشير عندما رأوا الوثنية قوية النفوذ منتشرة فى العالم ، والمؤرخون القدماء من اليـونانيين والرومانيين يعترفون بقوة الدور التبشيرى الذى قام به اليهود

وقد ثبت من ناحية اخرى ان يهود اوروبا قد اعتنقـوا الدين على أيدى بعض المبشرين الاسرائيليين الذين هاجروا الى هناك فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وكان اكثر اولئك المتهودين الجدد من سلالة السلاف

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ص ١٦٥ مجلد ١٣

والالمان ، وعندما بدأ هتلر حملته الارهابية ضد اليهود ، اضطر عدد كبير من اولئك اليهود الى تقـديم وثائق تثبت فعلا انهم آريين ومن اصل جرمانى لا علاقة له باسرائيل ، وتولت لجنة علمية فحص هذه الوثائق وتأكدت من صحتها ، وبلغ من دقتها أنها اكتشفت بالفعـل بعض الحالات المزورة !

وقد ثبت ايضا ان النشاط التبشيرى لليهود قد انتشر فى الحوض الشمالى لنهر الرين ، ولما اعتنق الدين اليهودى مئات الالوف حوالى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد ، تفرقوا فى مجموعات كبيرة الى روسيا ودول البلقان فاستوطنتها وقامت فيها بنشاط تبشيرى واسع للدين اليهودى

وقد ثبت ايضا ان (شعوبا) كاملة قد اعتنقت اليهودية بالجملة ، كما حدث مثلا عندما اعتنق شعب الخزر بأسره ديانة اليهود فى عهـد الامبراطور شارلمان

ومن المعروف تاريخيا ان المكابيين — فرسان الشباب اليهودى — قد اجبروا (ادوم والجليل) على اعتناق اليهودية بالقوة والارهاب !

ويعترف هرتس حاخام اكبر الامبراطورية البريطانية فى كتابه (الفكر اليهودى) بأن عددا كبيرا من غير اليهود اعتنقوا الدين اليهـودى فى انحاء الامبراطورية البريطانية خلال القرن الاول للميلاد

ويقول الاستاذ (رايلى) فى كتابه عن اجناس اوروبا (فى اواخـر القرن الماضى) ان تسعة اعشار اليهود فى العالم يختلفون عن سلالة اسرائيل اختلافا كليا ، فالزعم بأن اليهود جنس نقى خرافة ، ولقـد اصاب رينان عندما اكد ان كلمة (يهودى) ليس لها مدلول انثروبولى فى اوروبا وحوض نهر الرين على الاقل

واذا كان علماء الاجناس يميزون السلالات المختلفة بصفات جسدية خاصة تلازم كلا منهم طبقا لقوانين الوراثة .. واذا كانت اهم هـذه الصفات هى شكل الرأس والوجه والانف ، وشكل ولون الشعر ، وشكل ولون العيون ، وطول القامة ، ولون البشرة .. اذا كانت هذه هى الصفات التى يتخذها علماء الاجناس مقياسا علميا لهم فما اسهل ان ننظر الى يهود العالم لنجدهم فى الحبشة من السـود ذوى الشعر

الخشن المجعد ، ونجدهم فى اوروبا من الشقر ذوى العيون الزرق والشعر الذهب ! ونجدهم فى جنوب الهند من السمر الطوال القامة ، ونجدهم فى الصين من الصفر المغول !

واخيرا فقد قطع علماء الاجناس – فى كل انحاء العالم – بأن اجناس الدنيا ثلاثة هى – الزنجى ، والمغـولى ، والقوقازى ، وان الصفات الاساسية لها يستحيل ان تتغير الا خلال الآف السنين ، وهو ما لم يحدث لليهود الذين عاشوا فى مختلف قارات العالم ، وامتزجوا مع مختلف الشعوب بالبيئة والعادات ، والزواج الشرعى وغير الشرعى ، واخيرا بالانتقال من دين الى دين ، فكثيرا ما اعتنق يهود المسيحية .. بل كثيرا ما اعتنق بعضهم الاسلام ، ومن اشهر هؤلاء ... كعب الاحبار ! بل أن تاريخ الحكم العربى فى الاندلس يؤكد ان الوفا من اليهود فى أسبانيا قد اعتنقوا الاسـلام ، فى عهد الخليفة المهـدى الأموى بالذات !!

ومن ناحية اخرى ، كان بعض المسيحيين والمسيحيات ايضا يتهودون ويقول الاستاذ رابلى فى كتابه السابق ذكره (ان كثيرا من الدم المسيحى قد امتصه اليهود عن طريق الزواج غير الشرعى ، فقد حرم على اليهود – فى القرون الوسطى – ان يتخذوا جوارى من المسيحات ، ولكن هذا التحريم لم يحترم اذ نجد احد اساقفة المجر يقول سنة ١٣٣٩ ان يهودا كثيرين يعيشون مع زوجات غير شرعيات من المسيحيين ، وان المتسللين الى الديانة اليهودية يعدون بالالآف !)

والاساس الثانى للدعوة الصهيونية هو ان اليهـود ليسوا مجرد اصحاب عقيدة دينية ، بل هم ايضا شعب

ويفلسف مفـكرو الصهيونية هذه الخرافة الثانية بمنطق غريب يرتكز اول ما يرتكز على الخرافة الاولى وهى انهم جنس ... انهم سلالة يعقوب او اسرائيل كما تقول التوراه ان الله طلب اليه ان يتسمى بهذا الاسم ! وعلى هذا الاساس يكون لهم تاريخ مشترك هو تاريخ هذه السلالة ، وتقاليد مشتركة هى تقاليد (شعب اسرائيل) ولغـة مشتركة هى اللغة العبرية ، ومصالح اقتصادية مشتركة هى التى توحد

بينهم ، واخيرا ارض مشتركة هى ارض فلسطين .. بل هى المنطقة التى حددها (رب الجنود) لمملكتهم .. من النيل الى الفرات !!

اما انهم سلالة اسرائيل فهذا ما قضينا عليه ، بل ما قضى عليه العلم اما تاريخهم المشترك فيؤسسونه على انه تاريخ وجودهم فى ارض كنعان ، اى منذ نحو اربعة الآف عام ، وانهم منذ اخرجوا من مملكتهم يعيشون فى المنافى .. غرباء ومضطهدين ، يطردون من بلد فلا يكادون يرحلون الى بلد آخر حتى يطردهم الى بلد ثالث !

يقول هاريس (١) يصف (الشعب اليهودى)

انحدر من جبال طور سينا فاخذ يتقدم بخطى ثابتة متئدة مجتازا تارة عهد تسامح ذهبى ، وتارة عهد اضطهاد حـديدى مانحا قانونه الاخلاقى فى سبيل تأسيس حكومات عديدة متأثرا بعادات وحياة الشعوب التى مر فى وسطها .. لكن هل اقول كما قلت عن النهـر ، انه انتهى اخيرا فتلاشى فى محيط الانسانية ؟ كلا بل مثله مثل سيل الخليج الذى يمر وسط المحيط الاطلنطى الكبير كأنه جزء منه ، وهو مختلف تماما عنه !

ويقول ابراهامس (٢) استاذ التلمود البروفسور بجامعة كمبردج :

لقد اجمع يهود العالم على ان قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتنهها قصيرو النظر ، المتعصبون من دعاة الوطنيـة المحلية فجميعنا اذن صهيونيون بحكم ان الصهيونية هى التى تقوى فينا روح التضامن وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة ! !

ويتحدث فلاسفة الصهيونية عن التقاليد المشتركة والثقافة المشتركة فيقولون انهم توارثوها ابا عن جد ، اذ انهم ظلوا فى منافيهم يعيشون فى احياء خاصة (الجيتو) .. او حارة اليهود ، كما فى بلاد الشرق العربى ، اما اللغة المشتركة فى نظرهم – العبرية – فهى لغة التوراة .. لغة اسرائيل !

ويتحدث الصهيونيون عن الارض المشتركة ، فيحيلون المستعمر

(١) حاخام امريكى توفى سنة ١٩٣٠
(٢) عن « الحياة اليهودية فى القرون الوسطى »

الى التوراه ، ليؤكدوا أنهم ورثوها بفرمان الهى ! وان الله قد مكنهم فعلا من سكناها .. ويتحدثون بالذات عن المملكة التى اقاموها فيها مملكة سليمان ، وداوود !

وليس اسهل من القضاء على هذه التخريجات الصهيونية التىلاتكاد تقف على قدميها امام العلم ، فليس لليهود من مقومات الشعبوشروط تكوينه سند واحد !

فالتاريخ المزعوم هو تاريخ فترة قصيرة من الزمن ، لم تتجاوزمرحلة واحدة من مراحل تطور المجتمع العالمى ، ونعنى به مرحلة النظام العبيدى .. ولم تلبث هذه القبائل العبرانية ان تاهت فعلا فى جوف التاريخ ، وتشتت فى مختلف الشعوب ، حتى اصبح لكل جماعة منهم تاريخا جديدا ، كتبته مع الشعوب التى عاشت معها وتطورت داخلها .. ومن السخرية ولا شك القول بأن اليهود الذين عاشوا فى انجلترا منذ عشرات القرون ، يؤلفون تاريخا مشتركا مع اليهود الذين عاشوا فى روسيا والبلقان منذ عشرات القرون ايضا ! ..

وما يقال عن التاريخ المشترك يقال عن خرافة الثقافة والتقاليد المشتركة ايضا ... اذ يكفى فى الرد عليها ، ان يهود اوروبا الذين هاجروا الى اسرائيل لم يستطيعوا حتى اليوم – وبعد ثمانى سنوات – ان يندمجوا مع يهود اليمن والعراق الذين هاجرو الى اسرائيل فى نفس الوقت ، لبعد الشقة بين ثقافة وتقاليد اولئك وهؤلاء !

والكلام عن الثقافة المشتركة يجرنا الى الكلام عن اللغة المشتركة ايضا ، فهذه اللغة العبرية التى يقول الصهيونيون انها تربط بينهم .. هذه اللغة العبرية لا يتكلم بها الى اليوم اكثر من ٤ ٪ اربعة فى المائة من مجموع يهود العالم ، بينما يتكلم نحو ٤٠ ٪ منهم لغة اخرى هى (اليدش) ويتقاسم بقية يهود العالم بقية لغاته ايضا ، بحسب الدولة التى يستوطنونها ، ومن هنا فان فى اسرائيل اليوم صحفبجميع لغات العالم .. الانجليزية والفرنسية والروسية والعربية والعبرية واليدش .. وغيرها من اللغات ...

واذا كانت اللغة هى وسيلة الثقافة ، واذا لم يكن لليهود لغة خاصة

فليست لهم بالتالى ثقافة خاصة

وماذا يبقى لليهود من مقومات الشعب .. الارض المشتركة ؟

من السخف ان يقال بأن الارض التى شهدت حضارات متعاقبة منذ خمسة الآف سنة الى اليوم ، تظل حكرا لليهود لان القبائل العبرانية اقامت فيها مملكة لم تدم على مر التاريخ كله قرنا كاملا !

ومن السخف ان يقال عن اليهود الذين انقطعت صلتهم بفلسطين منذ اكثر من الفى عام ، ان لهم حقوقا (قانونية) فى تلك البلاد ، بينما تنكر هذه الحقوق (القانونية) على العرب الذين استوطنوها بصفة مستمرة ودائما منذ اكثر من الفى عام !

ومن السخف ان يقال بأن (الصلة الروحية) لم تنقطع ابدا بين اليهود وبين فلسطين طوال هذه الآلاف من السنين بدليل انهم فى كل صلواتهم كانوا يذكرون اورشليم ويتجهون اليها ، ذلك ان الصلة الروحية التى تربط مسلمى الاتحاد السوفييتى بمكة المكرمة لا تجعل لهم حقوقا قانونية (فى الحجاز) ! والصلة الروحية التى تربط مسيحيى امريكا وانجلترا بالفاتيكان لاتجعل لهم حقوقا قانونية فى روما !

كلا بل ان فلسطين هذه كانت منطقة (ذكريات) بالنسبة للاديان الثلاثة ، فكانت (الناصرة) مسقط رأس السيد المسيح ، وكان المسجد الاقصى ، مسرحا لقصة الاسراء كما يرويها القرآن .. فلماذا يصر الصهيونيون على أن ذكرياتهمالدينية الاولى تعطيهم – دونسواهم – حق الاستيلاء على فلسطين ؟!

والاساس الثالث للدعوة الصهيونية هو ان اليهود ليسوا مجرد جنس ، وليسوا مجرد شعب ، انما هم فوق ذلك كله .. الشعب الممتاز ، او الشعب المختار ، او الشعبالوحيد .. او كما يقول هرتسحاخامانجلترا ((اسرائيل وحيد الشعوب)) !

ويبنى الصهيونيون على وصف الشعب المختار الذى ورد فىالتوراه لب دعوتهم ... اذ ان الله لم يختر شعبهم الا لسيادة البشر ، فالسيادة هى الرسالة التى اختص بها الله شعبه المختار :

ويذهب غلاة الصهيونيين الى ان اليهود هم الشعب الوحيد ، وما عداهم فحيوانات على هيئة البشر ، وان ما يدركهم من ايذاءات هؤلاء (الناس) واضطهاداتهم ، هو من قبيل العقاب الدنيوى على انحرافهم فى تنفيذ الوصايا ، وأن مثل هؤلاء الناس بالنسبة اليهم كمثل الحشرات والوحوش بالنسبة للناس !

ويؤسس فلاسفة الصهيونية امتياز (الجنس اليهودى) المزعوم على سائر الاجناس الاخرى ، بأنه جنس نقى مصفى ، لم يدركه ما ادرك الاجناس الاخرى من امتزاج او اندماج ، وفضلا عما فى هذا من اكذوبة يدحضها العلم ، فانها لو صحت لكانت سببا فى ان يكون اليهود اكثر الاجناس انحطاطا : فقد ثبت من الناحية العلمية ان تلقيح الاجناس المختلفة فى الحيوان يتمخض دائما عن انواع ارقى ، كما ان تطعيم الشجرة من شجرة اخرى — فى النبات — يسفر عن ثمار اكبر ، او اشهى !

ويحاول الصهيونيون تعزيز دعواهم بشأن خرافة الجنس الارقى بعشرات الامثلة التى يقدمونها كنماذج لعنصرهم (السامى) فيذكرون لك اسماء بعض النوابغ الذين لمعوا من بين اليهود ، فى عالم الادب والفكر ، او فى عالم الطب او الكيمياء او الهندسة .. كماركس ، وفرويد ، واينشتين الخ

وهى من المحاولات الساذجة التى تنطوى على ما يهدمها ، اذ يكفى ان تكون هذه امثلة معدودة ، مهما كثرت ، محدودة ، مهما اتسع نطاقها !

ولعل مما يدعو الى السخرية حقا ، ان يشعر دعاة الصهيونية بافتقارهم الى أدلة علمية يؤسسون عليها خرافة (الجنس الارقى) فيعمدون الى الغيبيات ، اذ يقول (جوزيف جاكوبس)

(ان لم يكن المقصد الالهى هو الذى وجه خطا بنى اسرائيل فى عملهم الطويل المدى ، فمن العبث ان نبحث عن المقصد الالهى فى حياة بنى الانسان) !

ويقول (بسيروس آدلر)

لا شك فى أن بقاء شعبى راجع الى غرض ، فان الله تعالى لا يفعل شيئا بلا غرض !

ويفصح (مارجوليس) اكثر عن هذا المضمون الغيبى فيقول :

أومن بأن شعب اسرائيل قد اختاره الله لاعلان حقائقه فى امر الانسانية ، ولكى يستمر رغم ما يلحقه من امتهان ، واستخفاف فى رسالته الالهية حتى يسود فى العالم عهد مملكة السلام !

ومملكة السلام هو الاسم الذى يطلقه الصهيونيون على مملكتهم مملكة صهيون !

والسلام لايسود فى العالم الا عندما تحكمه الصهيونية ، بعد ان تتربع على عرش صهيون !

***

وبهذه الاسس الثلاثة تؤلف الصهيونية فلسفتها وترسم المنهج الذى يجب ان يلتف حوله اليهود .. ان شعب الله المختار يجب ان يعود الى ارض الميعاد ، تلك التى تتألف من النيل الى الفرات لتضمهم وحدهم ، دون أن يكون فيهما نسمة واحدة لأى جنس آخر .. ثم تتحكم هذه المملكة فى بقية سكان العالم ، الذين لم يخلقهم الله الا ليستعبدوا ، ويسخروا ، لمجد صهيون !

الأحلام تتحقق!

ومن الخطأ أن تنظر الى الحركة الصهيونية باستخفاف أو عدم مبالاة أو نظن أنها لا تمثل سوى حفنة من الاحتكاريين اليهود ، فمع أن هذه الحفنة من الاحتكاريين هي التي توجه الحركة الصهيونية وتمسك خيوطها بالفعل ، الا ان هذه الحفنة هي (اغنى اغنياء العالم) !

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فالحركة الصهيونية حركة واسعة وقد بدأت في اوائل هذا القرن بيضع مئات من اليهود ، وبعد عشر سنين كان المؤتمر الصهيوني العام يضم بالفعل ستة ملايين من اليهود الذين يدفعون له اشتراكات بالفعل ، وهذا الرقم يربو على ٤٨ في المائة من يهود العالم اجمع !

واذا علمنا ان الانضمام الى الحركة الصهيونية من المسائل المحرمة قانونا في الاتحاد السوفييتي الذي يضم ما يقرب من مليونين من اليهود أدركنا ان وجود ستة ملايين من الصهيونيين وسيما هو الخطر ما يهدد أمن العالم ومستقبل الجنس البشري

وفي الوقت الذي يرى فيه بعض المتفائلين من غير اليهود ، ان الجماهير اليهودية الكادحة لا تزال بعيدة كل البعد عن الحركة الصهيونية ، يقول صادق سعد ، وهو يهودي مصري ، في كتاب له عن (فلسطين بين مخالب الاستعمار)

... وقد لقيت الدعوة الصهيونية استجابة نسبية عند الجماهير اليهودية . ثم يفسر هذه الاستجابة بأنها بسبب الاضطهادات المتوالية التي ذاقتها ، وتأثير الاعتقادات الدينية اليهودية التي تقول بقيام مسيح أو منقذ ينقذهم من الحالة التي هم فيها .

وهو تفسير بعيد عن العلم ، لا يصدر بحسن نية ، اذ يتجاهل صاحبه أن الاضطهادات التي تعرض لها اليهود على مر العصور لم تأت عفوا ، ولم تكن اضطهادا دينيا من الشعوب المسيحية كما يحاول بعض اليهود

أن يفسروها ، بل كانت هذه الاضطهادات ذات جذور طبقية .. كانت الصدى الطبيعي لشعور الحقد الذى تشعر به الجماهير نحو مستغليها وكانت اليهودية تمثل رأس الرمح فى النظام الاستغلالى

اما العقائد الدينية التى يعتبرها الاستاذ صادق سعد سببا لاقبال الجماهير اليهودية على الحركة الصهيونية .. هذه العقائد كانت — قبل ان تأخذ هذا المظهر الفكرى — مصالح واحتياجات مادية لها وجود حقيقى داخل التطور الاجتماعى

ولنعد الى صميم موضوع الخطر الصهيونى ، ومداه ، واول مظاهره هى تلك الحركة الصهيونية الواسعة المتغلغلة النفوذ فى كل مكان فى العالم ...

هذه الحركة الصهيونية تتزعمها ويمولها بضع مئات من ملوك المال فى امريكا وانجلترا وفرنسا وسائر الدول الاستعمارية والرأسمالية .. ولها اكبر قاعدة حربية فى افريقيا ، تتألف من مليون ونصف جندى ، هم مجموع سكان اسرائيل ! ولها جيش ضخم يتألف من ستة ملايين جندى هم عدد اعضاء الحركة الصهيونية رسميا ! ولها طابور خامس كبير لا يكاد يعرف عدده من مئات الالوف من المأجورين ، والمضللين ، والنفعيين من غير اليهود ، وان عملوا للصهيونية بقصد او بدون قصد ، بطريق مباشر او غير مباشر !

فى الاسواق والبورصات

وهذه الشبكة الصهيونية الضخمة ، تمد اذرعها كالاخطبوط فى كل ناحية ، وفى كل ميدان ... تتحكم فى اسواق العالم ، وبورصاته ، واقتصادياته .. ففى كل عشرة بيوت للسمسرة فى العالم — تسعة على الاقل — يتولاها اليهود ، يرتبطون جميعا بصلات ظاهرة او خفية ، وقد تتعدد العناوين التى يعملون تحتها ، وقد يخضعون لبعض عوامل المنافسة التى لا مفر منها ، ولكنهم فى النهاية يعزفون لحنا واحدا ، يقطع بأن لهم — من وراء الستار — (مايسترو) واحد يدربهم ، ويحركهم ،

ويشرف على الدور الذى يؤدونه لحساب السيطرة الصهيونية على كنوز العالم اجمع

ان شياطين السمسرة من اليهود يستطيعون بأساليب غاية فى الغرابة ، ان يرفعوا ويخفضوا اسعار جميع الاسهم والسندات ... وهى ترتفع الى اقصى حد عندما تكون فى ايديهم ويكون المطلوب هو بيعها ! وهى تهبط ايضا الى اقصى حد عندما تكون فى ايدى سواهم ، ويكون المطلوب هو شراؤها !

وقد كانت اسرة روتشيلد وحدها تتحكم فى أسواق وبورصات انجلترا ، وفرنسا ، والمانيا ... وكان لروتشيلد الكبير بيوت رسمية فى كل من العواصم الثلاثة .. وكان بيت روتشيلد فى وقت من الاوقات هو الذى يعين الوزراء ، ويسقط الوزراء .. فى كل من هذه الحكومات الالمانية والفرنسية والانجليزية !

واليوم ايضا .. من هم الذين يتحكمون فى سياسة امريكا وفرنسا وانجلترا .. وسائر دول العالم الرأسمالى ؟

فى امريكا .. حيث يعيش نحو سبعة ملايين من اليهود ، وهى اقلية طبعا ، لكن اية اقلية ؟

انها الاقلية التى تتحكم فى الصحافة .. كما تتحكم ايضا فى السينما فرءوس الأموال المستغلة فى هذه الصناعات الخطيرة ٧٢ ٪ منها رءوس أموال يهودية ! ومع ذلك فلا تقنع الصهيونية بهذا ، فنجد أكثر المخرجين هناك من اليهود .. مثل سيسيل دى ميل ، واكثر كتاب السيناريو من اليهود مثل بن هاشيت ! واشهر الممثلين هناك من اليهود مثل سوزان هيوارد ودانى كاى .. لغاية الصور المتحركة نجدها فى قبضة يهود ، على رأسهم والت ديزنى !

وكما تسيطر الصهيونية على الصحافة ، والسينما ، فهى تسيطر ايضا على الشركات والاحتكارات الكبرى .. ان أسماء مورجان ، وبرنارباخ وسينكوف وليهمان هى ألمع الاسماء فى عالم الملايين وكلها أسماء يهودية ! وستاندارد أويل ، وفاير ستون ، وجنرال الكتريك ، وغيرها

من أكبر الشركات الاحتكارية فى أمريكا هى شركات تعتمد أساسا على المال اليهودى ، ان لم تكن يهودية لحما ودما !

ان نصف مليون يهودى فى امريكا يملكون وحدهم ٣٢٪ من اسهم الشركات الصناعية والتجارية والزراعية فى جميع انحاء الولايات المتحدة الامريكية !

وفى فرنسا ... يملك اليهودى مارسيل بوزاك وحده اغلبية الاسهم فى نحو ٥٥ شركة فرنسية ، ويحتكر توريد خيول السباق للعالم كله .
ان هذا الرجل الذى يعد اغنى اغنياء اوروبا فى الوقت الحاضر ، هو الذى يحرك عشرات من السياسيين الفرنسيين والحكام الفرنسيين كما يحرك قطع الشطرنج !

وفى فرنسا .. يملك اليهود اكبر مؤسسات الطباعة والنشر ... ويحتكرون تجارة الاغذية ، ومحلات السعر المحدد ، وشركات الفواكه المجففة والخضروات المحفوظة حيث يتعاونون مع أبناء العمومة والخؤولة فى الجزائر من اليهود الذين يستولون هناك على اكبر مزارع الفاكهة ، وحقول الخضروات !

ففى الجزائر تلك .. تبلغ نسبة اليهود بين الأوربيين المستعمرين اكثر من النصف .. انهم ١٥٠ الف يهودى يحتكرون كل اقتصاديات ذلك البلد المنكوب بهم ، دون ان يعتدى احدهم على اختصاص الآخر فبينما تحتكر عائلة بنزايون كل تجارة الداخل ، تتولى عائلة كوهين احتكار تجارة الخارج !

وفى انجلترا .. تمتلك الصهيونية نصيب الاسد فى الثروة العقارية والصناعية والتجارية على السواء .. وليست شركات شل والصناعات الكيماوية ، ومصانع الغزل ، وبورصة ليفربول .. سوى بعض الامثلة لنواحى النشاط الاقتصادى البريطانى الذى يسيطر عليه اليهود !

وتتعدد الامثلة فى كل مكان من العالم .. فى طنجة .. ومراكش حيث يعيش ثلث مليون يهودى ! وفى ايطاليا وحتى فى لبنان والعراق بل حتى هنا فى مصر ، لا يزال اليهود رغم العيون المفتوحة والرقابة

اليقظة .. يتحكمون بأموالهم فى اقتصاديات البلد

لا تزال تجارة الذهب فى مصر ، فى قبضة حفنة من اليهود !

ولا تزال تجارة المنسوجات فى مصر ، فى قبضة حفنة من اليهود ، شيكوريل ، وعدس ، وبنزايون ، وشملا ، وجاتينيو ، وفيليكس دانا .. وكل تجار الجملة فى الحمزاوى !

ولا تزال تجارة الورق فى مصر ، فى قبضة حفنة من اليهود ! هرارى ، وساسون ، وفرحى ... الخ !

ولا تزال تجارة القطن فى مصر فى قبضة من اليهود .. يعبيس ، وكورى ، وسلفاجو ، وشركة الاسكندرية ، وماتيو اسرائيل :
بل لقد ظهر من فضائح القطن المتوالية فى الماضى ، ان كل بيت من بيوت القطن المصرية ، كانت تنطوى على يهودى يعمل من وراء الستار .. وليس مثل دافيد محرز ببعيد ، ومن قبله ايضا كان ايلى درعى !

ولا تزال بعض شركات المقاولات التى تعمل فى ملايين الجنيهات تعتمد على أموال اليهود لفرا وفيدون .. وغيرهما !

ولا تزال البورصة فى قبضة اليهود .. شارل بينتو وعشرات السماسرة الذين يبلغون اكثر من تسعين فى المائة من مجموع سماسرة القطن فى مصر !

ولا تزال اغلب شركات السياحة ... بل حتى الشئون المصرفية لا تزال فى قبضة بعض اليهود .. موصيرى وجوزيف ليفى وغيرهما

ولا تزال عشرات التوكيلات الصناعية والتجارية فى ايدى اليهود فى مصر .. جرين ، وروفيه ، وأوفاديا سالم المليونير المعروف !

ولا تزال شركات السينما ـ سواء فى التوزيع او الانتاج ـ تقوم على رءوس اموال يهودية !

وقد أجاب الكاتب المعروف عبيد الامام على سؤال وجه اليه بشأن عدم مساهمته فى تصوير المأساة الفلسطينية التى عاش فيها ، بتأليف قصة سينمائية عنها ، فقال (١) :

---

(١) عدد الجمهورية الصادر يوم ١٩٥٦/٨/١٢ .

تذكرت قصصا لا نهاية لها من سلسلة المآسى الفظيعة التى أصبحت هى حياة أهلى ومواطنى ، منذ عصف بهم الظلم والبغى ..

ولكنى لم أفكر فى كتابة أى منها للسينما ، كما اقترحت على القارئة التى أعادت الى ذهنى كل هذه الذكريات ...

فلو كتبت أنا ، أو كتب غيرى ، قصة من هذه القصص للسينما ، فلن يقدر لها قط أن تخرج فى فيلم .

فالجهات التى تسيطر على صناعة السينما لدينا ـ وعلى رأسها شركات التوزيع ـ لن تتيح قط فرصة الظهور لأفلام من هذا النوع!!

ومن الصعب ان يستطيع الباحث حصر رأس المال اليهودى فى العالم ليس فقط لانه يتطور بسرعة،وينمو ويزداد بلا توقف ..بل لان المال بطبيعته لا يمكن تحديد دينه او جنسيته ، فأكثر اسهم الشركات والاحتكارات فى العالم هى سندات لحامليها .. فلا تستطيع بالتحديد معرفة اسماء حملة هذه السندات .. وبالتالى شخصياتهم ودياناتهم !

وهكذا تسيطر الصهيونية على ثروة العالم اجمع ، وتمتصها عن طريق هذا التلاعب الذى يستعينون عليه بنفوذهم فى سائر الميادين الاخرى ...

التجسس فى التوراة !

ان اليهود مثلا هم العنصر الاساسى فى أكثر مخابرات الدول الكبرى والصغرى على حد سواء ، وهم القاسم المشترك الاعظم فى اكثر من شبكة للتجسس ، فكثيرا ما يعمل اليهودى الواحد فى جهازين متعارضين وقد ظهر ان كثيرا من الجواسيس اليهود ، فى الحربين العالميتين الاولى والثانية ، كان الواحد منهم يعمل لحساب دولتين متحاربتين فى نفس الوقت! ليس فقط لانه لا يشعر بالايمان لأية جنسية غير جنسيته اليهودية المزعومة ، بل ولان العمل الاساسى والهدف الاكبر له هو التجسس لحساب الصهيونية العالمية نفسها !

يقول الكاتب الانجليزى المعروف دوجلاس ريد (... وتعرف الحكومة البريطانية تمام المعرفة أن الصهيونية تملك أخطر جهاز

للمخابرات فى العالم) !

ولا عجب فلعل الدين الوحيد الذى دعا الى الجاسوسية ووضع لها نظاما وقواعد هو الدين اليهودى ، فالصهيونية تستغل ما ورد فى التوراه من قصص الجاسوسية كما ابتدعها ابناء اسرائيل ، لتجعل من التجسس خدمة دينية يزاولها اليهود على اساس من الايمان العميق !!

وأخطر ما جاء فى التوراة من هذه القصص أن موسى عندما أراد أن يغزو أرض كنعان ، انتخب اثنى عشر جاسوسا ... واحدا من كل سبط من أسباط اسرائيل هم شموع وكالب وشافاط وبجال ، وهوشع وفلطى وجديئيل وجدى وعميئيل وستورونجى وجاوئيل .. وبعضها أسماء مستعارة من باب الاحتياط فيوشع مثلا هو فى الأصل يشوع بن نون ، وهكذا ....

وقال موسى لهؤلاء الجواسيس « اصعدوا من هنا الى الجنوب واطلعوا الى الجبل وانظروا الارض ما هى والشعب الساكن فيها اقوى هو ام ضعيف ؟ قليل ام كثير ؟ وكيف هى الارض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة ؟ وما هى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات ام حصون ؟ وكيف هى الارض أسمينة ام هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الارض »!

(سفر العدد الأصحاح الثالث عشر)

ولما أراد يشوع بن نون أن يغزو (اريحا) بعد أن تولى قيادة اسرائيل انتخب جاسوسين ايضا وقال لهما :

« اذهبا وانظرا الارض واريحا ـ يشوع ٢ ـ ١ »

فذهبا ودخلا الى بيت امراة زانية اسمها راحاب واضجعا هناك (يشوع ٢ ـ ٢)

واختبأ من وجه سعاة الملك بسعى الامراة النازلين عندها اذ وارتهما بين عيدان كتان لها منضدة على السطح

ووعداها أن يستحيياها وعائلتها أيضا معها وكل مالها عند اخذ المدينة يشوع ٢ – ١٢ ، ١٤ »

واعطياها الحبل القرمزى هوذا نحن تاتى الى الارض فاربطى هذا الخيط من خيوط القرمز فى الكوة وانزلتهما من الكوة هربا من السعاة ولئلا تعلم بهما وفتش السعاة فى كل الطريق فلم يجدوهما (يشوع ٢ – ٢٢)

وهكذا تجد الصهيونية من اسفار التوراة ، واخبار اسرائيل المقدسة ما تجعله أساس توجيهها فى تجنيد اليهود المتطوعين الذين يقومون لها بهذا الدور فى كل بلاد العالم !

ولابد ان تكون نتيجة التجسس لمصلحة الصهيونية .. لمصلحة اسرائيل ، ففى التوراة ايضا ، ان الجواسيس الذين عادوا من ارض كنعان وتحدثوا عن قوة الكنعانيين فأضعفوا معنوية الجنود .. هؤلاء الجواسيس ابادهم الله ، عقابا على ما اقترفوا ، عدا اثنين منهما هما كالب ويشوع ، اذ خالفا الآخرين فى الرأى !

بهذه التخريجات الدينية تدفع الصهيونية باليهود الى التغلغل فى كل أجهزة المخابرات العالمية ، وعن طريق هذا التغلغل تصبح الصهيونية أقدر على استغلال المتناقضات بين مختلف الدول .. بل وأقدر على خلقها خلقا !

وعن طريق هذا التغلغل يمكن للصهيونية العالمية عند اللزوم تضليل بعض الحكومات بتقارير زائفة لاتهام بعض الابرياء ، او التستر على بعض المجرمين .. وتخدير وتنويم بعض هذه الحكومات بينما هى فى خطر ، واهاجة واستفزاز حكومات أخرى ، لعلها كانت تعيش فى هدوء وسلام لولا هذه الاستفزازات الملفقة !

وقد كانت من الاهداف السرية لحملة هتلر على اليهود رغبته فى تجنيد اكبر عدد منهم للتجسس على مختلف حكومات العالم ، وكان يعرف قدرتهم على هذا العمل بما يتيحه لهم نفوذهم وتضامنهم

فى كل مكان ... وهذا هو السبب الذى حدا به الى ان ينظم طريقة (نفيهم) خارج المانيا !... فعملية طرد اليهود من المانيا ، لم تكن تقف عندحد اخراجهم من الحدودالالمانية .. كلا بل كانت تتناول كذلك توزيعهم على مختلف البلاد التى يريد الفوهرر ان يتجسس عليها توزيعا فنيا ، يشرف عليه بعض الخبراء اليهود وفى مقدمتهم بيشو وجلعاد !

ومن هنا فقد نفخ جيبلز – وزير الدعاية النازية – فى تهمة الاضطهاد العنصرى التى وجهها يهود العالم الى هتلر ، بدلا من نفيها او تبريرها! حتى تساعد هذه الحملة الزائفة فى التستر على جواسيس النازى من اليهود الذين شتتوا فى انحاء الارض !!

ولعل مما يدعو الى العجب ، بل الى السخرية ، أن هتلر – رغم كل ما قاله فى اليهود ، وبعد كل ما فعله لطردهم من المانيا .. هتلر هذا كان يدعو لتدبير وطن قومى لليهود ، بحجة أنه سيكون بمثابة صندوق قمامة للعالم !!

وعن طريق هؤلاء الجواسيس ، كانت الصهيونية العالمية تقف على أسرار الفريقين المتحاربين .. فتتجر بها فى المعسكرين . ثم تتجر بها اتجارا آخر بطريق غير مباشر ، اذ تعرف كيف تستغل الفرص فتثرى وتربح ، وتملأ خزائنها بالمال .. ولم لا ؟ وهى التى تعرف دون سواها متى يشن هجوم هنا ، أو متى يقف زحف هناك ؟ ولم لا وهى تعرف كل شىء عن تحركات مختلف الجيوش ، وما تقتضيه هذه التحركات ، وما تحتاج اليه من تموين ، ومهمات ، وكل ما يمكن ان يقدمه اليهود من خدمات او بضائع ، او كل ما يمكن أيضا أن يشتروه ؟

ومن ناحية أخرى ، تستطيع الصهيونية – عن طريق التغلغل فى أجهزة المخابرات المحلية – التحكم الى حد ما فى تكييف الاوضاع الداخلية لاى بلد ، أو على الاقل فى تخريب كل حركة وطنية أو تحريرية ، وافساد أيةمحاولةلتسليط الاضواءعلى مؤامراتهم ، وتحطيم جميع العناصر المعادية لهم ، وبالعكس أيضا تستطيع تعظيم وتأليه حفنة من النفعيين والمرتزقة الذين تعتمد عليهم كطابور خامس ، سواء

كانوا فى الدوائر العليا ، او فى المنظمات الشعبية !

وقد ظهر من المؤامرات التى كشف امرها بين عامى ١٩٥٢ و ١٩٥٣ فى تشيكوسلوفاكيا والمجر ، أن المخابرات الاستعمارية لم تكن تعتمد الا على عناصر يهودية !

وفى الاتحاد السوفييتى نفسه ، كشفت مؤامرة صهيونية لحساب المخابرات الاستعمارية ــ كانت تهدف لقتل زعماء الحزب الشيوعى عن طريق تسعة من الاطباء اليهود ، عرف انهم تمكنوا فعلا من قتل زدانوف ، وشرعوا فى قتل آخرين .. وقد افرج عنهم بريا ــ اليهودى الخائن ــ واعتقل الذين كان لهم فضل الارشاد عنهم .. لكن بريا نفسه لم يلبث ان كشف أمره ، كاكبر عميل فى الاتحاد السوفييتى للمخابرات الاستعمارية ، وعندى انه لم يكن يعمل لحساب امريكا او انجلترا كما فهم البعض ، بل كان يعمل اساسا من اجل اهداف الصهيونية العالمية فى السيطرة .. على العالم

وبدلا من ان يستنكر يهود العالم هذا النشاط التخريبى الذى تقوم به الصهيونية ضد اسبق الدول الى اكرام وفادة اليهود ، واعتبارهم مواطنين لهم حقوقهم السياسية والاجتماعية على قدم المساواة مع جميع المواطنين .. بل ضد الدولة التى سمحت لهم ان يلوا فيها اكبر المناصب الوزارية ، او الحزبية

بدلا من ان يستنكر يهود العالم هذا النشاط التخريبى الذى تقوم به الصهيونية ضد اسبق الدول الى اكرام وفادة انيهود ، واعتبارهم مواطنين لهم حقوقهم السياسية والاجتماعية على قدم المساواة مع جميع المواطنين .. بل ضد الدولة التى سمحت لهم ان يلوا فيها اكبر المناصب الوزارية ، او الحزبية

بدلا من هذا فقد روعوا ، وشنوا حملة عالمية على الاتحاد السوفييتى الخونة ، وتعاونهم مع الدول الاستعمارية ضد هذه الشعوب الآمنة .

بدلا من هذا فقد روعوا ، وشنوا حملة عالمية على الاتحاد السوفييتى وصفوه فيها بأنه يعيد عهد الاضطهاد الهتلرى !

ولم تقف الحملة عند هذا الحد ، من الدعاية الصحفية ، بل تجاوزوها الى الارهاب التقليدى الذى يلجأون دائما اليه ، فلم تلبث القنابل أن القيت على بعض دور السفارات السوفييتية فى الخارج ، بل وعلى سفارة الاتحاد السوفييتى فى تل أبيب بالذات !

وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذا الارهاب الطائش هو قطع العلاقات السياسية بين الاتحاد السوفييتى واسرائيل وقتا طويلا

الانحلال هدف ووسيلة

وعلى ذكر المخابرات الصهيونية وعملائها فى كل مكان !

يعتبر اشاعة الانحلال فى العالم ، بالنسبة للصهيونية العالمية هدفا ووسيلة فى وقت معا .. كما تقضى بذلك بروتوكولات حكماء صهيون

ومن هنا كان اليهود ايضا على رأس الكباريهات والمواخير وأندية القمار فى العالم بأسره .. لانها السبيل لتحقيق أربعة اهداف

أولها ــ الاستيلاء على أموال أكبر عدد من الاميين !

ثانيا ــ الاتجار فى فضائحهم الشخصية ، عن طريق التهديد لابتزاز الاموال !

ثالثها ــ اصطياد اكبر عدد من المنحلين الذين يلتقون فى هذه المواخير لاستخدامهم كجواسيس وعملاء للصهيونية العالمية

رابعها ــ افساد اكبر عدد من الاميين ، وتلهيتهم عن مختلف ميادين النشاط الاقتصادى والسياسى والاجتماعى بالاستغراق فى أحط أنواع اللهو !

فى فرنسا ، يدير اليهود اكبر شبكة لبيوت الدعارة ، وعلب الليل ، ومواخير الشذوذ الجنسى ..

وفى امريكا ، كان اليهود على رأس العصابات التى تروج تهريب الخمور ، عندما كانت امريكا تحرم هذه الخمور ..

وفى مراكش ، كان اليهود يستخدمون الجلاوى باشا مراكش (برفاظ) لادارة جميع بيوت البغاء العلنى ..

وفى لبنان ، كان اليهود وراء كل عصابة تتجر بالمخدرات او تتولى تهريبها ..

وفى فلسطين ، كان اليهود ولا يزالون يزرعون الحشيش علنا ليصدرونه الى البلاد العربية

وحتى هنا فى مصر .. اليهود يتولون ادارة المواخير الارستقراطية ولا يزال الناس يذكرون اسم ميشيل طراب ، اليهودى الذى اقنع مصطفى النحاس بأن يؤجر له بيت الذكريات فى مصر الجديدة — بيت الامة — ليقيم فيه ماخورة للترفيه عن الضباط الانجليز .. حيث يشربون ويرقصون ، ويلعبون .. الى آخر ما يفعلون !

ولا يجد اليهود أية غضاضة فى ادارة بيوت الدعارة لغير اليهود ، ففى التلمود أيضا — ذلك الكتاب المقدس من كتب اليهود — ما يبرر هذا ، فالزنا بين الاميين بعضهم بعضا لا يعتبر حراما ، اذ انه من قبيل الزنا بين سائر الحيوانات الاخرى !

كما أن التوراة — كما اسلفنا — قد بررت اضطجاع الجاسوسين مع الزانية فى اريحا ، واثنت على جهودها لانها كللت بالنجاح ، وساعدت (يشوع) بن نون على فتح المدينة !

ومن هنا نجد أن ترويج الفسق والانحلال ، هى بعض الواجبات الاساسية ، ان لم يكن فى نظر اليهودى ، فعلى الأقل فى نظر الصهيونى الذى يفسر كل ما فى التوراة والتلمود .. لحساب مبادئه فى السيطرة!

صحافة العالم فى قبضة اليهود

وكما تسيطر الصهيونية العالمية على الاسواق والبورصات . وكما تسيطر على أجهزة المخابرات — الخارجية والداخلية — فهى تسيطر ايضا على صحافة العالم أجمع !

وبواسطة الصحف التى تصدرها او تمولها لحسابها او تسيطر عليها يمكنها أن توجه الرأى العام حسبما تقتضى ارادتها أو توحى لها مصالحها ، فهى تخلق الاشاعات والاضطرابات التى تساعدها على التأثير فى البورصة بعد ان تكون قد تهيأ تملا ينتظر من رد الفعل

الطبيعى لمؤامراتها على صفحات الصحف او بين كواليس المخابرات .. وهى ترفع المرتشين والخونة الى مراتب الزعماء والقادة ، وتخفض المخلصين والمناضلين الى الدرك الاسفل من الحضيض .. وفى يد الصهيونية العالمية — عن طريق التحكم فى الصحف ودور النشر — ان تفرض على ملايين القراء نوع المؤلفات التى يطالعونها ، وتحدد لهم الكتاب والفلاسفة الذين يتأثرون بهم !

وقد ثبت من احصاء حديث نشر عام ١٩٥٦ (١) ان اليهود الذين لا يكاد يتجاوز عددهم فى انحاء العالم كله ثلاثة عشر مليون نسمة ، يصدرون ٨٩٩ جريدة ومجلة يهودية بمختلف لغات العالم الانجليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية والايطالية والعربية والعبرية واليدش وغيرها .. لكن هذا الرقم على ضخامته لا يعطينا فكرة صحيحة عن تحكم الصهيونية العالمية فى صحف العالم ، فالصحف والمجلات ووكالات الانباء المنوه عنها هنا هى التى تنطق علنا بلسان اليهود ، لكن الخطر الاكبر يتمثل فى السيطرة على بقية صحف العالم .. فوكالات الانباء الفرنسية والانجليزية والامريكية غير محسوبة فى ذلك الاحصاء مع أن اليهود يملكون اكثر أسهمها ، ويشغلون أكبر مناصبها .. والنيويورك تيمس التى يملك سولزجر اليهودى اكثر أسهمها غير محسوبة فى هذا الاحصاء ، وجرائد فرنسا الكبرى غير محسوبة ايضا ، وهى التى يمولها يهود ، ويدير اكثرها أو يحرر أغلبها يهود !

وقد بلغ من أثر هذه القبضة الحديدية على صحافة العالم ، ان انتشارا .. فرنسوار ، وبارى بريس ، وبارى دى ماتش ..

ونظرة واحدة الى (ملوك) الصحافة فى اية دولة كبرى تجدهم دائما من اليهود !!

وقد بلغ من أثر هذه القبضة الحديدية على صحافة العالم ، ان (النيويورك تيمس) التى تعيش برءوس اموال يهودية فى الاغلب ، وقد

---

(١) الصحافة اليهودية فى العالم بقلم جوزيف فرانكل

جارت بالشكوى من تعنت الصهيونية العالمية معها ، اذ ان الجريدة الكبيرة رغم ولائها للصهيونية لم تسلم من الضغط الذى يشنونه على سبيل الارهاب !

والويل للصحيفة التى تغضب عليها الصهيونية العالمية ، فليس أسهل من قتلها ، ذلك أن الصحف التجارية عموما لا يمكنها ان تعيش بدون اعلانات الشركات والبيوت المالية والصناعية ، وما دامت هذه البيوت وتلك الشركات تخضع للسيطرة الصهيونية ، فلا شك ان فى استطاعتها التحكم ايضا فى توجيه الصحف او خنقها بحرمانها من موردها الاول والاكبر .. الاعلان !

ان اكثر شركات ومكاتب الاعـلان فى مصر ، كانت تقوم بأموال اليهود ، أو تحت ادارتهم وقد رأينا فى مصر أكثر من واحدة من هذه الشركات ، كما لا يزال هناك عشرات اليهود المسيطرين على مصادر توزيع الاعلانات فى مصر .

فمن الشركات اليهـودية للاعلان عنـدنا شركة الشرق للاعـلان (الفريد وولفريد ماجيار) وشركة سلفيو ماناتيا ، ومكتب (لنـد) المتخصص فى اعلانات المنتجات البريطانية ! ومكتب مسيكة !

ومن مكاتب الاعلان فى مصر ، ذلك المكتب الذى يديره اليهودى منتى ديموستين بلدوتش صاحب « بريد الشركات » والذى يصدر نشرتين دوريتين يوميا للاعلان ، أولاها باللغة العربية والثانية باللغة الفرنسية !

ولقد كانت شركة الاعلانات الشرقية ـ قبل تمصيرها ثم تحريرها ـ شركة يهودية مائة فى المـائة وكانت تصـدر عن دارها ثلاثة صحف فرنسية وانجليزية ، كما كانت تحتكر حق نشر الاعـلانات فى اكثر الصحف اليومية العربية ، كما كانت تحتكر امتياز الملصقات الاعلانية ، والاعلانات المضيئة وغير ذلك !

وكانت شركة الاعـلانات الشرقية هى الوكيل المعتـمد لأكثر الشركات الاجنبية ـ فرنسية كانت أو انجليزية أو امريكية الخ .. ـ فى توزيع ميزانية الاعلان لهذه الشركات فى مصر ، ترشو بها من تشاء

وتحرم منها من تريد !

وكانت تملك غالبية الأسهم فى شركة الاعلانات الشرقية مسز فينى ... ويليها المدير المنتدب ... هنرى حاييم ! بل نستطيع حتى الآن أن نقول الشىء الكثير عن تآمر الصـهيونية للسيطرة على الصحافة المصرية أيضا ... انها رغم الضربات القاصمة التى وجهت اليها والتى ترنح تحتهـا بالفعـل لا تزال تسعى فى غير يأس للابقـاء على بعض أسباب سيطرتها على صحافتنا ، فالشركات الكبرى التى يسيطر عليها الصهيونيون فى العـالم ، عن طريق ادارتهـا أو الاستيلاء على أكثر أسهمها ، كشركة الصنـاعات الكيماوية الامبراطورية ، وشركة شل ، وشركة الخطوط الجوية العالمية ، وغيرها من شركات الطيران وشركات الأدوية ، بل وشركات الكوكا كولا والبيبسى كـولا ... كل هذه تسيطر بميزانيتها الاعـلانية الضخمة على بعض الصحف والمجـلات والمدير المختص بهذه العملية فى أغلب هذه الشركات ... من اليهود !

ولا ننسى بعد ذلك أو قبل ذلك شركات التجـارة الداخلية التى يتولاها اليهـود وما تستطيع أن تتحكم به عن طريق اعلاناتها ... ويمكننا أن نتصور ضخامتها اذا أحصينا فرعا واحدا من هذه الشركات هو فرع المنسوجات فقط !

وكانت الصهيـونية تحاول فرض سيطرتها على صحافتنا المصرية عن طريق احتكار توزيع الورق كذلك ، فهذه التجارة كان يتولاها اليهود وحدهم فى يوم من الأيام !

بل يتغلغل النفوذ الصهيونى الى داخل الدور الصحفية أيضا ، ليتحكم فى ادارتها وفى تحريرها عن طريق مباشر وأضرب لذلك مثلا بدار واحدة ، هى دار الهلال ، حيث النفوذ الأكبر للادارة والتحرير من نصيب ديكتاتور الدار « اليير أنكونا » ، هذا الصـديق الحميم للسفارة الامريكية والذى أقنع مستر كيمرس المدير السابق لادارة الدعـاية الامريكية فى الشرق الاوسط ، أن يستحضر للدار ماكينات طباعة حديثة على بوارج حربية ! هذا اليهـودى هو من أبنـاء العم للارهابى الصهيونى ، أحد قاتلى اللورد موين !

وقد بلغ تآمر الصهيونية على كل أجهـزة الفكر فى بلادنا أن تمد أخطبوطها الى الطبـاعة والنشر ، فأنشأت فى وقت من الأوقات دار الكاتب المصرى ... كمـا أنشـأت بعض المكتبات ! وعرجت على الطباعة فمضت فى هذا الشوط الى حد أن بعض الصحف الصغيرة لم تكن تجد لها فى يوم من الأيام سوى الخواجة ... سلامون !

وقد أوقفت ظروف حرب فلسطين أكثر هذا النشاط ، وأخـذت العناصر الصهيونية تنكمش وتتقلص !

***

وعن طريق النفـوذ الثلاثى على البنوك والبورصات .. وعلى المخابرات الخارجية والداخلية ... وعلى الصحافة والنشر .

عن طريق هذه القبضة الحديدية ، تمهد الصهيونية لنفسها الأرض ، وتكتسح الألغام والعقبات فى طريق تقـدمها . تتحقق انتصاراتها السياسية فى أنحاء الكرة الأرضية ! وتدعم مراكزها فى سبيل السيطرة على العالم ! فى سبيل سيادة اسرائيل ، وفى سبيل استعباد وتسخير جميع شعوب العالم للجنس الأرقى ... أو للشعب المختار !!

انها تفرض على الأحزاب والمنظمات زعماءها وقادتها ... سـواء كانت من احزاب اليمين او أحزاب اليسار .. فحيث يمكن أن يكون الزعيم يهوديا فذلك هو الأفضل والأضمن كأن يوضع « ليون بلوم » على رأس الحزب الاشتراكى فى فرنسا ! « ودزرائيلى » على رأس حزب المحافظين فى انجلترا ! فاذا تعـذر هذا فليكن أقـرب الساسة الموجودين الى الخضوع ... فليكن أغباهم أو أجهلهم او أفسدهم أو أضعفهم أمام الرشوة وأسرعهم الى الخيـانة ، حتى يكون أسلسهم قيادا ، أو انقيادا للصهيونية ، وعملائها !

هل كان من المصادفات البحته أن يكون اسماعيل صدقى واحمد ماهر ، همـا أكثر السـياسيين المحافظين نفـوذا فى مصر ؟ أم ان هذا النفوذ كان مرتبطا برئاسة الأول لاتحاد الصنـاعات الذى كان حتى سنوات قليلة يضم أكثرية من البيوت الصنـاعية الخاضعة لليهود ؟!

كما كان مرتبطا بصـداقة الثانى بالسماسرة والمصرفيين اليهـود ممن درسوه على موائد القمار ووجدوا فيه فريسة سهلة ؟

وهل كان من المصادفات البحته أن يكون وراء كل حركة شعبية يهودى يمولها ، ليمكنه أن يمسخها ويشوهها ويحولها الى شـبكة للتجسس ، وأداة للهـدم والتخريب ، ومركز لتوزيع الاتهامات على كل من يجرؤ على الخروج على تلك المنظمات ؟

وهل كان من المصادفات البحته أن يكون المرابى دانيـال نسيم كورييل أصدق أصدقاء اسماعيل صدقى وأحد أعمدة النظام الرجعى فى مصر ، وأن يكون ابنه « هنرى » هو زعيم منظمة حدتو التى كانت تضع على وجهها قناعا شيوعيا تتنكر فيه ؟!

وهل كان من المصادفات البحته أن يعمل أحـد الوزراء السابقين قطبا مؤسـسا للحزب السعدى ، بينما تعمل زوجته ــ اليهودية ــ على تمويل بعض حركات الشباب ؟!

كلا بالطبع ... هذه الظاهرة المتكررة ، فى كل بلد ، لم تأت عفوا أو ارتجالا ، لكنها مسألة توزيع اختصـاصات لا أكثر ولا أقل ... فكل ما أوصت به « بروتوكولات صهيون » من تعاليم قـد تحقق ، ولم تكن وثائق هذه البروتوكولات اذن مزورة !

وهل كان مزور البروتوكولات أو مؤلفها يتنبأ ــ قبـل خمسين سنة ــ بأن اليهـود سوف يحتكرون مهنـة السـمسرة ليتحكموا فى بورصات العالم ؟

وهل كان مزور البروتوكولات أو مؤلفها يتنبـأ ــ قبل خمسين سنة ــ أن اليهود سوف يسيطرون على صحافة العالم وعلى مخابرات العالم ، وبالتالى على أحزاب وحكومات العالم ؟!

هل كان يتنبأ بأن هذه الملايين القليلة المبعثرة فى أنحاء العالم والتى تعيش منعزلة فى « الجيتو » منطوية على نفسهـا ... هل كان يتنبأ بأن يكون لها ــ بعد نصف قرن فقط ــ كل هذا النفوذ الذى تسيطر به على العالم فعلا ؟

من وراء الكواليس ...

... إلى خشبة المسرح !

هل كان يتنبأ بأن اليهود سوف يسيطرون على « عصبة الأمم » بعد الحرب العالمية الأولى ، ويتغلغلون الى أبعد حد فى هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ؟

وأخيرا ... هل كان مؤلف البروتوكولات ومزيفها يعرف مقدما أن الصهيونية العالمية سوف تحتل فلسطين وتقيم فيها «دولة اسرائيل» ... تمهيدا لامبراطورية اسرائيل الكبرى ؟

لقد تحقق الكثيرجدا مما جاء فى وثائق الخطة الصهيونيةللسيطرة على العالم ، وهذا هو المقياس الذى نستطيع اليوم أن نحكم به على صحة هذه الوثائق أو بطلانها ... انها الدليل الأكبر على أن هذه الوثائق لم تكن مؤلفة أو مدسوسة ، كما حاولت الصهيونية العالمية اذ ذاك أن تخدع الناس ، بل كما استطاعت بالفعل أن تشكك الكثيرين فى صحتها !

ولعل أخطر ما حققه الزحف الصهيوني في خلال تآمره على استعباد العالم والسيطرة الكاملة عليه ، هو الخروج من مرحلة العمل وراء الستار ، ومن خلف الكواليس ، الى العمل أيضا علنا ، وفوق خشبة المسرح !

فمنذ بزغ فجر القرن العشرين ، واليهود يتسللون الى مراكز الزعامة الشعبية أيضا بين الجماهير ، ويستولون على مقاعد الحكم ، والبرلمان ...

ففي انجلترا ... صعد دزرائيلي الى رئاسة الوزارة ، ووصل موزز مونتفيوري ، وهربرت صموئيل الى منصب الوزارة ، وكان في وزارة لويد جورج وحدها وزيران يهوديان هما الفريد موند وادوين مونتاجو ، بينما كان عدد اليهود في انجلترا اذ ذاك لا يزيد عن ربع مليون ، وتتابع عدد الوزراء والنواب اليهود الانجليز ، حتى أصبح منهم الآن أكثر من عشرين وزيرا ونائبا ، بخلاف ١٣ من اللوردات الكبار ، و ١٢ من ذوي الألقاب الكبيرة ! وهم يتقاسمون اليوم جميع الفرص السياسية عن طريق توزيع الاختصاص ، بيفان في اليسار ، وهاليفكس في اليمين ...

وفي فرنسا ... يصعد اليهود الى رئاسة الوزارة أيضا في شخص الاشتراكي المزيف ... ليون بلوم ، ولا يلبث أن يتسرب الى مقاعد الحكم والبرلمان عدد مخيف من اليهود ، حتى اذا ما تولى منديس فرانس في الأعوام الأخيرة ، لم يسترع ذلك نظر أحد باعتباره شيئا عاديا !

وفي امريكا ... حيث يعيش في نيويورك وحدها نحو ٣ مليون

من اليهود ، نرى الصهيونيين من القوة بحيث يتحدون علنا كل من يجرؤ على المساس بأهداف الصهيونية العالمية ، ومن الوقاحة ، بحيث يمكنهم تنظيم استقبال شعبى للارهابى مناحم بيجين رئيس عصابة الأرجون زفاى ليومى ... استقبالا لا يحلم به ابراهام لنكولن نفسه ، لو أنه بعث من قبره مرة أخرى !

وفى الكونجرس وحده ... مئات من الاعضاء المجندين لخدمة الحركة الصهيونية ، وأكثرهم من اليهود بالذات ، وفى المقدمة عمانويل سيلر ، وسول بلوم ، وروبرت داكز ، وهربرت ليهمان ، ودوف جوزيف ، ومايرسون ! وحول الرئيس – أى رئيس الجمهورية الامريكية – عدد من الأصدقاء والمستشارين اليهود يوجهونه حيثما يشاءون !

كان الرئيس ولسن يخضع خضوعا تاما لتوجيهات مستشاره اليهودى برانديس !.. وكان روزفلت يتأثر الى أبعد حد بمستشاره اليهودى أيضا موريس أرنست ! أما ترومان فقد فاق الأولين والآخرين ، اذ كانت تلتف حوله عصابة كاملة من شياطين الصهيونية ... برنار باروخ ، ودافيد نايلز ، وادوار جاكسون ، وسام روزنمان ، والحاخام سلفر ، وروبرت ناثان ، وهربرت باياردسواب ، وفرانك جولدمان ، وكلارك كليفورد !

وعن طريق هذه العصابة المسيطرة على البيت الأبيض ، تحكم امريكا لحساب ستة ملايين ونصف من اليهود ... كلا ، بل لحساب الصهيونية العالمية ... لحساب حفنة من ملوك المال ، وتجار الحروب !

ولا عجب فقد احتفل أجداد هؤلاء الصهيونيون فى امريكا ذات يوم بذكرى هجرتهم الى الولايات المتحدة ، فقال خطباؤهم وهم يتحدثون عن مدينة نيويورك ... « هذه أورشليمنا ، فى أرض الميعاد الجديدة » !!

ومن ذلك اليوم أخذت الصهيونية تشدد قبضتها على امريكا ،

حتى أن هذه الأقلية اليهودية أصبحت هى صاحبة النفوذ الأقوى فى امريكا ، وأصبح المجلس الصهيونى الامريكى الذى يضم مئات من الشيوخ وحكام الولايات ، وأصحاب رؤوس الأموال ... هذا المجلس هو الذى يشرع لأمريكا ، ويدير سياستها ... لا من وراء الستار ، بل من أمام الستار !

وقد يسأل البعض بهذه المناسبة ، لماذا فضل اليهود الهجرة الى الولايات المتحدة اكثر من غيرها من سائر بلاد العالم ، ويتولى تاريخ اليهود الاجابة على هذا السؤال ، فيقرر انهم كانوا دائما يهرعون الى الامبراطورية التى يبزغ نجمها ويتألق ، ويولون وجوههم عن الامبراطورية التى تغرب شمسها ويأفل نجمها !

منذ سنة ١٤٠٠ وكانت البرتغال تتحول بسرعة الى امبراطورية من أكبر امبراطوريات العالم ، واليهود يهرعون اليها ويتجمعون فيها ، فلا يكاد فيليب الثانى ملك اسبانيا يضم البرتغال الى بلاده ويرث الامبراطورية البرتغالية فى نفوذها الاستعمارى حتى يهرع اليهود الى أسبانيا أيضا ، ليكونوا فى خدمة الامبراطورية الصاعدة !

ومنذ سنة ١٦٠٠ وكانت هولندا قد بدأت ايضا تتحول الى امبراطورية ، هرع اليهود اليها ، وركزوا هجرتهم الى هناك !.

وفى سنة ١٧٠٠ كان اليهود قد تم لهم التجمع فى بريطانيا ، حيث ظهرت بوادر النزعة الامبراطورية الى الغزو والسيطرة !

وفى سنة ١٨٠٠ هرعوا الى فرنسا يتجمعون فيها من جديد ، ليصلوا فى عهد الجمهورية الثالثة ، الى أوج النفوذ البورجوازى !

وعندما بدأ السباق بين روسيا والمانيا فى القرن التاسع عشر على التوسع الامبراطورى ... كان تجمع اليهود بين هذه وتلك يتبع المد الاستعمارى ، وما يقترن به عادة من فوائد ومغانم للبورجوازية !

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر هرعوا الى امريكا .. حيث كان التقدم الصناعى الذى ينمو فى سرعة ينبىء بأن فرص الاستغلال والكسب ستكون اوفر !

ولو أننا تتبعنا اليهود فى تنقلاتهم منذ البداية لوجدنا هذه القاعدة نفسها ، فما ان سمعوا عن الحضارة الفرعونية منذ اربعة الآف سنة حتى وفدوا اليها ... وما أن سمعوا عن الامبراطورية الرومانية حتى ساروا فى ركابها !

ولكل هذا أساسه الاقتصادى ايضا ، فاليهود هم سماسرة العالم وتجاره ، لذلك ما بزغ نجم دولة ، ومضت فى طريقها ، الى التوسع الامبراطورى حتى جمعوا جموعهم وشدوا الرحال اليها ، وفى الوقت الذى تكون فيه هذه الامبراطورية مشغولة بغزو غيرها من الشعوب يكون اليهود فى طريقهم الى غزو هذه الامبراطورية نفسها (سلميا) من الداخل !

الم نقل أن اليهودية منهج طبقى ؟ الم نقل أن اليهود يمثلون رأس الرمح فى كل نظام رأسمالى محلى ، وانهم كالأخطبوط الذى يلف اذرعه المتعددة حول الرأسمالية العالمية ... يريد أن يخنقها لحسابه ، أعنى لحساب ذلك الأخطبوط الصهيونى !

حتى سنة ١٨٨٠ لم يكن عدد اليهود فى أمريكا يتجاوز مائتين وثلاثين ألفا ! وفدوا اليها من أسبانيا والبرتغال وغرب اوربا ، ولكن ما كادت الحركة الصهيونية تظهر ، وتقوم على اكتاف أغنى البيوت فى العالم بأسره ... بيوت اليهود روتشيلد ، وهيرش ، وتشيف ، ووارنبرج ، ومارشال ، وليهمان ، ومورجنتاو ، وموتنفيورى ، .. ما كادت الحركة الصهيونية تظهر حتى قررت الزحف على أمريكا ، او الدنيا الجديدة فى ذلك الحين !

ولم يلبث هؤلاء اليهود ان احتلوها بالفعل ... وما هو الاحتلال ان لم يكن هو الاستيلاء على كل منابع الثروة فى بلد ما ، وتسخير أهله واستغلالهم وامتصاص دمائهم ، واستخدامهم مطايا لاهداف تجارية ورأسمالية أبعد مدى ؟!

ان هذا هو ما فعله اليهود فى أمريكا بالضبط ، فلم يقنعوا بزيادة عددهم سبعة ملايين نسمة فى أقل من ثمانين عاما ... بل تجاوزوا

هذا أيضا الى أن أصبحوا هم المسيطرين بالفعل على أكثر الاحتكارات والاتحادات الرأسمالية ، وأصبح لهم بالتالى ، كامل السيطرة على جهاز الحكم الامريكى !

فاليهود اليوم يتركزون أساسا فى امريكا ، بوصفها زعيمة الدول الرأسمالية الاستعمارية ــ او العالم الحر حسب تعبير السيد دالاس ــ يتركون لأمريكا مطلق الحرية فى السيطرة على العالم ، قانعين هم مؤقتا بالسيطرة على اميركا نفسها !!

ان كل شىء فى اميركا يخضع تماما للسيطرة الصهيونية ... الصحافة ، والمسرح ، والسينما ، والاذاعة ، والتليفزيون ، والكونجرس ومجالس الولايات ، وجميع المكاتب واللجان التى تتولى رسميا وفعليا ادارة اميركا !

والشركات والاحتكارات والاتحادات الرأسمالية ، والبورصة والاسواق التجارية كلها !

والاحزاب .. والجمعيات .. والاندية .. والعصابات الارهابية عصابات السرقة والخطف والقتل .. كل هذا هو بعض ما يسيطر عليه اليهود اتماما فى اميركا ، وعن طريقه يسدلون ستارا حديديا ، بل يسدلون ستارا صهيونيا على الحكم الأميركى كله !

وفى استطاعتنا ان ندرك مدى السيطرة الصهيونية على اميركا من هذه الحقائق التى تجلت فى موقف اميركا من قضية فلسطين وحدها .

● ان ١٨١ عضوا بالكونجرس الاميركى يوقعون عريضة واحدة يطالبون فيها الرئيس روزفلت فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ باعطاء وعد يشبه وعد بلفور الانجليزى بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين !

فاذا مات روزفلت قبل ان يصرح بهذا الوعد ، واصلوا ضغطهم على الكونجرس الاميركى حتى يصدر قرارا بهذا الوعد فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

● ويتقدم محافظو ٣٨ ولاية اميركية طلبا الى الرئيس ترومان فى

١٩٤٦ باتخاذ الاجراءات اللازمة لفتح باب الهجرة لليهود فى فلسطين وتمكين اليهود من اقامة دولتهم هناك !

● ومن يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٧ الى يوم ٢٩ أى بعد ثلاثة أيام فقط ، يغير مندوبو تسعة دول فى الامم المتحدة آراءهم بالنسبة لتقسيم فلسطين ، فيتحولون من الرفض او الامتناع الى الموافقة تحت ضغط الصهيونية الاميركية كما فضحه كرمتى روزفلت فى مجلة (ميدل ايست جورنال ـ عدد يناير) وكما فضحته النيويورك بوست والمانشستر جارديان ، بل كما اعترف به الصحفى الاميركى ايمانويل نيومان عندما قال يصف نشاط زملائه الصهيونيين للضغط على مندوبى الدول « لم يترك شىء للحظ » !!

● ان الشركات الاميركية ـ الصهيونية طبعا ـ تمنح اسرائيل فى خلال خمس سنوات (من ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣) ٦٠٠ مليون دولار .. تبرعات « خيرية » !

ولا تكتفى بهذا بل تستثمر أيضا اكثر من ٢٠٠ مليون دولار فى مشروعات مختلفة فى اسرائيل !

● يضغط الصهيونيون على الحكومة الاميركية فتمنح الجمعيات الصهيونية الاميركية اعانات سنوية ، بلغت قيمتها ستة ملايين دولار عام ١٩٤٦ (١) .

● يضغط الصهيونيون على الحكومة الاميركية فتمنح اسرائيل مساعدات رسمية يبلغ مجموعها حتى عام ١٩٥٣ فقط ٢٩٥ مليون دولار !

● ويضغط الصهيونيون على الحكومة الامريكية فتضغط بدورها على حكومة المانيا الغربية لتدفع تعويضات لاسرائيل تبلغ ٧١٥ مليون دولار ، والتعويضات لـ ٢٢ شركة امريكية تبلغ قيمتها ١٠٧ مليون دولار !

● وتدفع امريكا اعانة لالمانيا الغربية فى سبيل « اقناعها » بدفع هذه التعويضات ، فكأنما امريكا هى التى تدفع أيضا !!

ومعنى هذا أن مجموع ما دفعته امريكا لاسرائيل يربو على الالفى مليون دولار ... دفعت لمليون ونصف من اليهود ، بينما دفعت امريكا للدول العربية جميعا (لخمسين مليون عربى) ما مجموع قيمته ٨٨ مليون دولار !

مع الفارق طبعا بين أهداف امريكا هنا وهناك ، وبين ما ظفرت به من مكاسب مادية من العرب ، وما تكبدته من خسائر مادية بسبب اليهود !

● ويتبارى المرشحون لرئاسة الجمهورية الامريكية فى تملق الصهيونية العالمية ، فاذا صرح ترومان فى اكتوبر سنة   بوجوب العمل على فرض مائة الف مهاجر يهودى الى فلسطين صرح ديوى ـ بعد ٤٨ ساعة ـ أى فى يوم ٦ اكتوبر ، بأنه يرى فرض مئات الألوف من اليهود على فلسطين ، لأن مائة الف واحدة لا تكفى !!

● ويقرر جورج ألن وكيل الخارجية الامريكية بأن

الحلف العراقى التركى قائم لمصلحة اسرائيل !

ويصرح فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية بان بقاء اسرائيل ركن فى سياسة امريكا الخارجية ، ولا توجد دولة فى العالم لها حق الاعتماد على الولايات المتحدة أكثر من اسرائيل .

تلك هى بعض آثار الاحتلال الصهيونى للولايات المتحدة الامريكية ...

ألم نقل أن امريكا تسيطر على « العالم الحر » ؟

وأن الصهيونية العالمية تسيطر على امريكا ؟

وأن الخيط الذى لا يزال يربط بين دول المعسكر الاستعمارى ، رغم كل ما بينها من منافسات ومتناقضات ، هو خيط الصهيونية الذى يجمع بين تلك الدول فاذا هى ـ عند اللزوم ـ كتلة واحدة بلمسة خفيفة من هذه العصا السحرية ... عصا موسى ... كلا ، بل عصا صهيون !!

التجنيد الإجبارى !!

ومنذ وضعت الصهيونية العالمية خطتها لغزو العالم ، أعلنت التعبئة العامة ، وجعلت التجنيد اجباريا فى الجيش الصهيونى !

ففى سنة ١٩٠٨ كلف « اسحق بن زفى » بتشكيل « فرقة الحرس المحلى » وتعهد ذوو النفوذ المالى الضخم من زعماء الصهيونية العالمية بتقديم «متطوعين» لهذه الفرقة من «رعاياهم» .. رعايا الامبراطورية الصهيونية التى ألفت فعلا بطريقة رمزية فى ذلك الحين !

ولم يكن الضغط اذ ذاك يعدو ضغطا اقتصاديا ، تصل الصهيونية عن طريقه الى ارغام المحتاجين والفقراء من اليهود الى قبول هذا .. « التطوع » !

وتفننت الصهيونية بعد ذلك فى ابتداع شتى أساليب الضغط ، فلجأت الى الضغط الروحى أيضا ... باسم الدين تارة ! وباسم الاضطهاد تارة أخرى ! !

وقد استطاعت بهذه الوسائل أن تصل الى تجنيد فرقتين للاشتراك فى الحرب العالمية الى جانب الامبراطورية البريطانية التى كانت الصهيونية العالمية تعتمد عليها فى ذلك الوقت كل الاعتماد ، فيقول حاييم وايزمان فى مذكراته بالحرف الواحد :

لا باس الآن من ازاحة الستار عن هذه الحقيقة ، وهى انه كان بيننا ــ نحن اليهود الصهيونيين ــ وبين كبار المسئولين الانجليز ، امثال بلفور ولويد جورج ، اتفاقا سريا يقضى بتسليمنا فلسطين خالية من السكان تماما سنة ١٩٣٤ .

فكأن تأليف الفرقتين اليهوديتين كان يهدف الى اصابة عصفورين

بحجر ... الأول ايجاد مبرر لعملاء الصهيونية من كبار الانجليز فى تسليمهم فلسطين ! والثانى هو تدريب الفرقتين وتسليحها ليكونا نواة الجيش الصهيونى !

وفضلا عن ذلك كله فان بريطانيا سوف تساهم أدبيا وماديا فى معاونة الصهيونية على تجنيد الفرقتين ، وبالتالى على تأليف الجيش الصهيونى كله !

وتمضى الصهيونية فى فرض هذا التجنيد الاجبارى لقواتها المسلحة ، فلا تقنع بالضغط الاقتصادى ، ولاتكتفى بالضغط الروحى، بل تلجأ أيضا الى ... القوة !

وتمهد الصهيونية الظروف الملائمة لهذا التجنيد الاجبارى فلا تكاد تتلقف تصريحات هتلر ضد اليهود حتى تنفخ فيها ، وتلجأ الى المبالغة والتهويل حتى تصل بعدد ضحايا الارهاب النازى من اليهود الى ستة ملايين !... أى ما يزيد عن نصف تعداد اليهود فى العالم كله فى ذلك الحين !!

وتفتح الصهيونية مكاتب تجنيد هؤلاء « المشردين » لتقلهم الى فلسطين ، حيث وقع عليها الاختيار ، لتكون القاعدة الحربية للاستعمار الصهيونى ... فمن يقبل من هؤلاء المشردين « الالتحاق » باليهود « المرابطين » فى حيفا وتل أبيب ، دفعت له الصهيونية نفقات السفر ، وضمنت له ــ هناك ــ المسكن ولقمة العيش ، ومن لم يقبل منهم الذهاب الى فلسطين بالذات ، ترك وشأنه ليموت جوعا ، أو يجوع حيا !

وتمضى الصهيونية العالمية خطوات أبعد فى سبيل فرض هذا التجنيد الاجبارى بالقوة ، فتحصل على توقيعات اليهود اللاجئين فى المخيمات الامريكية داخل منطقة الاحتلال فى المانيا ، بوسائل تبلغ أقصى درجات العنف والنذالة ... توقيعات بالرغبة فى السفر الى فلسطين بالذات !

ولا يكاد اللاجئون يجدون أول فرصة للتحرر من هذه التوقيعات حتى يقرر ٥٥ ٪ منهم الرغبة فى ترحيلهم الى الولايات المتحدة ، بينما

يختار أغلب الباقين منهم كثيرا من بلاد العالم ليس بينها فلسطين بالذات !

ويثور الحاخام الامريكى « كلاوزنر » على هذا التمرد على « السلطات » الصهيونية ، فيقدم تقريرا يقول فيه بالحرف الواحد :

« لقد أصبحت اليوم مقتنعا بضرورة ارغام هؤلاء الناس على الرحيل الى فلسطين بالقوة » !

وتنتدب القوات المسلحة الصهيونية ــ الهاجاناه ــ لترحيل عدد ضخم من يهود أوروبا بالفعل قسرا ، بعد أن تزور لهم جوازات سفر، توهمهم بها ، كما توهم الدول التى يمرون عليها ، بأن هؤلاء اللاجئين فى طريقهم الى جواتيمالا ...!

وتستخدم الصهيونية نفوذها فى فرنسا ، حتى لا تقف قوات الامن بها فى طريق هؤلاء المرحلين الى فلسطين ، خفية عن الأنظار ... حتى عن أنظار انجلترا ، حليفة فرنسا الكبرى فى ذلك الوقت !

وهكذا تظل الصهيونية العالمية تعلن التعبئة العامة حتى يبلغ تعداد قواتها المسلحة فى اسرائيل مليون ونصف مليون جندى ، ومع ذلك فانها تطلب المزيد !!

ان بن جوريون ــ القائد السياسى لمعسكر اسرائيل ــ يخطب فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٩ بامريكا ، فيتحدث عن واجب اليهود فى التجمع داخل اسرائيل ، ولا يكتفى بأن يناشد الآباء ارسال أولادهم اليها ، بل يقول مهددا فى وقاحة وجرأة :

« ... والا فاننا سنعرف كيف نأتى بهم » !

ويعقبه موسى شاريت بعد بضعة شهور فيؤكد ما معناه أن معسكر اسرائيل لا يزال يتسع لأربعة ملايين جندى على الأقل !

وكل هذه التصريحات ــ على خطورتها ــ لا تعد شيئا الى جانب ما أدلى به الحاخام الامريكى سلفر ، فى حديثه الى مجلة (زيونيست رفيو) فى عددها الصادر يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٤ :

ان أساليب الدبلوماسية العتيقة لم تعد لها اليوم أدنى فائدة على اليهود أن يتجمعوا فى ارتقاب المفاجآت !!

وليتحفزوا من الآن للقتال ، والاشتباك الدموى العنيف ، والا يلتبس عليهم الأمر بين أهداف الصهيونية ، وهدف انشاء دولة يهوديةبمجرد قبول عدد محدود من اللاجئين اليهود !

والى جانب هذه الدعوة العنيفة الى تنفيذ « قانون » التجنيد الاجبارى للجماهير اليهودية...يتحدث دافيد بن‌جوريون عن‌واجب الشعب اليهودى فى كل مكان ، فيصدر أمرا يطالب فيه المنظمات الصهيونية — فى العالم — بمساعدة وطنهم — اسرائيل — فى جميع الظروف والاوقات .

حتى لو تعارضت هذه المساعدات مع مصلحة البلاد التى تنتسب اليها تلك المنظمات :

وبعد ... فقد كان أول فوج من المجندين اليهود أرسل الى فلسطين ، فى عام ١٨٥٥ ، ولم تكن الحركة الصهيونية قد نظمت‌بعد، بل كانت مجرد حلقة من بعض أصحاب الملايين اليهود الذين ندبوا « موسى مونتفيورى » لشراء قطعة أرض فى فلسطين لتكون أول مستعمرة يضع الجنود الصهيونيون أقدامهم فيها ....

ومن اليوم الأول،الذى‌وفدت‌فيه تلك الطلائع التى أبى روتشيلد الا أن يسميهم « رواد صهيون » فأطلق على مستعمرتهم هذا الاسم باللغة العبرية ، وأنشأ لهم مدرسة زراعية تولى نظارتها شارل تيتر ، اذ أن اليهود يمكن أن يعرفوا أية حرفة ، الا الزراعة هذه !

ومن اليوم الأول ، وضعت الصهيونية التى لم تكن قد نظمت بعد ... « نظاما » لاستعمار فلسطين ويقضى هذا النظام بالاكتفاء الذاتى للمعسكر حتى تختصر الصهيونية نفقات المعسكر من جهة ومن جهة أخرى فالجنود يجب الا يكونوا مجرد محاربين تحت السلاح ، فمثل هذه الحالة تزعجهم معنويا ، كما تثير قلقهم ، فانها أيضا تثير ريبة وقلق ... سكان فلسطين من العرب !

وعلى هذا الأساس ، وضعت للجنود اليهود الذين تبعث بهم السلطات الصهيونية الى فلسطين مشروعات زراعية ، بصفة خاصة ،

اذ أن الزراعة معناها الأرض ... معناها افساح المكان ، وهو ما لا سبيل اليه بالمشروعات الصناعية ، ولكن لا بأس بالطبع من الصناعات التى ترتبط بالزراعة أيضا ، كتقطير الخمور !

ولما كانت الصهيونية حريصة على تجنب المتاعب التى تثيرها حرب الطبقات التى لا بد من قيامها بين الكادحين من ناحية ، والرأسماليين من ناحية أخرى ، فقد وهبت الصهيونية الناشئة للجنود الذين سمتهم « مهاجرين » هذه الاراضى التى كانت تبتاعها لهم ... وهبتهم هذه الأرض على أن يزرعوها « كروما » بطريقة تعاونية ، أو طريقة اشتراكية كما سميت فيما بعد ! وهذه الطريقة «الاشتراكية» المزيفة تقضى بأن يشترى المليونير روتشيلد «انتاج» هذه المستعمرات من الخمور ليتولى بيعها بنفسه فى كافة أنحاء العالم !!

وفى أقل من ٦٥ عاما قفز عدد اليهود فى فلسطين من خمسة آلاف فى عام ١٨٥٤ الى ٥٥ ألفا فى عام ١٩١٨ ، كما قفز بعد ذلك حتى أصبح ٦٥٠ ألفا فى مطلع عام ١٩٤٨ ، ثم قفز — بقدرة الصهيونية العالمية أيضا ! — حتى أصبح مليونا ونصف مليون فى وقتنا الحاضر !

وكانت أهم الدفعات التى بعثت بها الصهيونية العالمية الى معسكرها فى فلسطين هى :

من سنة ١٩١٩ حتى ١٩٢٣ بلغ عدد المرحلين ٣٥ ألف جندى .

من سنة ١٩٢٤ حتى‌سنة ١٩٣١ بلغ عدد المرحلين ٨٣ ألف‌جندى .

من سنة ١٩٣٢حتى سنة ١٩٣٩ بلغ عددالمرحلين ٢٣٥ ألف جندى .

من سنة ١٩٤٠ حتى منتصف سنة ١٩٤٨ بلغ عدد المرحلين ١١٠ ألف جندى .

من سنة ١٤٠ حتى منتصف سنة ١٩٤٨ بلغ عدد المرحلين ١١٠ ألف جندى .

وقد انحسرت موجة المرحلين الى معسكر الصهيونية —اسرائيل— بعد أن تواترت الانباء بسوء المعاملة التى يلقاها اليهود فى جحيم‌ذلك المعسكر ... فلم تفتر عمليات الترحيل عما كانت عليه فحسب رغم رغم كل صيحات بن جوريون ، وموسى شاريت ، بل ان « المجندين »

أنفسهم أخذوا يفرون من المعسكر ، منذ تقصت « التعيينات » بعد سنة ١٩٥٣ ، فتقلصت المعونة الامريكية مثلا من ٧١ مليون دولار فى ذلك العام الى ٥٢ ١/٢ مليون فى العام التالى ، وزادت الضرائب حتى بلغت ٤٠ ٪ من صافى ما يربحه الجنود من أعمالهم « المدنية » وأخذت ديون اسرائيل تتزايد حتى تصل الى ٣١٢ مليون دولار فى ذلك العام ... منذ أحس سكان المعسكر بأن الجنة التى وعدوا بها قد أصبحت جحيما لا يطاق ، أخذوا يتركون « الخدمة » ويخرجون من اسرائيل ، فبلغ عدد الفارين ١٣ ألف يهودى ! وفى العام الذى تلاه — وكانت الحكومة قد تنبهت فأخذت كثيرا من الاحتياطات — بلغ عدد الفارين ٧٥٠٠ يهودى ، وبالرغم من القيود الصعبة والعقبات الخبيثة التى وضعت فى طريق الراغبين فى « الاستيداع » ، كان يشترط على طلاب الهجرة من اسرائيل أن يدفعوا للحكومة كل ماسبق لهم أن أخذوه من نفقات سفر أو اعانة ... بالرغم من كل ذلك فقد عاد الرقم الى الارتفاع ، فبلغ عدد الفارين من اسرائيل فى عام ١٩٥٤ نحو ٦٤٠٠ يهودى !!

***

لكن لنحذر الاوهام ، فلا نظن أن هذه الظاهرة تعنى ان الصهيونية قد صفيت ، أو أنها مثلا فى طريق الزوال ... كلا، فما ينبغى مطلقا أن نسترسل وراء عواطفنا ، فالصهيونية لا تزال فى عنفوانها ،ولايزال لها النفوذ الأكبر فى الدول الاستعمارية الثلاثة بصفة خاصة ، امريكا ، انجلترا ، فرنسا ...

وهذه الدول التى تعاونت جميعا على تحقيق الهجرة الصهيونية الى فلسطين او بمعنى أصح لتكوين الجيش الصهيونى هناك ... هذه الدول لا تزال تلهث وراء الصهيونية التى تسوقها ركضا الى الهاوية !

ان امريكا وبريطانيا وفرنسا التى ذهبت الى حد استخدام القوة فى سبيل تمكين الجيش الصهيونى من احتلال فلسطين ... هذه الدول نفسها هى التى تأخذ على عاتقها اليوم تسليح هذا الجيش وتجهيزه

بأحدث الأسلحة ، وستمضى فى مساندة الاحتلال الصهيونى لفلسطين الى أبعد مدى يمكن أن تتصوره ، فالصهيونية من ناحية هى التى تحكم بعض هذه الدول أو تتحكم فيها ... ومن ناحية أخرى فشعوب هذه الدول قد ضاقت ذرعا بالزحف الصهيونى على بلادها ، وقد قالها مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا السابق ذات يوم ، وهو يفسر حماسة امريكا لفرض الهجرة اليهودية على فلسطين ، فصرح لجريدة النيويورك تيمس فى ١٣ يونيه سنة ١٩٤٦ بأن :

« امريكا تضغط لفرض هجرة يهود أوروبا على فلسطين حتى لا تنكب بهم فى أراضيها » !

هكذا اضطرت بريطانيا أن تنفس عما تشعر به من ضيق بهذا التصريح ، بعد أن ساقتها الصهيونية أمامها نصف قرن بالكرباج .. تسخرها لتمهيد الطريق لها لكى يتسلل الاستعمار الصهيونى الى افريقيا ، من خلال فرنسا فى تونس والجزائر ومراكش ، ومن خلال بريطانيا فى فلسطين ... وباقى ما يمكن من الدول العربية التى كانت بريطانيا تتمتع فيها بالسيطرة والنفوذ !

وكان اللورد جورج هول يتعجب فى مجلس العموم البريطانى وهو يقول :

« ان بن جوريون يملى علينا مطالب الصهيونية املاء » !

وفى نفس الوقت كان حاييم وايزمان — أبو الصهيونية — يكتب فى مذكراته ما يكشف الستار عن هذه القبضة الحديدية ... قبضة الصهيونية على بريطانيا ، اذ يقول بالحرف الواحد :

« نحن اليهود كنا نسعى لاقامة دولة لنا فى فلسطين وقد انتدبنا الانجليز لحكمها — واستعنا فى هذا بعصبة الأمم ، فنحن الذين سلمنا فلسطين للانجليز مؤقتا ، وليس الانجليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك » .

ويروى حاييم وايزمان فى مذكراته هذه القصة كاملة ، وهى

تتضمن حقائق رهيبـــة ، فهى تدل على ما للصهيونية من خطـــر ومن نفوذ ... أعلى من كل خطر ، ومن كل نفوذ !

فكيف نعجب بعد ذلك ، عندما نرى بن جوريون يهدد باستخدام القوة لتجنيد اليهود ، أو بأخف تعبير لترحيلهم الى فلسطين ... الى معسكر اسرائيل !

كيف نعجب حين نرى بن جوريون يردد هذا الكلام أيضا داخل امريكا نفسها ، وكأنه لا يتحدث عن رعايا امريكيين ... بل عن رعايا اسرائيل فى امريكا ، والبالغ عددهم ستة ملايين ونصف !!

ان هذه القـــوة المخيفة للصهيونية هى التى حدت برجل يهودى ــ من خصوم الصهيونية ــ الى أن يصرح يائسا :

« ان الصهيونية تحاول ان تضع الشعب اليهودى كله تحت نفوذها ، بالقوة والعنف » .

قالها دكتور ماغنر فى ذكرى تأسيس الجامعـــة العبرية ، ثم غادر على أثرها مدينة القدس عائدا الى بلاده خوفا من عصابات الأرجون ، وشترن ، والهاجانا !!

البحث عن مملكة !

ظل الامل فى انشاء « مملكة لليهود » جزءا لايتجزأمن الصهيونية الخيالية القديمة ، التى نرى جذورها الأولى فى التوراة ... وفى التلمود !

ومنذ خمسة قرون على الأقل ... واليهود يسعون فى غير يأس الى تحقيق هذا الامل ... وعلى الرغم من أنهم كانوا فى صلواتهم يتجهون الى «أورشليم» .. وفى أعيادهم يتبادلون التمنيات بالالتقاء فى العيد «القادم» على أرض الميعاد ... على الرغم من ذلك فقد كانت الخطوة الأولى فى نظرهم هى التجمع بأى شكل ، وفى أى صورة !

فى اسبانيا ... وفى البلقان .. وفى فرنسا وانجلترا ومصر .. وفى كل مكان حلوا فيه ، كانوا ينشدون هذا التجمع فى أحيائهم الخاصة ، وفى صدورهم أمل يخفق بالتجمع داخل ... دولة !

ففى سنة ١٥٦٦ طلب اليهودى الاسبانى « دوم جوزيف ناسى » الى السلطان العثمانى مساحة ضخمة من الأرض القريبةمن بحيرةطبريا ليقيم عليها وطنا قوميا ... لليهود !

وفى سنة ١٦٢٥ طلب جماعة من اليهود الى شركة هولندية هى شركة «جزائر الهند الغربية» مقاطعة كبيرة فى جزيرة كوراكادو ليستقروا فيها وتكون وطنا قوميا لليهود !

وبعد سنوات عاد اوليفر كرومويل يفاوض السلطات فى أمر مقايضته على جزيرة مانهاتان بمستعمرة سورينام الهولندية ، حتى يجعل منها وطنا قوميا لليهود !

وفى سنة ١٦٥٩ طلب اليهود الفرنسيون منحهم مستعمرة غويانا الفرنسية فى أميركا لتكون وطنا قوميا لليهود .. ولم يقنع المارشال

دوساكس بهذه المستعمرة الصغيرة فعاد يقترح أن تنشأ مملكة يهودية فى أميركا الجنوبية ... كلها !!

وفى سنة ١٧٩٩ كرر اليهود الفرنسيون مطالبتهم بالوطن القومى واضطر نابليون بونابرت الى أن يبذل لهم وعدا بتحقيق هذا الحلم القديم !

وفى سنة ١٨٢٥ طمع اليهود فى امريكا الشمالية أيضا ، فأعلن الماجور «نوح» أنه اشترى جزيرة كبيرة فى نهر نياجرا ليقيم فيها مع اليهود ... مملكة !

وفى سنة ١٨٥٤ قام الحاخام الأكبر الانجليزى مع الوزير اليهودى سيرموز مونتيفيورى بحملة واسعة جمعا فيها ٣٠ الف جنيه كدفعة أولى لشراء أرض يستوطنها اليهود فى فلسطين !

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، وحد البارون موريس دى هيرش ـ اليهودى الألمانى ـ بين جهود الاتحاد الاسرائيلى فى باريس والجمعية اليهودية فى لندن ، لتتعاونا معا على توطين اليهود فى مستعمرات خاصة فى كندا ، وجنوب أفريقيا .

وبعد سنوات ... قام الكولونيل جولد سميث ، ثم البارون دى روتشيلد ـ وكلاهما يهودى ـ بالسعى من جديد ، لانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين !

ولما نجحت الثورة الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ، تقدم اليهود الذين يؤلفون جماعة البند ، يطلبون الى الزعيم لينين أن يسمح لهم بانشاء جمهورية يهودية داخل نطاق الاتحاد السوفيتى ، لكن لينين رفض هذا الطلب على أساس أن اليهود لا يؤلفون قومية ، فأخمد هذه الحركة العنصرية فى مهدها ..

وأخيرا قام تيودور هرتزل ـ الصحفى اليهودى النمسوى ـ ينادى بانشاء الدولة اليهودية !

وفى هذه المرة كان اليهود قد تجمعوا فى المؤتمر الصهيونى ... وكان اليهود ـ وهذا هو الأصل ـ قد تجمعوا على قمة الهرم الرأسمالى فى العالم أجمع ... وكان الاستعمار يتجه بسرعة نحو أعلى

مراحل نموه .. يدافع عن بقائه بالتجمع .. بالتمركز فى آخر شكل من أشكاله .. فى شكل الصهيونية !

ولا بد للامبراطورية الصهيونية التى تشمل العالم بأسره ، من نقطة ارتكاز ... من دولة اليهود !

ولكن أين تقوم هذه الدولة ؟ وبأية وسيلة يمكن أن تصبح حقيقة واقعة ؟

ناقشت المؤتمرات الصهيونية هذين السؤالين ، وانشطرت بشأنهما الى أحزاب ... وقد اتفقت الى حد ما ، الى حد ما فقط ، اذ لا يزال الخلاف النظرى حول هذه المسائل الجوهرية يظهر فى كثير من التصريحات والتصرفات .

كان فريق من شياطين الحركة الصهيونية يرون أن تقوم الدولة على أنقاض احدى الدول الكبرى ، عن طريق مؤامرة داخلية ، يستولى بعدها اليهود على نظام الحكم فى أميركا أو فرنسا أو انجلترا أو المانيا . ولا يلبث اليهود أن يجذبوا الى «الدولة اليهودية» هذه جميع اليهود المشتتين فى أنحاء العالم !

وكان هذا الفريق منقسما على نفسه أيضا .. يتأرجح بين فكرتين . الاولى أن تكون المؤامرة المنشودة ، مؤامرة عنيفة ... استيلاء بالقوة على السلطة ، والثانية أن تكون المؤامرة ناعمة ... تتجه الى التسلل البطىء فى نطاق الحقوق الديموقراطية ، وبواسطة ما يتميزون به من نفوذ مالى يكتسح فى طريقه جميع العقبات !

لكن يهود الحركة الصهيونية لم يجرؤا على الاتجاه الأول .. ولم يقنعوا فى نفس الوقت بالاتجاه الثانى ، فهذا التسلل البطىء للاستيلاء على جهاز الحكم وتهويده هو اتجاه عام للحركة الصهيونية كلها ، وهو تكتيك لا يمنع مطلقا من وجود نقطة ارتكاز واضحة ... دولة يهودية صغيرة ، لا شك أن من فوائدها أيضا ، أنها تشغل «الاعداء» عن الزحف الصهيونى الداخلى ... أى داخل الدول جميعا !

لابد اذن من اقامة الدولة اليهودية ... «المستعجلة» !

هكذا اقتنع الصهيونيون ، ثم أخذوا يختلفون حول تحديد

مكانها ... وعرضت فى هذا اقتراحات عديدة لانشاء دولة اسرائيل فى غينيا ، أو الارجنتين ، أو .. أو .. وكانت أمام الصهيونية كل هذه الفرص سانحة وميسورة ، مما جعل بعض زعماء الحركة — ومنهم هرتزل نفسه — يتلهفون الى قبول أحد هذه العروض !

لكن اتجاها آخر — أقوى من ذلك الاتجاه المتلهف — أصر على أن تنشأ الدولة اليهودية فى فلسطين !

وقد انتصر أصحاب هذا الاتجاه وفى مقدمتهم حاييم وايزمان الذين بروا تمسكهم بفلسطين بأسباب روحية ودينية ، هى أن فلسطين ... هى أرض الميعاد ، الذى أعطاهم الرب ... رب الجنود !

لكن هل هذا هو السبب الحقيقى لهذا الاختيار ؟

كلا بالطبع ... بل لأن فلسطين تتمتع — أكثر من أى مكان آخر فى العالم كله — بأنها تقع عند ملتقى ثلاث قارات هى أوروبا وآسيا وأفريقيا ... ولأن فلسطين هى الباب الذى يوصل الى هذه القارة الأخيرة ، أفريقيا الخام ... الغنية بالبترول ، والذهب ، والحديد ، والعاج ، واللؤلؤ ، واليورانيوم ... افريقيا الخصبة الغنية بأنهارها وأمطارها ... بقطنها وغلالها ومواشيها ... وافريقيا هذه هى اللقمة السائغة ، فهى موزعة بين نفوذ الدول الاستعمارية جميعا ، خاضعة لمنافسات ومؤامرات ومتناقضات الدول الاستعمارية ... وليس أسهل على الصهيونية من استغلال هذه المتناقضات والنفخ فى هذه المؤامرات ريثما تتسلل وتتمكن !!

هذا هو أساس الاختيار ... ويأتى الجانب الروحى فى الترتيب بعد ذلك ، لا باعتبار الصهيونية العالمية مؤمنة بهذه الخرافات المتوارثة عن أرض الميعاد ، بل لأن من مصلحتها أن تزيف « الايدولوجية » المناسبة لتعبئة الجيش الصهيونى الذى تريد تكوينه !!

ان الصهيونية العالمية لا تطلب دولة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة ، فالصهيونيون هم الذين يرتعون فى خيرات جميع الدول بلا استثناء .. انما تطلب الصهيونية العالمية قاعدة حربية لجيش صهيونى ضخم ، تغزو به العالم أجمع !

ولا بد لهذا الجيش من عقيدة تلهب حماسته ، وتحبب له التضحية ، وهذه العقيدة التى تقوم على أساس أنه الشعب المختار ، من مقتضياتها أن يعود شعب الله المختار الى أرضه ، ويعيد مملكة سليمان وداود .. كما تقتضى أن يتعلم اللغة العبرية ، لغة أجداده ابراهيم ويعقوب !

واتجهت الصهيونية الى مناقشة الطريقة التى تتوصل بها الى اقامة دولتها ... بل اقامة معسكرها .

كان هناك رأى باستغلال النفوذ الصهيونى لدى الدول الكبرى لتقرر هى الاعتراف لهم بحق العودة الى أرض الميعاد .

وكان هناك رأى ثان بأن الحقوق تؤخذ ولا تمنح ، فيجب تأليف ميليشيا يهودية لتفتح فلسطين بالقوة .

وكان هناك رأى ثالث باستخدام المال للرشوة .. رشوة سلطان تركيا ، وغيره ممن يستطيعون التسليم لهم بالارض التى يحتاج اليها المعسكر !

وكان هناك رأى رابع يقول بأن على الصهيونية ألا تضيع الوقت فى الكلام ، بل عليها ارسال شبان يهود يستوطنون فلسطين بالفعل ، على دفعات تبدأ صغيرة ، ثم تتزايد ، ويتملكون هناك الاراضى ويقيمون المستعمرات على نفقة الصهيونية العالمية طبعا .

وقد انتهى الرأى فى المؤتمر الصهيونى ، بتجربة هذه الوسائل جميعا فى وقت واحد ، للوصول الى الهدف المنشود ، فسعى هرتزل الى عرض رشوة ضخمة على سلطان تركيا ليتنازل لليهود عن فلسطين فرفض رغم الضائقة المالية التى كان يعانيها ... وعرض وايزمان رشوة أخرى على الشريف حسين مقابل السكوت على مؤامرة اليهود للاستيلاء على فلسطين فأباها وفضح المجرم الصهيونى الذى عرضها عليه .

والمعروف أن الرشاوى التى يكشف أمرها ، هى الرشاوى التى ترفض ، ولا شك أن هناك رشاوى صهيونية ناجحة لم يكشف عنها الستار رسميا بعد ، وان زكمت رائحتها الأنوف !

أما شراء أراضى فلسطين بالمال ، فمن الأمور التى لا ينكرها اليهود بل يفاخرون بها ، ويزعمون أن العائلات العربية الاقطاعية التى باعت

لهم مساحات واسعة من أراضيها ـ كعائلة سرسق وغيرها ـ هى التى عادت فحرضت الجماهير على الثورة ضد اليهود !!

وكما استخدمت الصهيونية المال ، فقد استخدمت الضغط السياسى بنفوذها فظفر البارون دى روتشيلد بوعد بلفور بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، كما ظفر سوكولوف بموافقة فرنسا على تحقيق أمنية لليهود فى انتداب بريطانيا ـ دون سواها ـ لحكم فلسطين ، ريثما يستعد اليهود ! وكما ظفر برنار باروخ بتدخل ترومان لفرض دولة اسرائيل على التاريخ !

وفى خلال ذلك كله ، كانت الصهيونية العالمية تستخدم كافة الاسلحة التى عرضت عليها فى مؤتمراتها ، فألفت أكثر من مليشيا غير قانونية فى فلسطين كالهاجاناه ، والأرجون زفاى ليومى ، وشترن ..

وأرسلت مئات الألوف من الشباب اليهودى الى فلسطين ، ولكى تدرك الى أى حد نجحت فى توطين أولئك الشبان هناك ، يجب أن تذكر أن فلسطين لم يكن بها من اليهود ـ فى أواخر القرن الماضى ـ سوى خمسة آلاف يهودى ، فاذا بهم بعد ٧٥ عاما يصبحون مليون واربعمائة الف !!

وكانت الصهيونية العالمية لا تكتفى بدفع نفقات السفر والاقامة لهؤلاء المهاجرين الذين تحشدهم الى فلسطين .. ولا تكتفى بضمان العمل لهم هناك .. بل كانت أيضا تسلحهم ... وكانت تصطنع الاضطهادات المزيفة ضد اليهود لتبرر هذه الهجرة .

ومنذ سنة ١٩٤٥ بدأت الصهيونية العالمية هجومها الحاسم على فلسطين ، فجندت كل أعوانها ومأجوريها من ساسة الدول الكبرى ، وتأهبت لفرض مائة الف يهودى آخرين على فلسطين دفعة واحدة ، وكلفت فرق المليشيا اليهودية بترويع العرب وارهابهم لبيع أراضيهم بأبخس الاثمان ... تمهيدا للفرار من فلسطين كلها !

لقد نسفت عصابات الصهيونية جسور سكك حديد فلسطين المركزية ، كما نسفت فندق الملك داود ، وخطفت عددا كبيرا من الضباط والجنود البريطانيين فجلدتهم ، أو شنقتهم ، أو دست لهم السم .. ثم

استولت على الاسلحة والذخائر من مخازن الجيش والبوليس ، ولم يكن كل ذلك يحتاج الى شجاعة أو براعة أو قوة خارقة ، اذ كان الجهاز الحكومى الانجليزى فى فلسطين يعتمد أساسا على كبار الانجليز اليهود الذين ندبوا للعمل هناك . فالحاكم العام فى سنة ١٩٢٥ هو هربرت صمويل ! والمستر « نورمان بنتوتش » هو النائب العام! وحتى مدير ادارة الهجرة كان يهوديا هو «حاييم سون» !!

ولم يمض عامان حتى كانت الصهيونية العالمية قد أخضعت الدول الاستعمارية لارادتها ، ونفذت قرارا آخر من بروتوكولات صهيون . تلك الوثائق التى أكدوا عند نشرها منذ نصف قرن أنها ملفقة مزورة ، لا أصل لها ولا أساس !!

لقد أنشئت لليهود دولة فى فلسطين ، وأنف العرب والعالم كله فى الرغام .. ففى ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ رفع الصهيونيون علم «اسرائيل» على تل أبيب ، ووقع ترومان ـ فى نفس اللحظة ـ القرار الأميركى ... بالاعتراف رسميا بحكومة اسرائيل !

الصهيونية في التطبيق

ولنذهب الآن الى اسرائيل ، لنرى كيف تكون الصهيونية فى التطبيق ...

لقد استهلت الصهيونية عهدها الجديد بمذبحة ، بل بسلسلة من المذابح الرهيبة ، التى لم يعرف التاريخ ما يعادلها فظاعة ووحشية ! كما شهد بذلك رئيس هيئة الصليب الأحمر الدولية ، فلم يمض على قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين بضعة شهور ، حتى قرر الصهيونيون اجراء تعديل جبرى لمشروع التقسيم !

ولم يجد الصهيونيون أمامهم سوى الخطة المعروفة باسم «عملية الذعر» والتى صرح أحد أعضاء الكنيست داخل «البرلمان الاسرائيلى» سنة ١٩٥٠ بأنها كانت من اقتراح الرئيس دافيد بن غوريون شخصيا ! وأضافت جريدة «هاماشكيف» الاسرائيلية أن الخطة عرضت بعد ذلك على القيادة العسكرية ونالت موافقتها !

وقد ظلت المنظمات الارهابية وفى مقدمتها شترن والارجون تتنافس على الزهو والافتخار بما سجلته من بطولة فى تنفيذ «عملية الذعر» هذه ، والتى استمرت أسبوعا كاملا ، ثم استؤنفت لمدة أسابيع أخرى!

وكانت خطة بن جوريون ، تقضى بتجريد حملات دموية على مزارع العرب وقراهم ، ليضطروا الى الفرار من وجه هذه المجازر الارهابية . تهجم مجموعات كبيرة من الارهابيين اليهود على قرية أو اثنتين فيذبحون كل من فيها من السكان ، رجالا كانوا أم أطفالا أم نساء ، وينهبون كل ما يجدونه فى بيوتهم أو جيوبهم ، وتسمع القرى المجاورة بأنباء هذا الترويع فيبادر سكانها بالفرار ... وهكذا تستطيع الدولة اليهودية أن توسع حدودها من الدقيقة الأولى !

ولأدع للكاتب الاميركى « لورنس جريسولد » وصف بعض

هذه المذابح كما جاءت فى كتابه المعروف «هذا سيف الله»... ...

«.. ففى فجر ٩ ابريل ١٩٤٨ ، بينما كان الفلاحون العرب ينصبون الخيام فى سوق القرية ، زحفت دبابتان من طراز (شيرمان) الى مداخل (دير ياسين) فمرت على جسدى اثنين من الفلاحين النائمين أمام باب بيتهما ، ومن خلف الدبابتين كان يزحف خمسمائة جندى مزودين بمدافع التومى والبنادق الأتوماتيكية .. وهجمت هذه القوة على الأهالى المجتمعين فى سوق القرية وأطلقت عليهم نيران المدافع والرشاشات ،كما صرحت بذلك حفنة من النساء والاطفال الذين بقوا على قيد الحياة ، وتسلمتهم سيارات الصليب الأحمر بعد الحاح شديد على اليهود ».

وبعد أن فر الأهالى من نيران الدبابات والمدافع ، تعقبهم الجنود الاسرائيليون الى الطرق والمنازل التى حاولوا الاحتماء بها أو الاختفاء فيها .

وفى دير ياسين تكررت مذابح أريحا التى جاء وصفها فى التوراة : (وقتلوا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحدالسيف) ولا يوجد تقدير لعدد الضحايا ، لكن المؤكد هو أنه لم يبق من أبناء دير ياسين على قيد الحياة أكثر من ثلاثين.

وكانت بعض هذه الفظائع تقترن بالتفنن فى الارهاب ، فقد أوقف الغزاة ٢٥ امرأة حاملا فى صف واحد وأطلقوا عليهن الرصاص ثم بقروا بطونهن بالخناجر السونكى وأخرجوا الأجنة منها ، وقطع الأطفال اربا اربا على مرأى من آبائهم ، وخصى الصبية منهم قبل أن يذبحوا ، كما بترت الأصابع والأيدى لانتزاع الحلى والخواتم من أصحابها .

واستأذن مراقب الصليب الاحمر الدولى من الوكالة اليهودية فى دخول «دير ياسين» فلم تسمح له الا بعد يومين ريثما يتمكن الارهابيون من اخفاء آثار جرائمهم .. فالقيت أكثر من مائتى جثة فى بئر قديمة ، ثم غطيت بالقمامة ولكن رائحة الضحايا كشفت الخديعة للمندوب البلجيكى فأخرج الجثث من البئر وأحصاها وقرر أن كثيرا منها لم تكن أجسادا كاملة .

وقد عبر رينر – مراقب الصليب الأحمر – عن اشمئزازه من هول

ما رأى ، فقد وجد أيضا طفلة عربية فى السادسة من عمرها لا تزال على قيد الحياة ، تحت عشرات الجثث ، فنقلها الى المستشفى وهو يقول : انه لشىء فظيع» !

ولعل من الجدير بالذكر أن رينر هذا قد أضاف الى ما كتبه لورنس جريسولد وغيره عن مذبحة دير ياسين ، معلومات خطيرة فى مذكراته المطبوعة فروى كيف استخدم الصهيونيون شارة الصليب الأحمر فى مؤامراتهم على العرب الآمنين ، فكانوا ينقلون أسلحتهم وذخائرهم على أنها أدوات طبية لمستشفى الحداسة ، كما استخدموا مبنى الجامعة العبرية حصنا لقيادة هذه العمليات الارهابية ، وكان الارهابيون أنفسهم يتنقلون فى ثياب رجال الصليب الأحمر .

وقد واصل اليهود هجماتهم على الآمنين فضربوا ميناء يافا بالقنابل واقتضوا على القدس العربية فأعملوا فيها السلب والنهب والتخريب ، ثم استأنفوا مذابحهم الوحشية فى عدة قرى عربية فأعادوا فظائع دير ياسين فى قرية بيت الخورى ، وقرية نصر الدين حيث شوهوا ألف ومائتين من الضحايا لا يزالون الى اليوم بلا أرجل أو بلا ذراع ، كما ألقى بجثث الموتى فى الأنهر والمستنقعات ، وفى قرية « بيت دراس » بقرت بطون النساء الحوامل أيضا وذبح عدد من الاطفال ، أما فى قرية الزيتون فقد انتظر الجنود اليهود تجمع الاهالى فى المسجد للصلاة فنسفوه بالديناميت بكل ما فيه من العرب .

وتفخر جريدة «ميفراك» التى تنطق بلسان شترن بنجاح هذه العمليات فى ترويع العرب ، واجبار نحو مليون عربى على الفرار الى الاردن ، والعربية السعودية ، ومصر ، فتقول الجريدة الصهيونية وهى تزكى زعماء شترن فى المعركة الانتخابية فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ :

«ان كل انسان يعلم ان الهجوم على دير ياسين هو الذى روع الجماهير العربية وأرغمها على الفرار .. انه لمعجزة تلك التى أنزلت بالعدو أكبر ضربة شدت عزائمنا وقوت معنويتنا ،وهو انتصار لا تستطيع قوات الهاجاناه مجتمعة أن تحققه» !!

ولم تقف جرائم اليهود ضد العرب عند هذا الحد الذى بلغته قبل وبعد الهدنة فى عام ١٩٤٨ فقد واصلوا عدوانهم فى السنوات التالية أيضا ... ففى ١١ يونيو سنة ١٩٥٠ نشرت جريدة « السنداى ابزيرفر » برقية بعث بها اليه مراسلها « فيليب توينبى » بعد وصوله الى بيروت ، وقال فيها :

« حاصر بوليس اسرائيل مائة عربى ، وسلمهم للسلطات العسكرية بتهمة مخالفة نظام الحدود » .

« وقد ظل الجنود يسوقونهم من الصباح الباكر الى آخر الليل ، بعد أن عصبوا عيونهم حتى وصلوا بهم الى نقطة بعيدة وخطرة على الحدود ، وفى طول الطريق كانوا يضربونهم على وجوههم وظهورهم بالعصى الغليظة ، كما منعوا عنهم الماء ثم نزعوا العصابات عن عيونهم ودفعوهم الى الجرى ثم أطلقوا عليهم نيران مدافع البرن للارهاب ، فلم يتركوهم الا فى وادى عربة المرعب جنوب البحر الميت حيث لا تعيش سوى الحشرات » !

« وهام العرب على وجوههم فى هذا الوادى لا يعرفون طريق العودة الى أن صادف القليل منهم بعض البدو الذين صحبوهم الى أقرب مركز من مراكز حدود الجيش الأردنى ... وقد استجوبت بنفسى عشرة من هؤلاء المنكوبين ، كلا منهم على انفراد فكانت رواياتهم جميعا واحدة ... كما رأيت بعينى آثار الضرب والتعذيب على أجسادهم ، وشاهدت أرجلهم المتورمة كما تأكدت من نزع أظافر أحدهم » .

وتحدثت جريدة نيويورك تيمس فى ١٥ يونية ١٩٤٠ عن احتجاج وزارة الخارجية الامريكية على اسرائيل على ما تلقته من أنباء المذابح التى أقاموها ضد العرب لعرقلة قرار التقسيم الذى كان يقضى بحق اللاجئين العرب فى العودة الى وطنهم ، اذ كان الجنود اليهود بعد أن يذبحوا ضحاياهم يدفنونهم سرا على الحدود ، وقالت الجريدة الامريكية بالحرف الواحد :

« ان لدى هيئة الأمم المتحدة صورا تمثل بعض هؤلاء العرب وقد انتزعت أظافرهم ، وتلطخت أيديهم بالدماء ، وأخرى تمثل البعض الآخر وقد تهشمت عظامهم » .

ومن العبث أن يحاول الكاتب أن يعطى صورة عن جرائم اليهود وفظائعهم ، ضد العرب ، فقد بلغت حدا من الشناعة يستحيل على أى انسان تصوره ، ولقد حاول البروفيسور آرنولدتوينبى ، أستاذ الدراسات الدولية بجامعة لندن ، وأشهر مؤرخى القرن العشرين على الاطلاق ... حاول أن يصف بعض هذه الجرائم فلم يجد أوجز من العبارة التالية :

« أشعر بأن مأساة جرائم اسرائيل والصهيونية أعظم شأنا من مأساة جرائم المانيا النازية » .

وراء العرب ... بالمترليوز !

وقد فضحت جريدة « كول هاعام » اليهودية أسباب هذه المذابح التى شنتها اسرائيل على العرب فى مقال لها يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، جاء فيه بالحرف الواحد :

« ان ما تلاحق به سلطات تل أبيب الأقلية العربية المقيمة فى اسرائيل من التعذيب والاكراه ، مما نلمس بعضه فى قرى عيلبون والمزرعة والطيرة وأبى غوش وأم الفرج وغيرها ، ليست الا حلقة صغيرة من سلسلة طويلة من التصرفات الدنيئة التى لا يتسع المجال لسردها بالتفصيل ، والتى تهدف الى شىء واحد هو طرد الأقلية العربية من وطنها ، واتخاذ مدن اسرائيل منافى للعرب ، يعذبون فيها » .

فالمطلوب هو طرد العرب بعد تجريدهم من أملاكهم ، فحتى هذا القرار الذى أصدرته هيئة الامم المتحدة بتمزيق فلسطين ، وتقسيمها الى دولة عربية وأخرى ... يهودية .

حتى هذا القرار لا يجد من « اسرائيل » شيئا من الاحترام ، بل

هى تستهل عهدها بالسخرية منه ... انها تطرد السكان من١٩٧قرية عربية — من القسم العربى — حسب قرار هيئة الأمم المتحدة — ويتم هذا الطرد بمنتهى العنف ... بل بنسف هذه القرى وهدمها تماما !

وفى هذا يقول « ميشيل كوماى » مندوب اسرائيل أمام اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة :

« من الخطأ الاعتقاد بأن الأمر قاصر على مجرد السماح للاجئين بالعودة الى فلسطين ، واستئناف حياتهم الأولى ، ذلك **لأن العالم الذى عرفه اللاجئون قد تلاشى ، وأعمالهم ومهنهم قد اختفت بعد رحيلهم ، والقرى المتداعية قد انهارت ، والاراضى قداستعمرت ، فاعادة اللاجئين تكون بمثابة قبول مهاجرين جدد فى بلاد تغيرت معالمها ولم يبق بها شىء من آثار الماضى ..! »**

ولم يذكر ميشيل كوماى بالطبع كيف تم تغيير معالم هذه القرى ، ولا كيف تم الاستيلاء عليها ... ولكن كاتبا يهوديا يدعى « هال لهرمان » قد تولى هذه المهمة فى مجلة كومنترى الامريكية ، فقد جاء فى مقال لذلك الكاتب عن رحلته الى اسرائيل :

« ولما طفت فى انحاء البلادثبت لى ان الجندى الاسرائيلى كان وحشيا فى معاملته حتى لغير المحاربين من العرب .. اذ ان كثيرا من القرى التى هدمت بالديناميت ، لم تكن مطلقا قد اشتركت فى الحرب ، بل دخلها اليهود فحطموها ، وحتى عندما وجدوا العرب قد فروا منها ، واصلوا أعمال التخريب ، حتى يضمنوا أن العرب لن يعودوا اليها » !!

والمهم أنه بعد أن انتهت الظروف التى كان اليهود يرتكبون فيها هذه الجرائم بالجملة تحت ستار أنها ظروف حرب .. بعد ذلك واصل اليهود جرائمهم بالقطاعى ضد العائلات والأفراد !

وتروى التقارير الواردة الى الجامعة العربية ، والتى تصفها الأمانة بأنها مستقاة من أوثق المصادر .. تروى هذه التقارير كثيرا من الوقائع الدامية التى نشرت الصحف اليهودية أيضا طرفا منها .. ان اليهود

لم يرحموا حتى الشيوخ المحطمين فقتلوا يوم ١٤ اكتوبر فى عكا «خليل سوسان الذى يزيد عمره عن ٦٠ عاما ، ثم قتلوا زوجته بهية الياس ميخائيل ، وفى قرية تعليا بمنطقة الخليل خطفوا فى يوم ٨ مايو سنة ١٩٤٩ أربعة من عائلة سمور وساقوهم الى قرية الجورة حيث أمروهم — مع ٦٠ عربيا آخرين — بخلع ثيابهم والانبطاح على بطونهم ، ثم اطلقوا عليهم النيران فلم ينج منهم سوى اثنين أحيلا الى المستشفى الانجليزى بغزة لخطورة اصابتهما ، وفى سبتمبر سنة ١٩٥٣ أعدمت السلطات ١٦ شابا من (قرية عيلبون — قضاء الناصرة) وطردت بقية الشبان عبر الحدود اللبنانية ، ثم أحرق الجنود جميع أفراد عائلة آل زريق !

وفى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٣ أرسل السيد محمد نداف مختار عمدة قرية الجلمة — غرب جنين ، البرقية التالية الى رئيس السلطات اليهودية فى تل أبيب

« يوم ١١ أغسطس رجال (كيبواتس لهفات جيب) نسفوا بيوتنا بالديناميت بالجملة ، وسبق ان قطعوا ألوفا من أشجارنا المثمرة المحكمة العليا حكمت لنا وسلطاتكم أدخلت المعتدين وساعدتهم ، شكونا للسلطات وليس من مجيب ، أنحن فى دولة أم بين عصابة ؟ اقتلونا فقد كرهنا البقاء تحت ظلمكم ، ها أنذا عمرى ثمانون سنة ولم أسمع ولم أر أفظع استبدادا وظلما منكم . ادفعوا ثمن اموالى لأخرج أو اقتلونى لأرتاح . اشكوكم الى الله » .

بهذا الأسلوب استطاعت الصهيونية أن توسع المكان الذى تقيم فيه قاعدتها الحربية فى أفريقيا .. فقتلت مئات الألوف من العرب ، وطردت بالفعل نحو مليون عربى ، ولم يبق فى داخل المعسكر الصهيونى — اسرائيل — سوى ١٧٧ ألف عربى ، حسب الاحصاء الرسمى السنوى لحكومة اسرائيل !

وبهذا الأسلوب استطاعت الصهيونية أن تبعث الى معسكرها فى

شمال افريقيا بثلاثة أرباع مليون يهودى .. منذ أعلنت قيام معسكرها اسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨

ولا يزال قادة المعسكر الصهيونى يطالبون بالمزيد من الجنود .. والمزيد من الأرض لتوسيع المعسكر ، فقد خطب بن جوريون فى أول يوم لاعلان اسرائيل ، وقال أنها نقطة البداية !

إسرائيل .. ماهي؟

ومن السذاجة أن نعتبر اسرائيل دولة ..

انما هى كما قلنا مجرد معسكر ، اقامته الصهيونية العالمية لجيشها فى فلسطين .. فى ملتقى ثلاث قارات هى بعض أهداف صهيون !!

وكل ما فى المعسكر المدعو (اسرائيل) يؤكد هذه الحقيقة ، ويفضح الأغراض التى انشىء لها هذا المعسكر ، أو هذه القاعدة الحربية ، التعليم .. والصناعة .. والزراعة .. والتجارة .. والجيش !

فالتعليم فى اسرائيل هو مجرد تعبئة روحية لاعداد الجنود للحرب ، وتعترف (حكومة) اسرائيل فى كتابها السنوى لعام ١٩٥٤ ضمنا بهذه الحقيقة اذ تقول :

« ان هدف التعليم الحكومى هو أن يبنى التعليم الابتدائى فى الدولة على أساس قيم الثقافة اليهودية ! » .

ويتضمن منهج التعليم فى اسرائيل فى المقام الأول .. اللغة والثقافة العبرية ، فتفرض هذه اللغة اجباريا ــ حتى على العرب ! ــ رغم أن يهود العالم كله ليس فيهم أكثر من ٤ ./ يعرفونها ، كما يتضمن المنهج التاريخ اليهودى ، وتاريخ الحركة الصهيونية وفلسفتها وتمجيد الجنس اليهودى وابطاله ! وأخيرا دراسة التوراة ! !

والصناعة فى اسرائيل هى مجرد ترسانة لاصلاح الأسلحة او صناعة قطع الغيار لها ، فاذا استثنينا القليل من مصانع الصابون والألبان والشيكولاته والساعات والسكر والعقاقير والأسمدة ، نجد ان أهم مصانع اسرائيل هى :

مصانع الاسلحة الصغيرة ، وذخيرتها ، وتنتج البنادق والقنابل ، ومدافع الاستن !

مصانع شركة كايزر فريزر للسيارات فى ضواحى تل أبيب وحيفا ، ويعمل بها نحو خمسة آلاف عامل ، يشتغلون فى انتاج واصلاح السيارات !

مصانع الكاوتشوك فى مستعمرة بيت هاتكفا ، لانتاج ما تحتاج اليه السيارات من الأطارات !

مصانع المواسير الحديدية ، وتنتج نحو ثلث مليون متر فى العام

مصانع أدوات البنـاء ، والأسمنت ، وفى مقدمتهـا مصنع نيشر ، ومصنع شمشون !

مصانع شركة فيلكو لأجهزة الراديو والأدوات الكهربائية المختلفة

ولو تأملنا هذه الصناعات الرئيسية فى اسرائيل لوجدنا أنها تؤدى ذات الأغراض التى تقوم بها الورش الحربية التى تلحق عادة بالجيوش فى زمن الحرب ، وقد رأينا مثلها فى مصر ، يتبع الجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الأخيرة !

والزراعة فى اسرائيل تعتمد على المستعمرات ، وقد بنيت هـذه المستعمرات على شكل حصون ، وجهزت بالأسلحة والقنابل ، وأعدت فيها المخابىء والسراديب التى تجعلها صالحة للحرب ، وقد بلغت هذه المستعمرات التى أنشىء أغلبها على حدود الدول العربية نحـو الف مستعمرة ، واعترف المسئولون الصهيونيون فى (الكنيست) بأنهم زودوها بأعضاء من منظمات الشباب !

والتجارة فى اسرائيل لا تستهدف سوى تموين هذا الجيش الصهيونى فالميزان التجارى هناك لا مثيل له اطلاقا فى أى بلد من بلاد العالم ، فعلى الرغم من الأحاديث الطنانة عن النهضة الصناعية فى اسرائيل ، نرى أن قيمة الواردات الى اسرائيل تزيد أكثر من عشر مرات عن قيمة الصادرات منها فى سنة ١٩٤٩ ، وحتى اليوم لا يزال الفرق كبيرا بين الكفتين .. ولا تزال واردات اسرائيل اضعاف اضعاف صادراتها !

والجيش فى اسرائيل هو اعجب وأغرب ما فيها ، فلم تبلغ نسبة الجيش لأى بلد ، فى التاريخ كله ، مثل هذا الحد الذى بلغه فى ذلك المعسكر حيث يقدر مجموع القوات المحاربة رسميا بنحـو ٣٠٠ الف جندى !!

منها ٥٠ ألف (على الأقل) فى الجيش العامل

ومنها ١٠٠ ألف احتياطى الجيش

ومنها ٥٠ ألف فى منظمات الشباب (الجادناع ، والبالماخ ، والناحاد الخ ...) .

ومنها ١٠٠ ألف هى قوات الأمن ورجال المستعمرات الذين يؤلفون فرق المقاومة !

ومعنى هذا ، أن كل خمسة مدنيين ، بينهم جندى محارب على الأقل!

فاذا علمنا ان الخمسة مدنيين هؤلاء بينهم الطفل ، والسيدة العجوز والشيخ الذى لا يصلح للحرب .. اذا وضعنا كل ذلك فى الحساب ، ادركنا أن هذه النسبة لا تعنى شيئا سوى أن اسرائيل ليست شعبا ، ولكنها جيش .. كلها جنود من الرأس الى أخمص القدم !

وكثيرا ما تلحق بالجيوش بعض عائلات الضباط من نساء وأطفال، وهو ما كان موجودا بالفعل عندنا فى القنال ، أيام الاحتلال البريطانى!

ونستطيع أن نعرف أهداف هذا الجيش ببساطة .

ـ من الطريقة التى يتم تأليفه وتدريبه بها

ـ من مصادر تمويله والاتفاق عليه

ـ من تصريحات قادته .. سياسيين كانوا أو عسكريين !

***

كان الكولونيل (جولد سميث) هو أول من دعا لتأليف هـذا الجيش الصهيونى ، وكان الهدف الأول منه هو احتلال فلسطين بالقوة، وقد رأى المؤتمر الصهيونى أن تنفيذ الفكرة يحتاج الى شىء من التكتم لأن أية حكومة سوف ترتاب فى نوايا اليهود من اعداد مثل هـذه التنظيمات العسكرية فى أراضيها ...

وأخذت الفكرة تتحقق فى شكل أندية رياضية للمكابيين .. نسبة الى المكابيين الارهابيين الأوائل !

ثم اجترأ اليهود على اعـلان تجنيد أول فرقة فى الحرب العالمية ، ويروى الدكتور حاييم وايزمان قصة هذه الفرقة اليهودية التى جمعت من يهود العالم ، وقدمت هدية لتحارب مع الجيش الانجليزى !

لقد جهزت هذه الفرقة بأموال الصهيونية العالمية ، ولم تلبث أن أصبحت — بعد الحرب — هى جيش (الهاجاناه) الذى كان يتولى حماية الاحتلال اليهودى فى فلسطين ... بصفة غير رسمية ، ثم تحول الى جيش رسمى بعد قرار الأمم المتحدة بتمزيق فلسطين !

وانضمت الى جيش الهاجاناه ... عصابات الأرجون زفاى ليومى ، وشترن ، والبالماخ ، وكل هذه العصابات الارهابية ، كانت تمول دائما من الصهيونية العالمية !

وحتى اليوم لم يتغير الوضع ، كل ما حدث أن التمويل الذى كان يتم بطريقة سرية ، أصبح اليوم يتم علنا .. وبطريقة رسمية

اذ (مناحم بيجين) رئيس عصابة الأرجون زفاى ليومى يزور امريكا فى أواخر سنة ١٩٤٨ فيجمع فى بضعة أيام أكثر من ٣ مليون دولار ، يخرج بها الى اسرائيل بعد أن تعفيه الحكومة الامريكية حتى من الضرائب الرسمية على مثل هذه التبرعات !

ويذهب من بعده دافيد بن جوريون ، رئيس حكومة المعسكر فيجمع فى ليلة واحدة ... فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له بقاعة (مديسون سكوير جاردن) مساء ١٠ مايو ١٩٥١ .. يجمع أربعة ملايين من الدولارات !

فاذا علمنا أن هذا الحفل لم يضم أكثر من بضع عشرات من أغنياء أمريكا ، ادركت من هم الذين يمولون هذا الجيش الصهيونى الذى يحتل فلسطين !

ولندع كل هذا أيضا ، لنأخذ الأرقام من ميزانية اسرائيل نفسها .. أن مجموع ما تحصل عليه اسرائيل سنويا هو ٢٦٩ مليون دولار ، بيانها كالآتى :

٥٠ مليون دولار قيمة المعونة الامريكية (فى المتوسط)
٦٧ مليون دولار قيمة التبرعات التى يجود بها يهود امريكا
٦٠ مليون دولار قيمة التعويضات التى تدفعها المانيا الغربية سنويا
٤٢ مليون دولار قيمة سندات قرض الاستثمار والتعمير فى امريكا

ومعنى هذا أن الصهيونية العالمية تدفع لكل جندى فى اسرائيل

مبلغ ٢٤٦ دولار ، وهو قيمة ما يتكلفه الجندى سنويا اذا اعتبرنا ان كل اسرائيل — بما فيها الأطفال والنساء أيضا — يعملون جنودا محاربين !

فاذا أضفنا الى هذا كله ، ما تدفعه الصهيونية العالمية لتجهيزوتدريب المنظمات اليهودية العسكرية فى الارجنتين ، وكندا ، وفرنسا ، وغيرها تمهيدا لارسالها بعد تمام تدريبها الى اسرائيل ...

بل اذا اضفنا الى هذا كله أيضا ، ما تقوم به الصهيونية العالمية من استخدم نفوذها ، لتسهيل استقالة الطيارين والضباط سواء من الجيش الامريكى أو الانجليزى أو غيره للالتحاق بالجيش الاسرائيلى بعد أن يكون قد تم تدريبهم على نفقة الامريكان أو الانجليز ، واكتسبوا منهم الفن والخبرة ... بل اذا أضفنا الى كل ذلك أخيرا ما تستخدمه الصهيونية العالمية أيضا من نفوذ فى فرنسا وانجلترا لمنح اسرائيل كثيرا من الأسلحة والذخائر المجانية !

اذا عرفنا كل ذلك ، أدركنا ببساطة كيف يتألف الجيش الاسرائيلى ومن أى مصدر يتمول ويتسلح ؟

بقى أن نعرف ما هى تصريحات قادة الجيش الاسرائيلى ، والى ماذا تشير ؟

يقول حاييم وايزمان ، فى أول تصريح له ، عقب ابلاغه نبأ انتخابه رئيسا لجمهورية اسرائيل

اليوم تحقق الصهيونية أول خطوة فى برنامجها ؟

ويخطب دافيد بن جوريون فيردد نفس هذا المعنى ، اذ يقول فى أول يوم لقيام اسرائيل أيضا

ليست هذه هى نهاية كفاحنا ، بل اننا اليوم قد بدانا ، وعلينا أن نمضى لنحقق قيام الدولة التى جاهدنا فى سبيلها .. من النيل الى الفرات

ولا يكاد المؤتمر الصهيونى ينعقد ، بعد قيام (معسكر اسرائيل) حتى يخطب بن جوريون فيؤكد ذلك المعنى السابق بكلمات أصرح وأوضح اذ يقول :

تتميز دولتنا بانها الوحيدة التى لا تعتبر غاية فى ذاتها بل هى وسيلة فقط لتحقيق رسالة الصهيونية ، وجمع اليهود المشتتين . فهى ليست دولة الذين يستوطنونها وحدهم . بل هى دولة الشعب اليهودى كله !

ولم تأت هذه التصريحات المتهوسة ارتجالا ، او نتيجة النشوة التى جعلته يغيب عن رشده بخمر النصر ، بل ظل دافيد بن جوريون الذى يسمونه فى اسرائيل (ابو الشعب) .. ظل ذلك الصهيونى العجوز يردد هذا المعنى ايضا ويؤكده فى سلسلة من التصريحات المتعاقبة من سنة ١٩٤٨ الى اليوم !

فيتحدث الى لفيف من الامريكيين الذين كانوا يزورون اسرائيل فى أغسطس سنة ١٩٤٩ قائلا :

لا تزال الاغلبية الساحقة من الشعب اليهودى تعيش فى الخارج

ويقول لطلاب الجامعة العبرية والمعاهد العليا عند مستهل العام الدراسى سنة ١٩٥٠

ان هذه الخريطة ـ يعنى خريطة فلسطين ـ ليست خريطة دولتنا ، بل ان لنا خريطة أخرى ، عليكم انتم مسئولية تصميمها .. خريطة الوطن الاسرائيلى ، الممتد من النيل الى الفرات

ويدلى بحديث الى مندوب (النيويورك تيمس) فى آخر مايو سنة ١٩٥١ يقول فيه :

ان رسالة الصهيونية لا تنتهى باقامة دولتنا الجديدة ، بل ان الحركة الصهيونية الزم الآن لليهود من اى وقت مضى !

وفى خلال المعركة السياسية يقول للجماهير فى اجتماع حزبى سنة ١٩٥٢

فليفهم الجميع أن اسرائيل قد قامت بالحرب ، وانها

لن تقنع بما بلغته حدودها حتى الآن . . ان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات

ويقول فى جلسة للبرلمان الاسرائيلى ـ الكنيست ـ سنة ١٩٥٣

ان خطتنا ترمى الى تحويل القتال فورا الى ارض الاعداء فان جيشنا لم يكن فى يوم من الايام ، أقوى مما هو الآن !

وفى سنة ١٩٥٤ يتحدث عن ضرورة الاستعانة بجهود الشعب اليهودى فى العالم ، وكل ما يملك من ثروات وقوى فنية واقتصادية وعلمية ، وصحف ويقول :

لابد أن نسخر الهيئة الصهيونية العالمية بكل مؤسساتها ، وكل مالها من نفوذ سياسى لضمان نجاحنا ، وبدون ذلك لا يتيسر لنا النجاح

واخيرا يقول فى كلمة له امام الميكروفون فى اذاعة اسرائيل يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٥٥

ان قوات اسرائيل على استعداد لاحتلال دمشق وبيروت وعمان خلال ساعات !

ويأتى فى الترتيب بعد حاييم وايزمان ، ودافيد بن جوريون .. الارهابى المعروف مناحيم بيجين ، رئيس حزب حيروت

ان هذا السفاح الوقح يخطب فى مؤتمر المحاربين القدماء يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٥٥ فيقول بالحرف الواحد :

ان الاعداء يحيطون بنا من كل جانب ، وان لم نبادر بمهاجمتهم فى عقر دورهم ، ونحطم قوتهم الحربية ، سبقونا هم الى تحطيم اسرائيل ، عليكم يقع واجب المحافظة على الوطن ، وتوسيع حدوده

ويتكلم الجنرال بيجال يادين رئيس هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى فى الاحتفال بعيد الاستقلال يوم ١٠ مايو سنة ١٩٥١ فيقول هو أيضا :

لا تقنعوا بما أحرزتم من نصر ، فان علينا ان نضاعف الجهد حتى نحقق كل ما نصبو اليه !

ويتحدث موسى شرتوك ــ وزير الخارجية السابق ــ فيقول فى حديث له الى جريدة (جيروزالم بوست)

ان اسرائيل لن يكتب لها البقاء مالم تشن حربا وقائية ضد الدول العربية ، وتمد حدودها داخل أراضى هذه الدول العربية حتى تضمن سلامتها

ويلقى فلاديمير جابوتنسكى رئيس الحزب الاصلاحى بدلوه هو أيضا فى هذا المزاد الاستعمارى فيقول :

سنطرد العرب من فلسطين وشرق الاردن ، وسنقذف بهم الى صحاريهم ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الاردن أولا ، ثم نمتد بها الى ما وراء حدود فلسطين !

ويقول بيرنشتين وزير التجارة والصناعة السابق فى خطبة عصبية له :

على الشعب ان يقلل من استهلاكه ، ويتكتل وراء زعمائه استعدادا للساعة الفاصلة التى نمحو فيها الدول العربية من الوجود !

كما يقول أيضا :

على اسرائيل ان تبدأ بالهجوم على العرب فى حرب خاطفة قبل أن يكون فى استطاعتهم ان يقضوا علينا

ويدلى موسى ديان ، قائد الجيش الاسرائيلى بتصريحات خطيرة الى جريدة (ها آرتس) الصهيونية فى يوم ١٠ يولية سنة ١٩٥٥ يقول فيها :

يجب الا نضيع دقيقة واحدة من الوقت فى الاستعداد لهجوم خاطف نشنه على اعدائنا .. ولنتأهب لهذه المعركة القادمة حتما

ويقول الزعيم الصهيونى المعروف نورمان بنتويش :

ليس من المعقول ان تبقى فلسطين المستقبل محدودة بحدودها الحالية ، ففى استطاعة اليهود الانتشار والتوسع الى جميع البلاد المحيطة بنا من البحر الابيض المتوسط الى الفرات ، ومن لبنان الى النيل ، فهذه هى البلاد التى اعطيت لشعب الله المختار !

وفى ٢٢ يناير سنة ١٩٥٢ يؤسس الدكتور اسرائيل شب (الحزب الملكى) فى تل ابيب ، فيضع عضو شترن السابق على رأس برنامج حزبه :

بعث مملكة سليمان من النيل الى الفرات !

وفى سنة ١٩٥٢ يصرح ليفى اشكول وزير الزراعة بما يكشف جزءا من الخطط العدوانية التى أعدت لغزو الدول العربية فيقول :

لقد استعنا بشباب الطليعة الذى سبق له التدريب فى جيش الهاجاناه ، وفى منظمة البالماخ ، ومنظمة الجنود المسرحين ونقلناهم للمرابطة والسكنى فى النقط الواقعة على ممر القدس ، والنقط الواقعة على حدود سوريا ولبنان ، والنقط الواقعة على الحدود المصرية

وفى ٢٩ يولية سنة ١٩٥١ يدلى صهيونى آخر هو الدكتور التمان بدلوه أيضا فيقول :

ان جمع الشتات معناه حشد خمسة ملايين من اليهود على الاقل فى داخل اسرائيل ، خلال العشر سنوات القادمة

وفى سنة ١٩٥٢ يخطب قائد عام القوات المسلحة ، فيقول وهو يزهو ويتخايل :

ان جيشنا قادر على السير فى الحرب داخل بلاد الاعداء ، فان حدود اسرائيل ليست طبيعية ويجب تعديلها

وفى يونية الماضى ــ عام ١٩٥٥ ــ عاد السفاح مناحيم بيجين يلح على الحكومة ان تسرع بالعمل .. فقال :

يجب ان يتحرك جيشنا ليستولى على القاهرة ودمشق!

وفوق ذلك كله ، كيف ننسى أن البرلمان الاسرائيلى ـ الكنيست ـ قد كتب عليه رسميا .

وطن اسرائيل .. من النيل الى الفرات ؟!

وكيف ننسى أن هذا البرلمان كان يتناقش علنا منذ بضعة شهور فى (الحرب الوقائية) ؟ التى يطالب حزب (حيروت) بشنها ضد الدول العربية بلا ابطاء ؟!

وكيف ننسى أن أول ما يلقنه المهاجرون وهم يستقلون البواخر فى طريقهم الى اسرائيل هو النشيد الصهيونى الذى يقول ؟

نعود للوطن ...

وطننا اسرائيل ...

أنه الآن صغير ...

ولكنه سيكبر ويتسع .... سنبنيه بايدينا هذه ...

من النيل الى الفرات ...

والنشيد الآخر الذى يقول :

اليهود شعب واحد ...

وطنهم اسرائيل ...

بل كيف ننسى ذلك النص الرسمى لاعلان قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ وهو :

نحن أعضاء المجلس الوطنى ، الممثلين للأمة اليهودية ، وللحركة الصهيونية فى العالم، استنادا الى الحق القومى والتاريخى للامة اليهودية، ولقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة، نعلن قيام دولة يهودية فى فلسطين باسم : (اسرائيل)

واننا لنوجه النداء الى الشعب اليهودى فى أنحاء العالم أجمع أن يلتف حولنا ويعاوننا فى مشروعات الهجرة والتعمير وان يقف الى جانبنا فى نضالنا العظيم فى سبيل تحقيق حلم الاجيال .. تحرير اسرائيل !!

ومن هذا الأعلان الرسمى نرى ان :

١ ـ اسرائيل قامت باسم الحركة الصهيونية فى العالم

٢ ـ اسرائيل قامت استنادا الى الحق القومى والتاريخى للأمة اليهودية

٣ ـ الشعب اليهودى فى انحاء العالم أجمع

٤ ـ النضال الصهيونى يهدف لتحرير .. اسرائيل

اذن فهذا هو جيش الصهيونية العالمية ، وليست اسرائيل سوى معسكر .. قاعدة حربية تتجمع فيها القوات المسلحة للصهيونية ، وتتخذها مركزا استراتيجيا للهجوم ، هذا الهجوم الذى تحددت خطواته الأولى بالوثوب على العالم العربى .. على شمال أفريقيا كلها .. أولا من النيل الى الفرات ، ثم من الفرات الى الجزائر ومراكش حيث يوجد نصف مليون يهودى آخرين !

وبعد ...

فاذا بقى بعد ذلك كله من يشك فى هذه الحقيقة ، واذا كان هناك من يبتسم لتصريحات زعماء اسرائيل ، ويعتبرها مجرد عبارات حماسية لا تمثل حقيقة نوايا الصهيونية العالمية ..

اذا كان هناك من يخطر له شىء كهذا ، فعليه أن يضيف الى كل ما تقدم ، هذه السلسلة الطويلة من الاعتداءات الاسرائيلية على حدود الدول العربية .. جميعا

لقد بلغت هذه الاعتداءات ٥٨٠٠ حادثا ، أدينت اسرائيل رسميا فى ٥٧٦٢ حادثا منها بقرارات من لجان الهدنة او مجلس الأمن (١)

والجدير بالذكر أن هذه الاعتداءات تتزايد عاما بعد عام ، فقد كانت فى سنة ١٩٤٩ مثلا ١٦ حادثا استشهد فيها ستة وجرح وأسر ٣٦ فاذا بها تقفز فى العام التالى الى ٤٤ حادثا يستشهد فيها ٨ ويبلغ عدد الأسرى والجرحى ٣٥ ، وهكذا تستمر موجة الجرائم العدوانية فى الصعود حتى تبلغ فى سنة ١٩٥٥ (٢٧٦) حادثا يستشهد فيها ١٥٥ ويبلغ الجرحى والأسرى (١٨٣) ـ ٢

(١) اسرائيل دولة الناهب للواء سيد فهمى

(٢) اسرائيل العدو المشترك للواء محمد صفوت

والاعتداءات المذكورة هنا خاصة بالاعتداء على حدود مصر فقط، الى جانب الاعتداءات الاخرى على سائر الدول العربية ، والتى يمكن أن نقرر أن ضحاياها ـ منذ توقيع اتفاقية الهدنة ـ قد بلغوا بضعة ألوف من شهداء العرب ...

والى جانب هذه الاعتداءات الصارخة على الأرواح .. اعتداءات أخرى على أرض العرب وممتلكاتهم .

ويكفى أن تعلم :

ـ ان الممتلكات العربية التى نهبتها اسرائيل قدرت رسميا بالفى مليون جنيه .

ـ وان نصف المساحة التى تشغلها اسرائيل حاليا كانت من نصيب العرب ، حتى ضمن قرار التقسيم !

وليست هذه الحقائق ، وتلك الأرقام ، فى حاجة الى أى تعليق !!

الحياة داخل المعسكر !

ويهمنا ولا شك أن نعرف كيف تمضى الحياة داخل ذلك المعسكر ... المدعو « اسرائيل » !

ولما كان المعسكر الصهيونى قد اتخذ لنفسه عنوانا مضللا هو « دولة اسرائيل » فلابد من « الديكورات » اللازمة لتأكيد هذه الأكذوبة فى الأذهان ... حكومة ! ووزارات ! وبرلمان ! وأحزاب ! وسفارات ، ومفوضيات ! ودستور أيضا وقوانين ... ومحاكم !

❋ ❋ ❋

فالاحزاب هى المنظر الاول فى هذه الكوميديا الصهيونية حيث يخلع اعضاء العصابات الارهابية ملابسهم الملطخة بالدم ، ويغيروا أسماء منظماتهم الاجرامية ، فالهجانا ، تغير اسمها الى حزب زفاى ليومى تغير اسمهاالى حزبحيروت ، أى الحزبفيتولى أولها الحكم وبتولى ثانيهما المعارضة ، ويوجد عددمن الأحزاب يوازى مجموع أحزاب ثانيهما المعارضة ، ويوجد عدد من الأحزاب يوازى مجموع أحزاب انجلترا وفرنسا مجتمعين ... ففى تل أبيب ، حيث لا يزيد عدد السكان عن مليون ونصف ، يوجد ٢٣ حزبا ، بينها تسعة من أحزاب الوسط لأكثرها طابع دينى ومن أهمها حزب مزراحى ، وحزب هاشوميرها تسعير ، وحزب موعل زيبولون وحزب أجوادات الذى يعتبر اكثرها تزمتا ، ويتزعمه أكبر عدد من الحاخامات الربانيين اويلى الأحزاب الدينية فى العدد أحزاب اليمين المتطرف اذ يبلغ عددها ثمانية، وفى مقدمتها حزب أحدوت الذى يرأسه الارهابى بيجال ألون ! والحزب الصهيونى العام برئاسة بيرنشتين وزير التجارة السابق ، وأكثر أعضاء هذا الحزب من اليهود المقيمين فى امريكا ، والمتجنسين فعلا بالجنسية الامريكية ! ثم الحزب الملكى برئاسة اسرائيل شب !

والحزب الاصلاحى ! والحزب الماسونى !!

ويلى أحزاب اليمين أحزاب اليسار طبعا ، وفى مقدمتها الحزبان الشيوعيان ... الشيوعى اليهودى ، والشيوعى الفلسطينى ، وقد ثبت أن لأقطاب الحزب الأول اليد الطولى فى قضايا التجسس التى كشف عنها منذ سنوات فى براغ وبودابست !

والحزب الثانى يضم الشيوعيين العرب ... ومن بين أحزاب اليسار أيضا حزب مابام أو حزب المناضل ! والحزب التقدمى ...وهو تقدمى لأنه يطالب بضم اسرائيل صراحة الى الكومنولث البريطانى !!

ونستطيع ، بشىء من التأمل ، ادراك بعض الحقائق الهامة ، فمن ذلك أن ٩٩ (فى المائة) من هذه الأحزاب لها اتجاه دينى أو صهيونى أو رجعى أو مضلل ، وهى صاحبة النفوذ الحقيقى سواء فى الحكم أو فى المعارضة !

ومن ذلك أيضا أن الأحزاب الصهيونية قد قسمت نفسها تقسيما مريبا لتقبل الدول الكبرى ... فالحزب الصهيونى يدعو للسيادة الامريكية ، والحزب التقدمى يطالب بالانضمام الى الكومنولث البريطانى ! والحزب الشيوعى « اليهودى » مفروض فيه أنه لايسعى لاقامة نظام شيوعى !!

والمهم فى النهاية أن « كل » هذه الأحزاب تسلم بالقومية اليهودية و « أغلب » هذه الأحزاب تعترف برسالة الصهيونية العالمية ضمنا ، أو تستقل برأيها صراحة !

والحكومة هى المنظر الثانى فى الكوميديا الصهيونية ، فهى تعكس أصدق صورة للقومية « المرقعة » فى معسكر اسرائيل ... ان رئيس الحكومة ــ دافيد بن جوريون ــ ... بولندى !

وموسى شرتوك وزير الخارجية(١) ... تركى !

وليفى أشكول وزير الزراعة ... روسى !

وفرتيز نفتالى وزير الهجرة ... المانى !

(١) كتب هذا الفصل قبل خروج شاريت من الوزارة

ودوف يوسف وزير التموين ... كندى

ويوسف براجو وزير الصحة ... نمسوى !

وبهور شترت وزير البوليس ... أردنى !

واليزر كابلان وزير المالية ... روسى !

واسحق ليفين وزير الشئون الاجتماعية ... بولندى !

وهكذا تتألف حكومة اسرائيل من وزارة دولية تضم ١٤ وزيرا لا يرتبط منهم ثلاثة بجنسية واحدة ! فبينما يشغل وزارة المعارف مثلا فرنسى ! يتولى وزارة الدفاع المانى ! ويتقلد وزارة الاشغال بريطانى! ... ولا داعى لأن نسأل أية علاقة لهؤلاء « الأجانب » بفلسطين ، ولا داعى لأن نسأل أية قومية هذه التى ربطت بين وزير التموين الكندى ووزير المالية الروسى ؟ أو بين وزير الهجرة الالمانى ووزير الخارجية التركى ؟... لا داعى لكل هذه الأسئلة ، فقد شاء منطق الصهيونية أن يجعل كل هؤلاء شعبا واحدا ... أو معسكرا واحدا على الأقل !

والبرلمان فى اسرائيل هو ثالث المناظر التى تثير وتضحك فى الكوميديا الصهيونية ... ففى ذلك البرلمان المعروف هناك باسم ــ الكنيست ــ ١٢٠ مقعدا موزعة على الثلاثة وعشرين حزبا ! تضاف اليها بعض المنظمات الأخرى ، كالهستدروت (اتحاد العمال اليهود) وتظفر الأحزاب اليسارية بنحو ١٤ مقعدا ... منها ٦ للحزب الشيوعى اليهودى ، ومقعد واحد للحزب الشيوعى الفلسطينى !

وفى البرلمان ، كما فى الصحافة ، حرية فعلية تحتما ظروف المعسكر فى الداخل والخارج ... فارتباط الصهيونية العالمية بأكثر من دولة كبرى ، وبالتالى بأكثر من اتجاه سياسى أو استعمارى ، يحتم عليها أن تعطى صورة غير محدودة وغير واضحة لطبيعة أهداف معسكرها ، وتعدد القوميات التى ينتسب اليها سكان المعسكر ، وبالتالى ثقافاتهم وطرائقهم فى التفكير ، كل ذلك يجعل من « حرية الرأى » هناك « مصيبة » لا بد منها !

... كلا بل أن هذه الحرية التى يكره عليها قادة المعسكر ليست

شرا على طول الخط بالنسبة للصهيونية ، فهى أيضا من أحدث الوسائل للترفيه عن الجنود ! وتزجية فراغهم بمناقشات لا تضار منها الصهيونية كثيرا ، لا سيما والجميع هناك صهيونيون ، ولو أنهم فى الصهيونية .. مراتب ودرجات !

وهذه الحريات الكلامية ، هى المكسب الحقيقى الوحيد فى تلك الديموقراطية التى تدعيها اسرائيل ...

وانها لديمقراطية شكلية مزيفة ، ليس لها أى وجود حقيقى لا بين اليهود والأقلية العربية الموجودة بينهم ... بل حتى ولا بين اليهود وبعضهم !

أما اليهود فينقسمون فى ذلك المعسكر الى شطرين .. اليهود « الاشكنازى » وهم الأغلبية ، وينتسبون الى دول الغرب واليهود « السفراديم » وينتسبون الى دول الشرق ، ومن الأولين تتألف الطبقة الارستقراطية الحاكمة ... الضباط ! ومن الآخرين تتألف الطبقة الكادحة ... طبقة الجنود !

ولكن ليس هذا هو التقسيم الوحيد بينهم ، كلا ، فكل قسم ينقسم أيضا الى أقسام ينظر بعضها الى بعض شذرا ، كما كان الصدوقيون ينظرون الى الفريسيين قديما ، أو كما كان اليهود ــ سلالة يهوذا ــ ينظرون الى سائر أبناء اسرائيل !

واذا كانت هذه نظرة اليهود بعضهم الى بعض ، ففى وسعنا أن نتصور كيف تكون نظرتهم الى العرب !!

فالقوانين هناك عوراء أحيانا ، عمياء فى أكثر الأحايين ! ولنأخذ مثلا قانون الجنسية الصادر فى سنة ١٩٥٢ ... كيف يفرق بين العربى واليهودى ، تفرقة تشمئز منها اشد الحكومات تأخرا ، فهو يلزم العربى ــ لكى يحصل على الجنسية ــ بأن يقدم ما يثبت انه كان يقيم فى البلاد قبل ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ، والمعروف أن أكثر المستندات والوثائق التى يمكن أن تثبت هذا ، قد نهبتها عصابات الصهيونيين أو أحرقتها خلال ترويعها للأهالى ومطاردتها لهم ــ أما اليهود من أى مكان فى العالم ــ فالقانون المذكور يسمح لهم أن « يعودوا » الى وطنهم

اسرائيل ، وتمنح لهم الجنسية ، تلقائيا ، بمجرد دخولهم !

وقانون منع التسلل ، يستهدف ــ من حيث الشكل ــ الى منع غير المواطنين من دخول البلاد خلسة ولكنه ــ من حيث الواقع ــ قصد به الى تمكين السلطات من طرد أكبر عدد من العرب المقيمين هناك فعلا ، بحجة أنهم لا يملكون ما يثبت جنسيتهم ... بل وكل « ساكن فى أرض اسرائيل تكون رعويته مشكوك فيها » !!

فاذا عرفنا أن هذا القانون يعاقب بالطرد وبالسجن ٧ سنوات والغرامة ٧٠٠٠ ليرة اسرائيلية على كل من يتسلل الى البلاد، وبالسجن ١٥ سنة والغرامة ١٠٫٠٠٠ ليرة لكل من يأوى متسللا ! واذا عرفنا ان هذا القانون له أثر رجعى ... أدركنا فى الحال أهداف القانون ، وعلى من يطبق ! !

ونأخذ أيضا هذه المجموعة المسلسلة من القوانين التى وضعت للاستيلاء على أملاك العرب جميعا ، فقانون الطوارىء سنة ١٩٤٩ يجيز للحكومة مصادرة أراضى العرب فى المناطق الحربية ... النقب، والجليل ، والمثلث الصغير وقانون أملاك الغائب سنة ١٩٥٠ يجيز للحكومة تعيين حارس على أملاك الغائبين يكون له الحق « فى بيع الملك الموضوع تحت تصرفه بموافقة اللجنة التى يعينها وزراء المالية والزراعة والاقليات ، ويحرر الملك حينئذ من قيوده السابقة وينزع من مالكيه » . وقانون زراعة الاراضى الخراب يجيز لوزير الزراعة توزيع أراضى العرب المهجورة على الفلاحين اليهود ، والمعروف أن كثيرين من أصحاب هذه الأراضى حتى من سكان اسرائيل العرب لا يستطيعون الانتقال من القرى المحتجزين فيها لفلاحة تلك الأراضى بنص قانون الطوارىء ! وقانون استملاك الأراضى سنة ١٩٥٢ يجيز مصادرة الأراضى اللازمة للمشروعات ، والانشاء ، وبناء المستعمرات ! وقانون التصرف سنة ١٩٥٣ يجيز لوزير المالية أن يسجل باسم سلطة التعمير والانشاء كل أرض لا يتصرف فيها صاحبها تصرفا فعليا (بنفسه وبيده) ويمنح صاحبه تعويضا عن كل دونم لا يوازى قيمة انتاج هذا الدونم فى العام الواحد !

والدستور فى نطاق الكوميديا الصهيونية ، يتحدث عن العدالة ، والأمن والمساواة ، كمـا يتحدث عن حرية العقـائد والأديان وحرية التنقل والسفر !

لكن ضبـاط معسكر اسرائيل يسرفون فى المحـافظة على هذا الدستور الى حد عدم استعماله اطلاقا خوفا عليه من الاستهلاك !

فقانون الطوارىء يمنع أكثر العرب من حق التنقـل ، وغارات اليهود واللصوص على العرب بصفة خاصة تهتك أسباب الأمن ، وأما المساواة فأكذوبة لا محل لها فى معسكر اسرائيل ... ونستطيع أن نأخذ مثلا واحدا من موقف الحكومة من تعليم العرب ، فبالرغم من الضرائب البـاهظة التى تجبى منهم باسـم التعليم ، والتى تبلغ نحو ٢٥ ليرة اسرائيلية فى السنة عن كل عربى يحمل الجنسية «الاسرائيلية» بالرغم من هذه الضريبة التى لا يعفى منها غنى أو فقير ... ذكر أو أنثى ، فان هذا التناقص فى عدد الطلبة بالمدارس الابتدائية العربية يزيد عاما بعـد عـام ، فبينما هو ٢٨٠٧٥ فى عـام ١٩٥٣ اذا به يهبط الى ٢٥٧٣٣ فى عام ١٩٥٤ ، كما ينقص عـدد المعلمين أيضا من ٧٩٧ الى ٦٩٠ ثم الى ٤٠٣ فى عام ١٩٥٥ (١) .

ومع العناية الفائقة التى توليها حكومة المعسكر لأبناء الجنـود اليهود بالمدارس فتقدم وجبات الطعام الى ٧٣ ألف طالب ، وتقدم اللبن والكاكاو لنحو ٥٠ ألف طفل ... وفى الوقت الذى لا يكاد يوجـد طفل يهودى واحد خارج المدارس يحرم ١٧٠ ألف طفل عربى من حق التعليم ، ويحشد السعداء من أبناء العرب فى غرف قذرة فى مدارس بعيدة عن بيوتهم بعشرين كيلو مترا وأكثر فى بعض الأحيان ، بل أن كثيرين من أبنـاء العرب الذين يقطنون فى المنـاطق ـ العسكرية ـ محرومون من الالتحاق بالمدارس الثانوية أيضا لعدم وجود مدارس فى هذه المناطق التى يحرم عليهم أن يغادروها .

وفى هذا تقول جريدة الاتحـاد ـ لسـان الحزب الشـيوعى الفلسطينى ـ يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٥٥ :

(١) الكتاب السنوى لحكومة اسرائيل

« ... ففى معظم القرى العربية لا تجد مدرسة فى بناية موحدة ، بل فى غرف متفرقة متباعدة لا تصلح أن تكون غرف دراسة والناحية الصحية فى تلك المدارس مفقودة ، وحالة الأثاث فى المدارس سيئة ، ففى كثير منها لا توجد مقاعد ، واذا وجد مقعد يتسع لطالبين يحشر فيه أربعـة وفى بعض المدارس يستعمل المعلمون باب الغـرفة كلوح للكتابة ، ويتعلم تلاميذ أكثر المدارس العربية دروس الجغرافيا بدون خرائط ، وفى المـدارس الثانوية تدرس الطبيعـة بدون مختبرات ، وتفتقر المدارس العـربية الى الكتب المطبوعة ففى كثير من المدارس تستعمل كتب الجغرافيا مثلا للقراءة العربية والكتب الموجودة باللغة العربية لا تتعدى أصابع اليد ، وقد حشرت حشرا بالتوجيهات التى تريدها السلطات الحكومية للنشء العربى ، وخذ مثلا كتاب «الرياض» الجزء الثالث تأليف دانيـال وحزاف وخورى لترى كيف يتحدث المؤلفون عن شركة « مكوروت » وفضلها على الزراعة للعربية » .

« وتدعى السلطات أنها فتحت أبواب المدارس العليـا كالجامعة العبرية والتخنيون فى وجه الطلاب العرب ، والواقع أن أعدادا ضئيلة جدا من الطلبة العرب استطاعت الدخول الى هذه المدارس العليا ولم يظفر بذلك على الأغلب الا من خـدم أهداف السلطات الحاكمة ، أما المعلم العربى فهو تحت رقابة دقيقة جدا من السلطات ، وعيونها فى كل مكان ، ومع ذلك فان مفتش المعارف العربية يصف هؤلاء المعلمين العرب بالوقاحة ، وقـلة الأدب ، ويفتن فى الاستبداد بهم ويحاسبهم حسابا عسيرا على كل تقصير يبـدو منهم فى تعويد التلاميذ الطاعة العمياء واحترام حكام اسرائيل » .

ويصف مندوب جريدة (على همشار) حال المدارس العربيـة بعد رحلة نظمتها له الحكومة هنـاك مع بعض الصحفيين الآخرين ، يصحبهم « شموئيل سلامون » مفتش التعليم العربى ...

وفى هذا الوصف الذى نشرته تلك الجريدة اليهودية يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٥٥ :

« ان أكثر من ٨٠ ٪ من المدارس العربية فى حالة سيئة للغاية فى أبنيتها وأثاثها وطلبتها ، وأن معظم أبنية المدارس تشبه المغاور ، وهى حظائر حيوانات ، ولا مقاعد فيها ، بل يجلس الأولاد على الأرض فوق حصر بالية ، كما هى واقع فى مدارس القرى التالية ... جسر الزرقاء بدنوم ، برطعة ، كيسرا ، جت ، وعشرات أخرى من القرى » .

بقى أن نعرف أن المدرسة التى زارها مندوب « عل همشار » هى أفضل المدارس الثانوية العربية باعترافه ومع ذلك كانت نسبة النجاح فيها ... واحد من مجموع المتقدمين للامتحان وهم ١٩ طالبا .

والتعصب الصهيونى فى المعسكر يتجلى بصفة رسمية أيضا فى الاعتداء على حرية العبادة ، والمقدسات المسيحية والاسلامية على السواء ، فقد نسفت السلطات كثيرا من المساجد فى قرى النبروه ، والغابسية ، والكابرى ، والكويكات ، كما أغلقوا جامعى النزهة وحسن بك فى يافا ، وحولوا مسجد النبى داوود الى كنيس يهودى ثم استولت السلطات أيضا على مقابر المسيحيين والمسلمين الأثرية فى القدس المحتلة ، ومنها مقبرة « مأمن الله » التاريخية ، كما استولت على عدد آخر من الأديرة والكنائس الواقعة على جبل صهيون ، ونسفوا ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٥٣ كنيسة قرية أقوت ، وكنيسة قرية كفر برعم فى أكتوبر سنة ١٩٥٣ ، ونهبت التحف والأوانى الذهب والفضة من عدد كبير من الكنائس والأديرة التى حولت الى مراكز للقوات المسلحة وفى يوم الجمعة الحزينة (١٦/٤/١٩٥٤) نبشوا مقابر الروم الكاثوليك فى حيفا ، وحطموا الصلبان التى على القبور ، بحثا عن أى شىء يمكن أن يغنموه .

ان اسرائيل تعامل الأقلية العربية فيها كأسرى .. بل أن أى جيش يكون مسئولا عن أسرى الأعداء بموجب القوانين الدولية ، أما فى معسكر اسرائيل فالأقلية العربية لا تلقى أية معاملة آدمية ، فهى تعيش فى « غيتو » مهمل على حد تعبير الكاتب اليهودى ميرى فى جريدة « كول عاهام » الصهيونية .

وتقدم جريدة « ها آرتس » فى تل أبيب ، صورة لما يعانيه العرب فى يافا فى ١٢ ابريل سنة ١٩٥٥ فتقول(١) :

« فى هذه المدينة ستة آلاف عربى ، منهم ٢٦٠٠ مسلم و ٣٤٠٠ مسيحى هم البقية الباقية من أهلها الذين كان عددهم مائة الف نسمة وقد حلت (اليدش) محل اللغة العربية ، واضطرت الجالية العربية التى بقيت فى يافا الى بيع ممتلكاتها للمهاجرين اليهود بثمن بخس وقد صرح سعيد الهباب أحد سكان المدينة العرب أن عرب يافا يعيشون الآن فى ضنك شديد يعانونه من سلطات الاحتلال اليهودية التى تضن عليهم بالخدمة الطبية فيموتون فى الشوارع أو فى الغرف المظلمة دون أن يشعر بهم أحد » .

ولا يتسع المقام بالطبع لمئات من هذه الصور المظلمة للحياة التعسة التى يلقاها العرب ... حيث يعيشون هناك غرباء فى وطنهم لا يملكون مجرد التنقل ، بينما تملك السلطات هناك أن تنقل قرى عربية بكل سكانها ، الى الحدود ، لتضعهم فى فوهة المدافع ، أو تجعل منهم كبش الفداء ، اذا ما شرعت اسرائيل فى تنفيذ خططها العدوانية المعروفة .

* * *

وفى كلمات مختصرة ، يمكن أن نصف الحياة داخل معسكر اسرائيل بأنها لا تختلف فى كثير أو قليل عن أى معسكر لأى جيش من جيوش الاحتلال فى العالم ، الا بما فيها من كوميديات يسمونها الأحزاب ... والبرلمان ... والوزارة .

انها ــ كما قلنا ــ تسلية للمليون ونصف جندى يزجون بها أوقات الفراغ ، فكل يهودى فى اسرائيل جندى يحمل السلاح .. وقد تدرب عليه فى معسكرات ، امريكا ، أو فرنسا ، أو بريطانيا أو غيرها ، ثم جاء الى اسرائيل ، وعهدت اليه مسئولية الاشتراك فى مهنة « مدنية »

---

(١) نقلا عن مذكرة للجامعة العربية

يقطع بها الوقت أيضا ... فلاح ، أو تاجر ، أو عامل فاذا ما أرادت اسرائيل عدوانا ، أو أحست خطرا ، فالتعبئة العامة هناك لا تعنى أكثر من مجرد نفير ينفخ فيه ، فاذا كل فرد فى اسرائيل يحمل سلاحه ويتخذ مكانه فى المستعمرة التى يسكنها ، فقد بنيت هذه المستعمرات بالأسمنت المسلح على هيئة حصون ، وجهزت بالمدافع والرشاشات ، والقنابل ، وأعد فى كل منها مخزن للذخيرة .

أما الأقلية العربية ، فهى أسرى ... تساف الخسف والهوان والتعذيب ، بعيدا عن عيون القانون الدولى ، وهيئة الأمم المتحدة .

سراديب التآمر !

يعلمنا قانون التطور أن كل حي لا بد أن يدافع عن بقائه ، ولا بد أن يتفنن في المحافظة على عناصر حياته ضد عناصر الفناء التي تعمل فيه ... وقد خضع كل نظام من النظم التي مر بها المجتمع ، لهذا القانون نفسه . وكان لكل من هذه النظم أسلوبها الخاص في الدفاع عن كيانها .

في المجتمع العبيدي كان السادة يدافعون عن حياة نظامهم بالكرباج والعصا ... فالتأديب الجسماني هو الأسلوب الذي يؤمن به السادة كوسيلة لاخضاع العبيد ، وعدم اعطائهم أدنى فرصة للتمرد أو الاحساس بالآدمية ، وفي هذا يقول شاعرهم :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المهانة

وجاء الاقطاع ، فاتخذ الأمراء من « الفروسية » أسلوبا مثاليا للمحافظة على هيبة دولتهم ... وكانت الفروسية تعني كثيرا من التدريبات الشاقة المنظمة على ركوب الخيل ، والمصارعة ، والمبارزة بالسيف ، الخ ... ولم يكن من حق الفلاحين « الأقنان » أن يتمرنوا على هذه الفنون التي كانت وقفا على أبناء الفرسان ... أو أبناء البيوتات العريقة ، بيوتات الاقطاع نفسه !

وجاءت البورجوازية ، فاذا بالرأسمالية تتخذ من الحرب سبيلا لتأمين حياتها وتدعيم نظامها ، ولا عجب فهذه الحرب تحتاج الى جيوش جرارة ، تماما كما تحتاج الصناعة الى جيوش جرارة من العمال ... وتحتاج الى آلات للقتل والتخريب... تماما كما تحتاج الصناعة الى ماكينات للطباعة أو النسيج مثلا ... انه نفس الأسلوب الذي يتلاءم دائما مع طبيعة النظام وظروفه وامكانياته .

والصهيونية أيضا ... على الرغم من أنها لم تستكمل بعد عناصر من حاتاته ، وأعلى مرحلة من مراحل حياته ... على الرغم من هذا ،

من حلقاته ، وأعلى مرحلة من مراحل حياته ... على الرغم من هذا ، فالصهيونية باعتبارها أعجب مولود للتطور ، تتسلق أكتاف المرحلة الاستعمارية التي يمر بها المجتمع العالمي ... الصهيونية هذه لها وسائلها الخاصة أيضا في تهيئة الظروف المناسبة لنموها وازدهارها .

واذا كان السادة في عصر العبودية يواجهون خصومهم بأنفسهم ، واذا كان الأمراء في عصر الاقطاع يرهبون خصومهم بفروسيتهم ، واذا كان البورجوازيين في عصر الرأسمالية يحاربون خصومهم بالجند والمدافع والطائرات ، فالصيهونيون ، في عصر الاستعمارية يهربون من مواجهة خصومهم ، ويستخدمون في دفاعهم عن أهدافهم ، أسلحة تتسم بطابع الغدر ، والانتقام ، والتآمر ... ان أساليبهم لا تقوى على المواجهة ، سواء كانت مباشرة أو حتى غير مباشرة ، فللصهيونية سراديب بعيدة عن الانظار . تطبخ فيها مؤامراتهم ، وتدبر فيها دسائسهم ، ثم توزع أدوارها على عملاء الصهيونية ووكلاءها ، ليقوم كل منهم بنصيبه في تلك المؤامرات !

في هيكل سليمان

وقد تهافت اليهود على عضوية هذه المحافل السرية منذ أوائل القرن الثامن عشر ، ليقتنصوا ــ في ظلها ــ كثيرا من الأمان التي كانوا يفتقرون اليه ، فما أن جاء القرن التاسع عشر حتى كانوا قد دمغوا هذه المحافل ، بالطابع اليهودي ، سواء من حيث الشكل أو الموضوع فقد كانت الماسونية مثلا ــ عند سيطرة المسيحيين عليها حتى أوائل القرن الثامن عشر ــ كانت هذه الماسونية لا تعرف غير درجتين من درجات العضوية هي ــ الأخ ، والرفيق ، وهو اتجاه يتمشى مع منطق الاخاء والمساواة الذي تتخذه الماسونية شعارا . ولكن فجأة وفي عام ١٧٢٥ ابتدع اليهود في أحد محافل لندن درجة « الأستاذ » فلم تعترف بها المحافل الأخرى الا بعد نحو عشر سنوات .

وكانت درجة الأستاذ التي فتحت الباب لعشرات الدرجات العليا التي تهدم فكرة المساواة بين الاعضاء ، قد أخذت تتدرج من أستاذ

الى أستاذ أعظم الى درجة نبيل والى درجة فارس ... بل الى درجة امبراطور في النهاية ، أجل فقد عرفت الماسونية أيضا اعضاء يحملون من الألقاب الماسونية لقب أباطرة الشرق والغرب !!

ولعل مما يلفت النظر في سر تسمية أول درجات التمييز الماسوني بالأستاذ ، ان الأستاذ المعني هو حيرام آبيف الذي أرسله ملك صور الى الملك سليمان ليبني الهيكل ، وهي أسطورة طويلة يرويها كتاب « ترغوم » (١) ومن نقطة انطلاق هذه الاسطورة اقتبست الدرجات العليا للماسونية .

من ذلك أن الأستاذ حيرام المذكور ، كان يقوم بواجبه في الاشراف على بناء هذا الهيكل الذي دفن فيه بعد قتله ، وقد صادفه أثناء طوافه ثلاثة من الرفاق ، حاولوا اجباره على البوح بكلمة السر التي تجيز لرؤساء الورش المرور بمختلف أركان الهيكل ، حتى يمكن لأولئك الرفاق الثلاثة أن يقبضوا أجورا تضاهي أجور الرؤساء ، ولما رفض حيرام أن يبوح بالسر ظلوا يضربونه ويمنعونه من المرور من الأبواب الثلاثة للهيكل ، حتى اذا ما قتل جروه الى خارج الهيكل ، ولما انتصف الليل حملوه الى قمة تل حيث واروه التراب ، وقلق سليمان لغياب الاستاذ فأرسل ١٥ من رجاله يتحرون عنه ... ولما أضناهم البحث ، جلسوا ، يستريحون قرب شجرة صغيرة لاحظ أحدهم أنها مغروسة حديثا ، وأن الارض تحتها منبوشة ، فلما حفروا تحتها وجدوا جثة حيرام عارية ، فغطوها في صمت وميزوا مكانها بغصن من الطلح ... الى آخر الأسطورة التي اقتبست منها أيضا نفس الطقوس الماسونية التي تعمل للعضو عند ترقيته الى هذه الدرجة (٢) .

ومن ذلك الحين شدد اليهود قبضتهم على الماسونية بعد أن ضربوا حولها نطاقا من السرية التي كان الاعضاء المغفلون يتفاخرون

(١) ترجمة كلدانية للعهد القديم ظهرت في لندن سنة ١٧١٥
(٢) ملعب الماسونية بقلم د . فورستيه

بأن أحدا لا يستطيع أن ينزع منهم أسرار ماسونيتهم .

ولو فتشت أية درجة من الدرجات العليا لوجدت وراءها أسطورة من الأساطير الاسرائيلية ، فالدرجة السابعة مثلا هى درجة الفارس البروسى ... ان هذا الفارس البروسى كما يقولون هو أحد سلالة « فالك » المهندس الأكبر لبرج بابل ، ففى سنة ٥٥٣ وجدوا عمودا من الرخام الأبيض فوق مقبرة قديمة ، وقد كتب عليها باللغة العبرية « هنا يرقد المهندس الأكبر » « لبرج بابل ... » .

وما يقال عن درجات الماسونية ، يقال عن طقوسها ، ورموزها ، وشعاراتها ، لغاية « ديكوراتها » ... كلها مشتقة من الخرافات والأساطير التى نجدها فى كتب اليهود القديمة ، بل ونجد أكثرها فى كتبهم الجديدة أيضا .

وقد اتخذ اليهود من هذه المحافل أوكارا ، يتعرفون فيها الى الذين يروضونهم شيئا فشيئا لأن يكونوا وكلاءهم وصنائعهم لأعمالهم التجارية ، ثم لأهدافهم السياسية من بعد ، وقد قسموا الماسونية الى ثلاث طبقات ، تبدأ بالماسونية الرمزية وهى التى يجرى فيها الاختبار الدقيق للمبتدئين خلال سنوات طويلة ، حتى اذا ماتبينوا «اخلاصهم» سمح لهم بدخول الماسونية الملوكية تكاد تكون قاصرة على اليهود ، وأتباعهم الحائزين على الدرجة ٣٣ من الماسونيين القدماء .

وتأتى فوق هاتين الماسونيتين ... الماسونية الكونية وهذه خاصة بحكماء صهيون ، ولا يدخلها ولا يعرف عنها شيئا الا أولئك الحكماء الذين يتولون ادارة بقية المحافل الماسونية من وراء الستار .

ومن خريجى الماسونية الملوكية ــ أو ماسونية العقد الملوكى كما يسمونها ــ تشرشل ، وترومان ، وسمطس ، ولويد جورج ، وبلفور ، والشىء الذى يدعو للتأمل حقا أن هؤلاء الخمسة كانوا من أشد الساسة الكبار دفاعا عن الصهيونية ... حتى أنهم ذهبوا فى هذا المدى الى ما لا يصل اليه حتى اليهود ... بل أكثر اليهود تعصبا .

وقد فضح الأديب اللبنانى المعروف يوسف الحاج (١) هذه العلاقة الوثيقة التى تربط الماسونية بالصهيونية فى كتابه (فى سبيل الحق) فقال بعد أن فند التشابه الواضح بين الاثنتين فى الطقوس والرموز والأساطير المشتركة :

ان الماسونية هى جمعية يسيرها بالفعل فى العالم ابناء اسرائيل لاغراض يهودية بحتة

كما يقول ايضا فى عبارات واضحة صريحة :

ان الماسونية هى اكبر واسطة من الوسائط التى استخدمها ويستخدمها اليهود لانشاء وطنهم القومى واعادة مجد اسرائيل وتسليط اليهود على غيرهم من شعوب الارض كافة

ولم يكن هذا رأى الاديب اللبنانى وحده ، فقد سبقه اليه وتابعه فيه عدد كبير من كتاب أوروبا ، ومنهم أيضا من اشترك فى هذه المحافل الماسونية زمنا طويلا ، ووصل فيها الى ما وصل اليه هذا الماسونى القديم ... يوسف الحاج .

وقد كشفت مجلة (فرنسا القديمة) فى أوائل هذا القرن كثيرا من الأسرار التى تؤكد حقيقة المحافل الماسونية بوصفها سراديب ... للصهيونية العالمية .

ويقطع كثيرون ممن كتبوا فى هذا الموضوع أن المحفل الماسونى الامريكى ، والذى لا يضم سوى أعضاء من أغنى أغنياء اليهود ، هو صاحب اليد الطولى فى التآمر على اشعال الحرب العالمية الاولى

وهناك حقيقتان لا ينكرهما احد ، وكلاهما يلقى ظلا كبيرا من الشك حول هذه المحافل الماسونية ، الأولى أن هرتزل ــ فيلسوف الصهيونية ــ كان من أبرز أعضائها ، وقد صرح ضمنا بأن محاضر جلسات حكماء صهيون قد فقدت من قدس الاقداس ... فى المحفل الماسونى !!

---

(١) ماسونى قديم وحائز على الدرجة ٣٣

والحقيقة الثانية أن فى مقدمة احزاب اسرائيل فى الوقت الحاضر ، حزب سياسى لا مثيل له فى العالم بأسره ، ونعنى به ... الحزب الماسونى !!

سراديب الصهيونيـــة

على ان الصهيونية العالمية بالطبع لا تقنع بسرداب واحد تتسلل منه الى اغراضها ، وتضع فيه خططها ومؤامراتها ، فقد زحفت ايضا على كثير من الحركات والهيئات ذات الطابع الدولى خصوصا ، ويذهب المرحوم (علوبة باشا) فى كتابه ــ فلسطين وجاراتها ــ الى أن (اندية الروتارى) فى مقدمة اوكار الصهيونية (١)

وقد ثبت أيضا ــ كما قلنا من قبل ــ ان الصهيونية العالمية حاولت ستر نشاطها المريب وراء عناوين شيوعية واشتراكية فدست على بعض المنظمات كثيرا من اعوانها ، وزيفت بنفسها كثيرا من المنظمات التى تحمل هذه الاسماء الشريفة ، مما جعل بعض الكتاب السطحيين ، او المغرضين ، يخلط بين الشيوعية والصهيونية

ونحب ، دفاعا عن الحقيقة ــ فى هذه المناسبة ــ ان تقرر ان كل هذه المنظمات التى قامت فى مصر ــ حتى سنة ١٩٤٨ ــ والتى كان يديرها ويمولها الصهيونيون كوريل ، شوارتز ، وعفرا هرارى ، واجيون ، وماتالون ، وايلى ميزان وجاكيه دى كومب ... الخ ، لم تكن الا شبكات تجسس تعمل لخدمة الصهيونية العالمية ، وتستغل الشباب البرىء بواسطة وكلاء من المرتزقة والافاقين ، الذين لم يبق فى مصر من يجهلهم

وعلى كثرة ما كانت هذه العصابات المضللة تتظاهر به من خلافات نظرية ، فقد كانت تختلف فى كل شىء ... الا فى الأغراض الأصلية لها، وهى تخريب أى تجمع وطنى ، أو أية قيادة واعية ، والتشكيك فى كل

---

(١) صفحة ٦٥

عمل ، وكل هيئة ، والتجسس على كل عمل ، وكل هيئة

فالصهيونية التى تعرف أن الشيوعية هى أعدى أعدائها ... هذه الصهيونية كانت أخبث من كل خصوم الشيوعية فقد لجأت الى تحطيمها من الداخل ، وهو أخطر أسلوب ... وهو ايضا الأسلوب الذى يتفق مع الفلسفة الصهيونية ، وطبيعة تركيبها .

الانتقام الصهيـونى

والويل لمن يجاهر بالعداء للصهيونية ، بصرف النظر عن جنسية او دينه او رأيه السياسى

ان جهاز الارهاب الصهيونى ، بكل وسائله وامكانياته يتحرك ــ أوتوماتيكيا ــ للانتقام منه ... بل للقضاء عليه .

حاول (جورج مارشال) ان يقف فى وجه مشروع تقسيم فلسطين فنفثت ضده حملة عاتية فى الصحف ، وأخرى من وراء الستار ، وانتهى الأمر بطرده من منصبه

وحاول فورستال نفس المحاولة ، فبلغ عنف الحملة ضده حدا أثر على أعصابه ودفعه الى الانتحار

حاولت النيويورك تيمس ــ وهى مؤسسة يهودية ــ ان تخرج قليلا عن الخط الصهيونى فحرمت من الاعلانات ، وهبط توزيعها الى ١/٦ معدلها الطبيعى ، وتعرضت فعلا للافلاس ، فلم ينقذها الا عودة صاحبها الى الحظيرة

حاول مستر هندرسن ، المستشار الأول لشئون فلسطين بوزارة الخارجية الأمريكية ان يعترض على بعض المطالب الصهيونية فاقصى بعد أيام من منصبه ، وعين بدله الجنرال هاردنج ، بعد ان تعهد رسميا أمام المجلس اليهودى (الخيرى) بأنه سيؤيد التقسيم !

خطب الجنرال ايفلين باركر فى فلسطين فحمل الارهابيين اليهود مسئولية الاضطرابات ، فاستدعته لندن فى اليوم التالى لتنتدب بدلا منه آخر ، ترضى عنه الصهيونية

(الفريد ليليتال) ــ الاميركى اليهودى ــ كتب مقـالا ضد

الصهيونية فتلقى تهديدا صريحا بالقتل .

حاول الدكتور ماغنز مؤسس الجامعة العبرية ، ان يكون صهيونيا معتدلا ، فاذا بالعصابات الارهابية تضطره الى مغادرة القدس فورا .

امتنع « ساتون » اليهودى المصرى عن التعاون مع الصهيونيين عقب معركة فلسطين ، فاغتاله الارهابيون فى ايطاليا عام ١٩٥٠ .

واذا كان هذا هو ما تفعله الصهيونية بمن يحاول الخروج عليها حتى من الامريكان بل حتى من اليهود ففى وسعنا أن نتصور مايفعلونه بخصومهم الآخرين .

وهناك ظاهرة جديرة بالتسجيل ، هى أن عددا كبيرا ممن وقفوا ضد — ولو مرة واحدة — قد اعلن وفاتهم بعد بضعة شهور من اتخاذهم اتخاذهم مثل هذا الموقف !

وانا لا اقطع بأن الصهيونيين هم الذين توصلوا الى قتلهم بطريقة او بأخرى . بحيث يكون من الصعب اكتشاف هذه الجريمة ، او الشك فى طبيعة الوفاه ... انى لا أقطع بهذا ، لكننى لم اعد استبعد مثل هذه الفكرة ايضا ، اذ انى لا استطيع المرور ببساطة على هذه « المصادفات » المتعددة !

يلقى مستر أرنست بيفن بعض تصريحات ضد الهجرة اليهودية فى مجلس العموم البريطانى فيرد عليه زعيم صهيونى بتصريح يقول له فيه ، اذا كانت الهجرة ستكلف بيفن كثيرا ، فان موقفه من اليهود سيكلفه ثمنا اكبر ! لا يمضى العام ، حتى تنعى الصحف مستر بيفن !

يتخذ جورج مارشال موقفه المعروف من مشروع التقسيم ، فلا تلبث الصحف بعد بضعة شهور ان تعلن نبأ انتحاره بالقاء نفسه من النافذة !

يقوم الاستاذ محمد على علوبة بنشاط واسع ضد الصهيونية يتجلى فى رحلاته ومؤتمراته وفى مقالاته ، ولا يكاد يصدر فى سنة ١٩٥٤ كتابا ضد الصهيونية حتى تعلن الصحف أيضا وفاته بعد بضعة شهور !

بالطبع يمكن ان تكون هذه كلها مصادفات ، وتكون شكوكى عنها

مجرد اوهام ... ولا يوجد بالطبع دليل يستطيع المرء ان ينفى به هذه التهمة او يؤكدها ، لكن اسلوب التآمر الذى تدافع به الصهيونية عن كيانها هو الذى يوحى للانسان بمثل هذه الأوهام ... اذا كانت بالفعل مجرد اوهام .

ان اخطر مافى الصهيونية ، انها قوة غير منظورة ، تفكر سرا ، فنلمس نتائج تدبيراتها ، ولكننا لا ندرى — ابتداء — ماذا تنوى ان تفعل غدا ...



التلبس .. والاعتراف

وهكذا استطاعت الصهيونية العالمية اذن ان تحقق مالا تستطيع قوة أخرى فى العالم أن تحققه ، فقد تمكنت بكل بساطة من طرد مليون عربى من بلادهم ... بل من أراضيهم وبيوتهم ، ليسكن فيها بدلا منهم مليون آخر من اليهود الغرباء ، الذين لم يروا فلسطين من قبل ، بل لم يرها ايضا اباؤهم واجدادهم !

ولم يكن بين هذا المليون الذين هرعوا الى فلسطين ، بعد اعلان قيام سارئيل ... لم يكن بينهم مشرد واحد من اولئك الذين زعمت الصهيونية العالمية انها تطلب فتح أبواب فلسطين من أجلهم ، فنصف هذا العدد تقريبا من يهود البلاد العربية ، وقدبلغ عدد اليهودالعراقيين الذين ذهبوا الى اسرائيل ١٣٠ ألفا ، وبلغ عدد اليهود الذين رحلوا اليها من مصر ٥٠ ألفا ومن سوريا ستة آلاف ... ومن الجزائر ومراكش والاردن ولبنان واليمن ، عدد ضخم من اليهود الذين كانوا يعيشون — كمواطنين عرب — لهم كل مالسائر المواطنين من حقوق .

لم يكن اليهود فى أى من هذه الدول محرومين من حقوقهم السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية ، بل كانوا متساوين من حيث الشكل ، متميزين من حيث الواقع !

وهنا فى مصر مثلا ... الم يكن اليهود ممثلين فى كل برلمانات مصر حتى قبل وبعد اعلان الحرب على معسكر اسرائيل ؟ الم يكن منهم « اصلان قطاوى » عضو مجلس الشيوخ ، وريثه قطاوى عضو مجلس النواب ؟

الم تحرص حكومة ٢٣ يوليو على تعيين أحدهم — الاستاذ زكى عريبى المحامى — ليكون عضوا فى لجنة الدستور التى كانت قد الفتها فى عام ١٩٥٢ ؟

وفى سوريا ايضا ... الم يكن اليهود الذين هاجروا منها الى

اسرائيل هم أغنى أغنياء حلب ، وكبار تجار دمشق ؟

... لماذا هاجر اليهود العرب الى اسرائيل ، وتحت اى ضغط ؟ وفى أى ظرف من ظروف الاضطهاد او التعصب مثلا ؟

ومع ذلك فلنترك امر هؤلاء الجاحدين ، الخارجين على أوطانهم فى بلاد العرب ، ولنسأل عن النصف مليون الآخرين ... هل كان يهود رومانيا الذين هاجروا منها الى « اسرائيل » من المضطهدين المعذبين ايضا ؟!

وهل كان فى رومانيا وبولنده وتشيكوسلوفاكيا ، بل وفى امريكا وفرنسا وانجلترا وغيرها من الدول التى هاجر منها يهود الى فلسطين بين اعوام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ... هل كان فيها من التعصب والاضطهاد ايضا مادعا الى هذه الهجرة ؟

مليون من الغرباء ، كانوا يتمتعون بجنسيات متعددة ، ويعيشون فى أمان وفى رغد ، وحلوا بكل ما معهم من ذهب وأموال وممتلكات ليحتلوا بيوت وممتلكات وأراضى مليون آخرين من العرب !... اخرجوا من ديارهم بالمدافع والدبابات ، وقضى عليهم ان يعيشوا بلا مأوى ! ولا عمل ! ولا لقمة خبز ! ... الا أن تكون « صدقة » من وكالة الغوث !!

أن ممتلكاتهم أيضا وأراضيهم ومتاجرهم قد نهبت ، استولى عليها السكان الجدد بقوانين وتشريعات سنتها لهم سلطات الاحتلال الصهيونى !

١٤٠/٠٠٠ دونم من المبانى ، ٨٣٠٠ متجر ، ١٠٠٠ مصنع ، هذا هو بعض ما استولى عليه الجيش الصهيونى من المواطنين العرب ، اما أراضى الزراعة فتقدر مساحتها بالملايين ، ويكفى أن نعرف أن اليهود لم يملكوا حتى سنة ١٩٤٨ اكثر من مليون وربع دونم من مجموع مساحة هذه الأراضى المقدرة بـ ٢٥ مليون دونم ، لم يبق منها بأيدى العرب اكثر من بضعة الآف !

قتل ... وسرقة بالاكراه ... وطرد !

حدث كل هذا وفى العالم منظمة دولية اسمها هيئة الأمم المتحدة !

حدث كل هذا وفى العالم مجلس أمن ومحكمة عدل دولية !

حدث كل هذا فى القرن العشرين ... بعد عشرات الثورات التى أريقت فيها مئات الألوف من الدماء النبيلة دفاعا عن « الانسان » ، حريته وحقه فى الأمن والسلام ...

هل فى الدنيا كلها جريمة تعادل هذه الجريمة بشاعة وفظاعة ؟ ... وهل فى العالم بأسره أوضح وأبسط من هذه القضية ؟

ومع ذلك فقد استطاعت (الصهيونية العالمية) ان ترتكب هذه الجريمة ، وان تسخر لها هيئة الامم ... ومجلس الامن .. والصحافة والدول الكبرى ... وأية دول ؟ انها الدول الاستعمارية صاحبة الاطماع والمصالح فى هذه المنطقة من قلب افريقيا النابض .

وكل هذه الدول تخلت لاسرائيل عن مكانها ببساطة !

ومن التفكير السطحى ، أن نظل نردد تلك الشعارات الساذجة ، وهى أن الصهيونية ربيبة الاستعمار ، وأن اسرائيل هى عميلة انجلترا أو أمريكا ، فالعكس هو الصحيح ... الصهيونية هى الأصل والاستعمار هو الفرع ... اسرائيل هى الأم ، وامريكا وانجلترا وفرنسا ... مجرد اولاد !

وقد ثبت حتى الآن أن الصهيونية هى التى تسخر انجلترا وامريكا بالفعل لمصالحها ... والمسألة لا تحتاج الى تدليل فالدولتان تغضبان ٥٠ مليونا من العرب ، وضعف هذا العدد من المسلمين لترضى مليونا من رعايا تل ابيب ! وتقامر الدولتان بمصالحهما البترولية على الأقل ، فى سبيل المحافظة على صداقة اسرائيل ! وهى تمضى فى حماية اسرائيل الى حد عمل « سيكورتاه » على حياتها ، وما كان البيان الثلاثى سوى بوليصة تأمين ، ثم لا تجد هذا « السيكورتاه » ضمانا كافيا فتعززه بحلف بغداد ، كما يعترف بذلك صراحة جورج الن !

كل هذا فضلا عن ملايين الدولارات التى تمنحها لاسرائيل سنويا ... وكل هذا فضلا عن السلاح ، والخبرة ، والتأييد الأدبى فى

الصحف ، والإذاعة ، والتليفزيون ... ليل نهار !

وماذا قدمت اسرائيل ، أو ماذا يمكن أن تقدم لهذا المعسكر الاستعمارى ؟.. لا شىء الا أن ترث نفوذه ، اذا قدر لها أن تعيش !!

الصهيونية اذن قوة أكبر من امريكا ... ومن انجلترا ... ومن فرنسا !

الصهيونية اذن قوة فوق هذه القوات الثلاثة مجتمعة !

فعندما أرادت هذه الصهيونية أن تحتل فلسطين بصفة فعلية احتلتها ، ولما لم يكن لديها جيش بالفعل فى ذلك الحين ، فقد انتدبت انجلترا لادارتها بالنيابة عن الصهيونية ، كما يقول وايزمن فى مذكراته! ومع ذلك فقد كانت انجلترا تحكم فلسطين اذ ذاك بالاسم فقط ، اذ كان الجهاز الادارى كله من اليهود ... ابتداء من هربرت صموئيل ، الى أصغر « مسئول » ولما أرادت الصهيونية أن تتسلم فلسطين ، بعد أن تم لها تأليف الجيش الذى يستطيع المحافظة عليها ، طردت انجلترا نفسها ، واستعانت فى هذا بامريكا ... امريكا التى تقول عنها « النيويورك بوست » فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧ :

« من الرئيس ترومان الى سائر المرؤوسين ، ضغط الامريكيون على شتى الاوساط لنجاح قرار التقسيم ، وقد صدرت التعليمات الى آوستن ، لتنظيم حملة واسعة بمعاونة هرشل جونسون ، وجنرال هاردنج ... وشيئا فشيئا نال الامريكيون ما تمنوه !.. »

* * *

ارتكبت الصهيونية العالمية أكبر جريمة فى تاريخ الجنس البشرى كله ، فاستولت على فلسطين لتجعلها قاعدة حربية ، واغتصبت كل ما فيها من ممتلكات ومبان لتجعلها ثكنات لجنودها ، وطردت مليونا من سكانها لتخلى مكانهم لمليون من اليهود المجندين فى الجيش الصهيونى !

وقد رأينا كيف يعيش المجرمون الناهبون ، فكيف يعيش المجنى عليهم ؟.. المليون عربى المشردون من أبناء الشعب الفلسطينى ؟

ان نحو سبعين ألفا منهم تمكنوا بطريقة أو بأخرى من الاندماج فى شعوب أخرى أكثرها عربية بطبيعة الحال ، أما الباقون فأصبحوا اليوم — لاجئين — يعيشون فى الخيام !

ومنهم ٤٨٥/٠٠٠ يعيشون الآن فى الأردن
و ٢٢٥/٠٠٠ يعيشون الآن فى غزة
و ١١٠/٠٠٠ يعيشون الآن فى لبنان
او ٨٥/٠٠٠ يعيشون الآن فى سوريا

وقد باع الاثرياء منهم كل ما يملكون من مجوهرات زوجاتهم ومصوغاتهن ، ثم أصبحوا متساوين بالسواد الأعظم ، أولئك الذين يصفهم الدكتور المر بيرغر — الحاخام اليهودى الامريكى — فى كتابه « اسرائيل باطل يجب أن يزول » (١) فيقول :

« ... انهم يعيشون على هامش الحياة — بلا بيوت وبلا أرزاق وبلا عمل ! — مخلوقات تبلغ لقمتها من الفتات ، وتعيش على التسول والاستجداء ... انهم يتجمعون فى أمكنة ضيقة تغص بهم حتى لكأنها تلفظهم .. انهم كثيرون يعيشون فى أمكنة صغيرة تنقصهم فيها الضروريات ، وتعوزهم الوسائل الصحية ، وينظرون بعيون زائغة فلا يرون الا الظلمات والبؤس والشقاء » .

« ان بعضهم يشعر بالحفيظة ، وبعضهم يمقت نفسه ويمقت الناس ، وجميعهم يكرهون اسرائيل ، ولا يخلو الأمر من أشخاص يرتابون فى نوايا الحكومات العربية ! ونوايا انجلترا وامريكا ، وهم لا يلامون على ما يختلج صدورهم من شتى الأحاسيس » .

لقد زار الحاخام اليهودى مخيمات اللاجئين بنفسه عام ١٩٥٥ ، خلال رحلته الى البلاد العربية ، مبعوثا من الجمعية الأمريكية لليهود لجس النبض بشأن الصلح مع اسرائيل ، وعندما يشرع الحاخام الامريكى فى وصف حالة اللاجئين العرب فى مخيماتهم ، لا يسعه الا أن

---

(١) ترجمة اميل خليل بيدس

يستهل حديثه بالكلمات التالية :

« انى أشعر بالخزى والعار ... أشعر بالخجل لأنى يهودى ، وأجاهر بهذا القول ، وأنا مالك رشدى ... أفكر بالذى رأيت فتخثر نفسى ويصيبها لغوب ممض » .

« وهل فى رأسى من الكلم ما استطيع به أن أصف هول الكارثة التى أردت بمئات الألوف ، وختمت على مستقبلهم بالمسكنة ؟ هل هنالك عبارات تفى بالغاية ؟ انى والحق يقال أعجز من أن أبين الحقيقة على علاتها ، انها لمأساة مروعة ... ولا أجد المقدرة والكفاءة الا على سرد بعض الوقائع بايجاز واقتضاب ، وبغصة ألم تحز فى قلبى وتنكأ جراحات كبدى » .

ويبدأ الدكتور المر بوصف اللاجئين فى قرية بيت صفافا على بعد عشرة كيلو مترات من بيت لحم ، فيقول :

« ان حوالى ألفين من أهالى القرية يعيشون الآن فى المنطقة الاسرائيلية بينما يعيش الألف الآخرون فى الاردن ، وقد فصل بين الفئتين الخط الحديدى الذى منح لاسرائيل أثناء عقد الهدنة ، وكان الخط فى يد الجيش العربى ولكنه تنازل عنه حتى لا تبطل فائدته ، وانسحب مسافة بعيدة الى الوراء ... وجسنا خلال الدور فواجهنا فى كثير من الاماكن الاسلاك الشائكة تفصل بين الشقتين ، وما أكثر ما شاهدنا أفراد العائلة الواحدة يتبادلون النظرات من كلا الجانبين فى حسرة وألم ؛ لقد منعتهم الكارثة من اجتياز الخطة ومن تبادل الكلام ، أو تبادل الطعام فماذا بقى لهم بعد سبع سنين ؟ وماذا يعملون ؟ لقد فقدوا كل شىء ولم يبق لهم من عمل سوى الوقوف وجها لوجه ، تحول بينهم الاسلاك الشائكة ، ويطيلون التحديق بنظرات ساهمة ، قلقة » .

أما الأرض الحرام فقد كفت الأيدى عنها ، ولم يعد أحد يجرؤ على زراعتها ، وهكذا أصبح أولئك العرب الذين اختاروا البقاء فى اسرائيل عاجزين عن استغلال أراضيهم ، كما أن اللاجئين منهم فى الجانب الأردنى لا يستطيعون الاستفادة من أملاكهم ... وهؤلاء

وأولئك يشخصون الى اليهودى وهو يستغل الارض ، وقلوبهم مفعمة بالألم والكراهية » .

« وفى نهاية الطريق .. يقوم مستشفى كبير من مخلفات الجيش البريطانى ، وفيه الآن قرابة المئتى سرير كان يشغلها مئتا مريض بالسل ، ولكنى سمعت أن وكالة الغوث اضطرت الى اخلاء المستشفى من مرضاه لأن اليهود ابوا أن يرجعوا ايضا بضع خطوات الى الوراء حتى يتيحوا للأهلين الاردنيين الوصول الى المستشفى !! » .

ثم ينتقل الدكتور المر ، الى وصف حالة اللاجئين فى « مخيم الدهيشة » بالأردن ، حيث يعيش خمسة آلاف لاجىء على سفح صخرى ، فى أكواخ وخيام ومآو حجرية ، فيقول :

« وصادفت زيارتنا للمخيم أول أيام عيد الفطر ، ومع أن المسلمين يحتفلون فى مشارق الأرض ومغاربها بهذا العيد ، ويعدون له مختلف أنواع الأطعمة والحلوى ، الا أن اللاجىء المسكين لا يجد شيئا من هذا فى مخيمه أو كوخه ! » .

أُحاديث الصلّح!!



وماساة اللاجئين بالطبع لا تنتظر شهادة من هذا الحاخام اليهودى، ولكنا قدمنا كلماته هنا كدليل على أن اليهود الذين يسعون لاسرائيل فى الصلح ، لا يسعهم الا أن يعترفوا بهذه الحقائق ، التى لا يملكون انكارها ... لعل فى هذا ما يعاونهم على القيام بالدور الذى يكلفون به ، وهو دور ... حمامة السلام .

لكن هيهات أن تنطلى علينا الحيلة ، فلم نعد من الغفلة بحيث تأثر ببلاغة القاتل ، وهو يؤبن القتيل ، ... وهذا الحاخام الذى تبرع للاجئين العرب بدموعه : هو الذى ترسل « جمعيته الامريكية اليهودية » النداء الواحد فتنهال عليها ملايين الدولارات ليهود اسرائيل وقد واجهه اللاجئون العرب بهذه الحقيقة فلم يحر جوابا !

ان « المر بيرغر » ينفى بغضب ما نسبته اليه اذاعة اسرائيل من الاشادة بحكومتها وحكامها ، ويزعم أنها دسيسة ، ويؤكد فى كل سطر من كتابه انه ضد الصهيونية ، وأن من رأيه أن يهتم اليهودى بشئون وطنه الذى يعيش فيه ، ولكن أعماله تفضحه ، فقد زار فى رحلته هذه جميع يهود الشرق الأوسط .. من الجزائر ومراكش ، الى العراق واسرائيل ، ليس لاغراض دينية او لالقاء مواعظ اسرائيلية ، بل ليتحدث الى المسئولين فى مسألة سياسية لحما ودما ، هى الصلح مع اسرائيل !!

وقد تحدث بشأن هذا الصلح الذى يسيطر على تفكيره مع كل من قابلهم من رجال العرب ... كما تحدث بشأنه أيضا مع بعض رجال تل أبيب !

ويروى الدكتور « المر » فصلا شائقا عن المقابلة التى تمت بينه وبين وزير داخليتنا ــ البكباشى زكريا محيى الدين ــ فى شهر ابريل

من العام الماضى فيقول :

« وقد تكلمنا عن الطقس والجو ، والحرارة ، والرطوبة ، ثم انتقلنا الى ما جئت من أجله فتحدثنا عن اسرائيل ، وعن الصهيونية واستهللت هذا الجانب من الحديث بسؤاله عن آماله الحاضرة أو المستقبلة بصدد الصلح مع اسرائيل ، والجدير بالذكر من الناحية النفسية انه تريث قبل أن يجيب ، ثم قص على ماجرى فى الفالوجة وعقب بعد أن انتهى بقوله :

انها كأس مرة تجرعتها مع اخوانى ، وسيبقى مذاقها فى فمى الى ما شاء الله وسيبقى ذكراها عالقا فى مخيلتى ... »

وكان الحاخام الامريكى لم يفهم جواب وزير داخليتنا من هذه الاشارة اللبقة ... أو لعله تغابى ، وما فتىء يلح ، ويلف ويدور ، حتى قال له البكباشى زكريا محيى الدين :

« فى كل حين ظهرت ثلاث عناصر فى أى قرار اتخذ بصدد المسألة الفلسطينية .. اثنان منهما متحدان بالثالث ، فقد برزت دائما مسألة الهجرة ، فكم عدد اليهود الذين تقوى الأرض الموجودة على استيعابهم دون تشريد العرب ؟ وكان هناك دوما مسألة بيع الاراضى فبأية وسيلة يمكن التحكم فى البيع حتى لا يفقد العرب ما يملكون من أرض ، فيفقدوا مواردهم ، وأسباب رزقهم ... فهاتان المسألتان كانتا فى كل آن ملتصقتين بالمسألة الاهم ، الا وهى مسألة الفريق الذى نفاوضه ونباحثه ... فهل يكون ذلك مع يهود فلسطين ؟ أم هل نفاوض حكومة الانتداب السابقة ؟ أم الصهيونية العالمية ؟ » .

« لقد تبين فى الماضى ان اى اتفاق بصدد المسألتين الفرعيتين مع يهود فلسطين أو حكومة الانتداب كان دائما عرضة للتعديل والتغيير بسبب نفوذ الصهيونية العالمية ، وقوتها فى العواصم الأجنبية ... وقيل لنا أحيانا ان الوكالة اليهودية تمثل يهود فلسطين ، ثم قيل لنا أنها تمثل اليهودية العالمية ، ولم يكن لنا أى تأثير على يهود فلسطين ،

ولم نحقد عليهم ، ولم نضمر لهم العداء ، ولكنا لم نستطع أن نرى فلسطين يملكها يهود العالم كلهم ونرى عرب فلسطين يطردون من ديارهم ليهيموا على وجوههم ، وليتضرروا من الجوع ، ثم ليموتوا من المرض » .

« واننا نعلم اليوم أن مسألتى الأرض والهجرة قد أمستا مسألة الحدود ومليون لاجئ عربى ، وهذا ما نريد أن نبحث فيه ... الحدود والمليون لاجىء ولكنا لن نفاوض حكومة اسرائيل أو أية دولة من دول الغرب قبل أن نعطى الضمانات الكافية بأن المفاوضات والنتائج لن تخضع لأى ضغط من الصهيونية العالمية »

واشهد أن « زكريا محيى الدين » فى هذا الحديث قد بلغ قمة الذكاء والوعى واللباقة الدبلوماسية العالية ... انه يفرق بين يهود فلسطين وبين ما يسمونه حكومة اسرائيل ، ويعتبر المفاوضات مع هذه الحكومة أو مع أية حكومة من حكومات الغرب غير ذات جدوى ، ما دامت الصهيونية العالمية هى فوق هؤلاء جميعا ، لن تحترم ماتسفر عنه هذه المفاوضات من نتائج .

وهو بعد ذلك كله لم يقل ان مصر لا تنشد السلام ... مع يهود فلسطين ، الذين لم يكن بيننا وبينهم ثأر أصلا



لا مهادنة اذن مع الصهيونية ، لأنه لا مهادنة مع الاستعمار فى أعلى مراحله ، وأعنف أطواره .

ولا صلح اذن مع اسرائيل ، ما دامت اسرائيل هذه ليست الا القاعدة الحربية لجيش الصهيونية .

وقد كان من الممكن أن نفكر فى الصلح ، يوم كانت مصر ضعيفة ... بلا جيش ، وبلا أسلحة ، وبلا أصدقاء ، وربما كان التفكير فى الصلح اذ ذاك شيئا منطقيا بحكم الواقع ، وتحت ضغط الظروف ، أما اليوم فأى حديث عن الصلح خيانة ، وكل سكوت على حق المليون لاجىء عربى جريمة ، واننا لماضون ـ حكومة وشعبا ـ مصريين وسوريين وأردنيين وسعوديين ولبنانيين فى سبيل تحقيق

هذه الغاية ، ونعنى بها تمكين اخواننا — ابناء فلسطين — من العودة الى بلادهم ، واسترجاع ممتلكاتهم ، وكل ما كان لهم فيها من حقوق ...

وانا اذ نمضى فى سبيل هذه الغاية لا نخدم عرب فلسطين وحدهم، بل نحصن أنفسنا وأوطاننا جميعا من الغول الصهيونى الذى يفتح فاه وهو يقف فى معسكره باسرائيل ، يتلفت حول جيرانه ، ذات اليمين وذات اليسار ...

واننا اذ نفعل ، لا نخلص أيضا اخواننا الفلسطينيين وحدهم ، .. ولا نخلص أنفسنا وحسب ، بل نساهم باكبر نصيب فى تحطيم الخطر الصهيونى الذى يتهدد مستقبل الجنس البشرى كله ، والذى يتخذ من فلسطين نقطة الارتكاز التى يثب منها الى بقية أهدافه ، وانها لتشمل السيطرة على بقية العالم كله .

ولا يتسع المجال هنا لتحديد المسئولين عن الكارثة من الساسة ورؤساء الحكومات ، ولنقل باختصار اننا قد أخطأنا فى الماضى ... واننا اخذنا على غرة ، فلا ينبغى ان ننظر الى الوراء الا بقدر مانستوحى منه العظة والعبرة ، هذه العبرة التى تفتح عيوننا ، وتشدد من عزيمتنا .

لقد أنشىء جيش فلسطين منذ بضعة شهور ، وكان هذا ايذانا بقرب الساعة التى يتم فيها تحرير هذه القطعة العزيزة من الوطن العربى ، وينصب فيها للعدل ميزان دقيق ..

والى أن تجىء لحظة تصفية الحساب ، لا ينبغى أن تغمض لنا عين ، فلنرقب المؤامرات الصهيونية فى حذر ويقظة ... ولنظل نضرب الحصار الاقتصادى حول ذلك المعسكر الصهيونى ، فقد كان هذا الحصار — حتى الآن — هو أنجح ما لجأت اليه حكومات العرب من تدابير .

ان هذا الحصار على الاقل يحرمها من الحصول على كثير مما تحتاج اليه من مواد خام فى بلادنا ، ويضطرها الى الاتجاه لاستيراد ما تحتاج اليه من أماكن بعيدة وبأسعار مرتفعة كما يحرمها من تصريف

منتجاتها فى بلادنا .

والى أن تجىء لحظة تصفية الحساب أيضا ، علينا أن نتذكر قوتنا وامكانياتنا ، وانها لقوة رهيبة تتمثل أول ما تتمثل فى ملكيتنا — نحن العرب — لأكثر من نصف بترول العالم ... بل أن بلدا عربيا واحدا — المملكة العربية السعودية — تنتج من البترول ما يعادل ربع انتاج العالم كله .

وليس البترول هو كل ما نستطيع أن نستخدمه فى الضغط لاعادة الحق الى نصابه ، فنحن أيضا أمة ضخمة من العرب يبلغ تعدادنا ٧٠ مليونا ، ويرتبط وجدانيا ، نحو مائة مليون أو اكثر من مسلمى العالم ، ومن غير المعقول .. ويجافى المنطق أن تعجز مثل هذه القوة متى اتحدت ، عن اخلاء هذا المعسكر الذى يقيم فيه الصهيونيون الغزاة فى فلسطين ... ويشطر الوطن العربى الى قسمين .

لا صلح مع اسرائيل اذن ، ولا مهادنة للصهيونية ، وقد ارتبط الرئيس جمال عبد الناصر بوعود قاطعة عبر بها عن رأى مصر ... بل رأى العرب جميعا فى هذا الموضوع ، اذ قال فى ٢٢ يوليه من العام الماضى — ١٩٥٥ — :

« ان مجرد ذكر اسم فلسطين وحده يعيد الى ذهن كل عربى ، بل الى ذهن كل انسان أكبر جريمة دولية ارتكبت فى تاريخ الانسانية جمعاء » .

ويقول فى يوم ٣ اكتوبر من نفس العام :

« ان مصر لن تضن بدماء أبنائها فى سبيل تخليص أرض العروبة من المعتدين ، ولسوف نعطيهم درسا لا ينسونه » .

كلا بل هو يقول أيضا فى عبارة أوضح وأصرح :

« لا جدوى فى الحديث عن صلح مع اسرائيل ، وليس هناك أى مجال للمساومة — مهما تكن ضئيلة — بين العرب واسرائيل »



الصهيونية.. والنازية

كان هتلر يتحدث الى هيرمان فلمنج عن اليهـود ، فقال « انهم أحط الشعوب جميعا » !

وقبل أن يسترسل هتلر فى حديثه ضد اليهود ، قال له هيرمان :

— ولكن الله يصفهم فى — الكتاب المقدس — بأنهم شعبه المختار !

وهنا أجابه هتلر ببساطة :

— لا تصدق ! فان الله لا يمكن أن « يختار » شعبين !!

ذلك أن هتلر كان يؤمن بذات النظرية العنصرية التى يبشر بهـا الصهيونيون ... نظرية الجنس الأرقى ، والخـلاف الوحيـد بين الاثنتين يتركز أساسا فيمن هو هذا الجنس الأرقى ... هل هم الألمان الآريين ؟ أم هم اليهود ... نسل اسرائيل !

وتتعـدد وجوه الشبه بين الصهيونية والنـازية أو الصهيـونية والفاشية بتعبير أعم ، فكلتاهما تعتمد على فلسفة واحدة ، وترتكز على دعائم بالذات .. أن كلتاهما تبدأ بمبدأ السيادة على العالمين ، كرسالة للجنس الأرقى ، ينبغى أن يضطلع بها ... استجابة لنداء الطبيعة ، أو استجابة لنداء العناية الالهية !

وهكذا تلتقى الدعوتان ، على شـدة ما بين أصحابهـا من تناقض وحرب ... وهذا التشابه الكبير يثير ولا شك سؤالا هاما فى بحثنـا هذا ، وهو ... لماذا نختص الصهيونية اذن بالتعريف الذى قدمناه ، وآكدنا فيه أن هذه الصهيونية هى أعلى مراحل الاستعمار ؟

ولماذا لم نقل أيضا أن النازية مثلا ، هى أعلى مراحل الاستعمار !!

والرد على هذا السؤال ، يتطلب مناقشة الأساس المـادى الذى عكس هذه « الأيدولوجية » أو تلك ... كما يتطلب مناقشة الظروف والامكانيات التى تجعل احـدى الدعوتين تمثل خطرا حقيقيـا ، بل تمثل مرحلة فعلية من مراحل تطور النظام الاستغلالى !

ويمكن أن نلخص الفـرق بين الجذور المـادية لكل من النـازية والصهيونية ، فى السطور التالية ...

بينما كانت النـازية هى التعبير الأيدولوجى لرغبة الرأسـمالية الألمانية المتفوقة فنيا ، المتقدمة صناعيا بالنسبة لغيرها من الرأسماليات الأوربية ، فرنسية كانت أو انجليزية ، وكانت بالتالى تهدف الى تحقيق « التفوق » الاستعمارى الذى يعادل تفوقها الصناعى أو الانتاجى ، فالسيادة التى كانت تتطلبها النـازية من نوع « الزعامة » الامريكية الحاضرة على الدول الاستعمارية الأخرى ، والتى استطاعت الرأسمالية الاستعمارية فى امريكا أن تفرضها نسبيا بعد الحرب العالمية الأخيرة..

فالنـازية بدعوتها « العنصرية » ــ على خطورتها ــ لم تخرج عن حدود الاطار الرأسمالى الاستعمارى ، وهى من هذه النـاحية أهون خطرا ، لكن الأهم من هذا كله أن النـازية كانت تعتمد على التضليل وحده فى سبيل خلق القاعدة الجماهيرية التى تستند اليها كحركة أو كدعوة ، فقاعدة النازية هى الجماهير العمالية الالمانية المضللة ، وهذا التضليل هو ما يجعل هذه القاعـدة غير ثابتة وغير مضمونة بالنسبة للنازية ، لأن التناقض الطبقى بين القيادة النازية التى تمثل الرأسمالية الألمـانية ، وبين القاعـدة النازية التى تمثل العمال الألمان ... هذا التناقض يجعل القاعدة النازية تهتز تحت قيادتها ، ولا تلبث أن تتحول الى مقاومة لها ، وهو ما حدث الى حد ما ، أو هو على الأقل ما كان متوقعـا ــ بصورة حتمية ــ لو امتد الأجل بتلك الحركة النـازية فى المانيا .

أما الصهيونية ، فتتجلى خطورة دعوتها ، فى أن الأسس المادية لها تختلف كل الاختلاف عن الأسس المادية النازية ... فالقيادة الصهيونية لا تتجمع فى مكان بالذات ، وهى لاتبحث عن السيطرة ، بل هى تزاول هذه السيطرة فعلا ، فى كل المجتمعات الطبقية تقريبا ، والخطوة المطلوبة هى مجرد « تنظيم » هذه السيطرة ، وصياغتها فى القالب الذى يصل بها الى حد ((الانفراد)) بثروات العالم الانتاجية كلها !

وقاعدة الصهيونية لا تمثل جماهير كادحة بالمعنى المفهوم . حتى

يخشى على الحركة الصهيونية من المتناقضات الطبقية الطبيعيـة بين القاعدة والقيادة ... بين الرأسمالية والعمال !

كلا ، فنسبة العمال بين اليهود لا تكاد تتجاوز عشرة فى المائة من مجموع يهود العالم ، ذلك أن الغالبية العظمى تشتغل بالتجارة ، والوساطة ، والسمسرة ، وبعض الحرف الحرة ، وهذا الوضع الطبقى يربط كثيرا بين قيادة الصهيونية وقاعدتها ، هذه القاعدة التى تختلف اختلافا جوهريا ــ من حيث تركيبهـا الطبقى ــ عن أية قاعـدة جماهيرية أخرى !

حتى فى داخل اسرائيل نفسها ، يعيش نحو ٣٥٠ ألفا على العمل فى مستعمرات الزراعة التعاونية ، ومهما قيل فى نظم هذه المستعمرات فان العاملين بها لا يشتغلون لحساب طبقة أخرى نظير أجور يتقاضونها مقابل ساعات عمل يقدمونها ... وبالتالى فهم لا يشعرون بالاستغلال المباشر الذى يعطيهم الوجدان الطبقى ، والى جانب هؤلاء يعمل نحو ١٠٠ ألف فى الجيش والبوليس والسجون ، ويعمل ١٥٠ ألف آخرين فى التجارة والاعمال الحرة ، كالاطباء ، والمحامين ، والمهندسين الخ ولا يوجد من العمال فى اسرائيل كلها ، اكثر من ١٤٠ ألفا يشتغلون فى مختلف الصناعات بما فى ذلك الصنـاعات الزراعية ، وهـذا الرقم لا يتجاوز ١٠ ٪ من مجموع سكان المعسكر !

لا توجد اذن طبقة عاملة كادحة بالمعنى المفهوم بين اليهود ، سواء فى اسرائيل ، أو فى انجلترا ، أو فى أمريكا ... لأن هذه النسبة التى لا تتجاوز ١٠ ٪ تعكس الوضع الطبقى بين اليهود عموما فتجعل من العمال أقلية !

وهذا هو ما يفسر لنا سر العـزوف عن الهجرة الى اسرائيـل رغم الحماسة الشديدة للصهيونية ، فمن يهود أمريكا البالغ عددهم اكثر من ستة ملايين ونصف مليـون لم يهاجـر الى اسرائيـل اكثر من ٤٠ ألفا بينما هاجر من يهود البلاد العربية الذين لا يتجاوزون فى مجموعهم نصفه مليون اكثر من ٣٣٠ الفا... أى ما يقرب من النصف! ذلك أن الايمان بالصهيونية يزداد بين اليهود ــ غير الكادحين ــ

بينما الرغبة فى الهجرة الى اسرائيل تزداد بين اليهود الكادحين ، أولئك الذين يضيقون بحالتهم فى الغالب ، فيلتمسون الامل فى حياة أحسن عن طريق هذه الهجرة التى تزينها لهم الصهيونية ، فيقعون فريسة لها ، اذ سرعان ما يكتشفون ـ بعد وصولهم الى معسكر اسرائيل ـ انهم قد أصبحوا مجندين فى الجيش الصهيونى !

هذه حقائق لا تقبل الجدل ... يهود أمريكا الذين هم أكثر يهود العالم حماسة للصهيونية لا يهاجرون الى اسرائيل ، لسبب بسيط هو انهم يرتبطون فى أمريكا بمصالح طبقية ، وأرباح ... ولسبب آخر هو أنهم لا يستبدلون بحياتهم الناعمة فى أمريكا ، حياة الجندية الخشنة التى يدفعون اليها سواهم !

وخلاصة كل هذا ، أن هبوط نسبة الطبقة الكادحة بين اليهود الى ما يقرب من الـ ١٠ ٪ ، يجعل الصهيونية ترتكز على اساس مادى أصيل ، وهذا أيضا ما يفسر لنا وجود ستة ملايين من الأعضاء رسميا فى الحركة الصهيونية !

وهكذا تشكل « الصهيونية » كل المقومات المادية التى تجعل من فلسفتها شيئا خطيرا ، يختلف عن النازية اختلافا اساسيا ... فالصهيونية هى رؤوس الاموال « المدولة » ! بينما النازية هى رؤوس الاموال الالمانية ! والصهيونية هى « الجنس » اليهودى المتغلغل فعلا فى جميع شعوب العالم ! بينما النازية هى (الجنس) الآرى الموجود داخل ألمانيا دون سواها ! والصهيونية هى الدعوة التى تعبر بالفعل عن الوضع الطبقى للاغلبية الكبرى لـ ١٣ او ١٤ مليونا على الأقل من يهود العالم ! بينما النازية تعبر عن الوضع الطبقى لحفنة من كبار الرأسماليين الألمان لا يتجاوزون فى مجموعهم بضع مئات ! والصهيونية هى همزة الوصل التى تجمع بين أعلى طبقة من الاحتكاريين الاستعماريين فى كل مكان وتجعل منهم وحدة واحدة بينما النازية هى التى تثير بطبيعتها (الوطنية) ، كل المتناقضات فى المعسكر الاستعمارى ، اذ تستفزه للوقوف ضدها ! والصهيونية أخيرا هى

قمة الرأسمالية الاستعمارية العالمية ، بينما النازية هى قمة الرأسمالية الاستعمارية الالمانية وحدها !

وهذا الفارق الضخم بين الأسس المادية لكل من النازية والصهيونية هو ما يجعلنا ننظر الى الأخيرة ، بوصفها نقطة التحول الاخير فى النظام الاستغلالى ... وهو ما يجعلنا نؤكد أن :

الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار !

مسئولية اليهودى!

كلما كنت أخط سطرا فى هذا الكتاب ، كنت أسائل نفسى ، هل يتحمل كل يهودى مسئولية هذه الصهيونية بكل جرائمها ؟

واذكر أن عدد اعضاء الحركة الصهيونية يبلغ نحو نصف تعداد اليهود فى العالم كله ... واذكر هذا النشاط العنصرى الذى اشترك فيه حتى يهود الدول المتحررة كبولندا ورومانيا ... والذى ظهرت بعض آثاره فى المؤامرات التى كشف أمرها فى تشيكوسلوفاكيا والمجر !.. وظهر بعضها وراء اضطرابات برلين وبوزنان !!

... واذكر أن نصف سكان اسرائيل هرعوا اليها من البلاد العربية بلا داع ولا سبب الا داعى « القومية اليهودية » التى يشعرون بها ! واذكر ما بذله ويبذله يهود امريكا وانجلترا وفرنسا من جهود لتدعيم الصهيونية ! واذكر ما يقوم به يهود الارجنتين وبلجيكا ... بل ويهود الجزائر ومراكش لتدعيم معسكر اسرائيل !

اذكر كل ذلك ، فأهم بشطب كلمة الصهيونية من هذا الكتاب والاكتفاء بكلمة اليهودية حتى لا تقع فريسة للتضليل نتيجة هذا التفاؤل وحسن النية ...

ثم أذكر أيضا ما قاله « اينشتين » عندما قرر أمام لجنة التحقيق الامريكية البريطانية عام ١٩٤٦ :

((من الخطا التفكير فى انشاء هذه الدولة اليهودية التى كنت وما زلت ضدها)) !

واذكر مع موقف اينشتين ــ اليهودى المتحرر ــ أمثلة أخرى لمواقف يهود متحررين ، وقفوا ضد الصهيونية صراحة ، ومع قلة هذه الامثلة فانى أراها ــ من حيث الشكل على الاقل ! ــ دليلا قاطعا على اننا ينبغى أن نفرق بين اليهودية والصهيونية .

واحتكم الى الدين اليهودى أيضا فاذا بالكفة الأولى ترجح من جديد ... اذ أرى طبيعـة التمييز العنصرى متأصلة فى أخبار بنى اسرائيل كما ترويها التوراه ، فمع أن مصدر الدين عندهم هو ابراهيم، فقد خص « الرب » أحفاده من يعقوب بالبركة وميراث الأرض ! ثم عاد «الرب» أيضا فخص من أبناء يعقوب أو اسرائيل ــ فرع يهوذا ــ دون سواه ــ بهذه البركة وذلك الميراث !

ثم تعود التوراه أيضا فتمنح زعامة اليهود جميعا لأولئك اللاويين ــ عشيرة موسى ــ فتعهد اليهم بالدور الرئيسى فى قيـادة الشعب المختار !!

ولا يزال هذا التمييز الدينى يلعب دوره فى تكوينهم النفسى حتى اذا ما اجتمعوا فى أرض الميعاد ، نظر الأوربيون الى الشرقيين عموما نظرة ازدراء ، وعاملوهم كجنس أقل ... حتى اضطروا العراقيين منهم الى تأليف مظاهرة احتجاج ! ثم لا يلبث يهود العراق هؤلاء ان يترفعوا عن الاختـلاط بيهود اليمن ويرفضوا السكنى معهم بحجـة انهم ... قذرين ، وأغبياء !!

وهذا التكوين النفسى هو الذى يجعل اليهود يعتبرون أنفسهم ــ بصفة عامـة ــ أرقى من سـائر مخلوقات الله ! وان الرب ــ رب التوراه ــ ليتعصب لهذا الشعب الى حد انه ــ سبحانه وتعالى ــ يظل يعمل تذبيحا وتقتيلا لابادة ٣٣ شعبا بملوكهم ــ لأنهم لم يستسلموا للغزو الاسرائيلى بقيادة يشوع بن نون !

ويذهب الرب فى معاونتهم على زحفهم المتواصـل الى حـد انه يرسم لهم الخطط ! ويملى للقائد التفصيلات الدقيقة عن الطريقة التى يحاصر بها بعض المدن ! كلا ، بل هو يذهب فى تدليلهم أيضا الى حد العمل على « وقوف الشمس والقمر عن سيرهما ، وامطار الرب على الأعداء حجارة برد عظيمة فوق جبعون ووادى أيلون ساحة القتال » يشوع ص ١١ ــ ١٤ .

ويقول الرب لشعبه المختار :

« الشمس والقمر وقفا فى بروجهما لنـور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك » !!

أذكر كل ذلك ، فأحس بالحرج الشديد ازاء مسئوليتى العلمية اذا أنا برأت اليهودية تماما من معانى الصهيونية وفلسفتها !

وبينما أنا أقف فى مفترق الطرق ، يتجاذبنى رأيان ... وبينما أتلظى فى أتون هذه الحيرة التى تتملكنى ، أجد الحل ... أجده فى كلمة قالها رجل يهودى ، قيل أنه صهيونى خبيث ، وقيل انه يهودى متحرر ، لكنه على أية حال لم يتهم يوما بالتعصب ضد اليهودية ، أو بالعداء للسامية !

هذا الرجل هو دكتور ماغنر ، الذى أسس الجامعة العبرية ، وكان اول عميد لها . أما كلمته التى اعنيها ، فهى تلك التى قالها ذات يوم تعليقـا على جرائم الارهابيين الصهيونيين فى فلسـطين ، وجاء فيها بالحرف الواحد :

« من السهل طبعا أن نحتج بأن الصهيونيين الارهابيين وحدهم هم المسئولون عن هذه الجـرائم الوحشية التى ارتكبت فى الأرض المقدسة ... ولـكن من هو المسئول عن هؤلاء الارهابيين ؟ ان كل يهودى منا ، يحمل نصيبا من المسئولية » !

وهذا الرأى الذى قاله الزعيم اليهـودى ، هو أقل ما ينبغى أن يقـال فى المسألة الصهيونية بصفة عامـة ، فمن السهل أن يتبرأ كل يهودى من الصهيونية ــ عنـد اللزوم ــ لكن كل يهودى فى الواقع يعتبر مسئولا عن وجود الصهيونية نفسها !

ونحن اذ نضع هذه القاعدة التى تحدد مسئولية اليهودى ازاء الصهيونية ، لا تتجاوز منطق اليهـود أنفسهم ، أولئك الذين تزعموا عقب الحـرب العـالمية الثانية ، حركة المطالبـة بتوقيع عقوبات على « الشعب » الالمانى جزاء ما اقترفته النازية من جرائم على اعتبار أن الشعب الذى لم يقاوم هذه النازية ولم يهزمها يجب أن يتحمل نتيجة تقصيره فى اداء هذا الواجب ...

وقد واصل اليهود ــ بعد قيام اسرائيل ــ هذه الحملة التى أسفرت بالفعل عن ارغام حكومة اديناور ــ المانيا الغربية ــ على دفع مئات الملايين من الدولارات تعويضا عما لاقاه اليهود فى ظل الحكم الهتلرى !

وأنا أفهم أن نعذر الشعب الألمانى ونقدر ظروف الارهاب النازى التى كانت تكمم فمه وتسلب ارادته ، وتمنعه من أى عمل ... أفهم هذا ، لكنى لا ادرى كيف أبرر لليهودى موقفه (الايجابى) فى تأييد الحركة الصهيونية أو السكوت عليها ؟!

لا أفهم كيف نعفى من المسئولية ، اليهود الذين يشتركون فى خمسة آلاف جمعية يهودية بالولايات المتحدة ، وكلها تجمع التبرعات « لحكومة » اسرائيل ، ومن أكبر هذه الجمعيات ... هداسا ، الجوينت ، البوند ، الصهيونية ، اللجنة العبرية للتحرر الوطنى ، الرابطة الامريكية بفلسطين ، اللجنة السياسية العاملة لفلسطين ، الجمعية الامريكية لليهودية ، المجلس اليهودى الامريكى ... الخ ؟

ولا أفهم كيف نعفى من المسئولية ستة ملايين من اليهود المشتركين فعلا كأعضاء فى الحركة الصهيونية ؟؟

ولا أفهم كيف نعفى من المسئولية ، مليونان من اليهود ــ على الاقل ــ هرعوا الى فلسطين يحتلونها ، دون ان يكون هناك ما يدفعهم الى هذه الهجرة ، بل الى ذلك الاحتلال ؟

ولا أفهم كيف نعفى من المسئولية هذا العدد الضخم من اليهود فى جميع بلدان العالم ، الذين لا يقولون كلمة واحدة ضد الصهيونية .. ولا يبذلون أى مجهود حقيقى لمحاربتها ؟

لا نستطيع اذن ان نعتبر كل يهودى صهيونيا لا شك فيه ...

ولا نستطيع ان نعتبر الصهيونية واليهودية مسألتين مختلفتين تماما ، فمع وجود فارق ما ، الا ان الحدود بينهما تكاد تكون مشتركة والفاصل الذى يشطرهما ــ ان صح التعبير ــ هو فاصل وهمى أو فاصل رمزى ، لا يوضحه ولا يؤكده سوى شىء واحد ، هو الموقف

الايجابى لليهودى ... فاليهودى الصهيونى واليهودى الذى يسكت عن الصهيونية ، هما شىء واحد ، اشبه ما يكون بالعملة النقدية ذات الوجهين !

ولقد رأينا يهودا متحررين ... كماركس واينشتين ، وغيرهما ، ولكن هؤلاء للأسف ، لا يعتبرون يهودا الا من حيث الشكل فقط .. من حيث الرسميات ، أما من حيث الواقع فقد كان أكثرهم ، ان لم يكن كلهم ، من اليهود المتحررين أصلا من عقيدتهم الدينية ، وهذا ما يجعلنا نتمسك بما نبديه من تحفظ فى هذه المسألة ، ونحن فى هذا أيضا لا نتعصب ، ولا نعادى ، بل نقول بعض ما يعترف به يهود متدينون أيضا ، أقرب مثال لهم هنا هو « الكاتب الامريكى » الفريد ليلينتال مؤلف « ثمن اسرائيل » اذ يقول فى كتابه ذاك .

« يحفظ كل يهودى ــ عن ظهر قلب ــ ما تناقلته الاجيال ، من ميراث اليهودية ... وهو ان اليهودى يختلف عن سائر البشر » !!

***

هذه كلها شبهات قوية تدعو للشك فى اليهودى ، وهى التى تجعلنا نطالبه بدليل براءته من الصهيونية ... فلا نعتبره بريئا حتى تثبت ادانته ، بل هو متهم ... حتى تثبت براءته !

ومع أننى أدعو الى تطبيق قاعدة منافية لاصول العدالة ، الا أننى أعرف أيضا ما يبررها ، فاثبات براءة اليهودى من تهمة الصهيونية لا يتطلب مجهودا عسيرا أو يحتاج وثائق ومستندات يستحيل عليه أن يقدمها !

كلا ، ففى وسع كل يهودى أن يقدم الدليل على براءته متى شاء !

والدليل الوحيد الذى يملكه اليهودى لتأكيد هذه البراءة من الصهيونية ، هو الوقوف ضدها ... هو اعلان الحرب عليها

وانها لمسئولية ضخمة وخطيرة للغاية ... أنها ليست مسألة سمعته الشخصية أو كيانه الخاص ، بل هى أهم من ذلك كله ، انها مسألة

الدفاع عن سمعة اليهودية كلها .. بل هى مسألة الدفاع عن التاريخ ... تاريخ الجنس البشرى كله !

لقد رأينا كثيرين من أحرار العالم ينضمون الى القوات الوطنية فى المستعمرات ضد اعتداءات المستعمرين عليها ... حدث هذا فى الفيتنام ، وفى الصين ، وفى كل مكان ... فلماذا لم نسمع عن يهودى متحرر واحد تطوع للدفاع عن عرب فلسطين ضد قوات الاحتلال الصهيونى فى حرب فلسطين ؟ أو بعد حرب فلسطين ؟

هذه هى السلبية المريبة ، وهى التى تضاعف مسئولية اليهودى ازاء الخطر الصهيونى ... واليهودى المتحرر فعلا هو الذى يقدر هذا الرأى ، ويناقشه فى انصاف وهدوء ، ولا يضيق به صدره ، او يتهم كاتبه بالتعصب !

ان ايمانى لا يتزعزع قط بالانسان ... ومن هنا فاننى لا افقد الأمل مطلقا فى أن ملايين من اليهود يمكن ان يقفوا مع الشعوب المناضلة فى سبيل تحررها وانعتاقها ، بدل أن يقفوا متفرجين عليها ... أو مناوئين لتطورها !

كلا ، بل أنا أسجل أيضا أن مئات الألوف من هؤلاء اليهود كانوا فى طليعة المناضلين أيضا من أجل الحرية والسلام ... وأسجل أيضا أن ألوف التضحيات النبيلة ، التى بذلها كثير من اليهود من أجل التقدم والعلم والديمقراطية ... أسجل أن كل هذا يمتلىء به وجدانى ، ويزخر به شعورى ، ويحتل مكانا كبيرا فى ميزان تقديرى ... انما ادعو اليهود الاحرار الى تحطيم هذه الشبهات التى اضفتها الصهيونية عليهم جميعا ! أدعو اليهود الاحرار ان يكونوا ايجابيين فى موقفهم ... أن يكونوا اعلا خصوم الصهيونية صوتا ، وأوفرهم نشاطا !

اننى أعرف — رغم كل شىء — كيف افرق بين حاييم وايزمان وبين روزنبرج ... أعرف كيف أفرق بين المليونير الامريكى سكينوف ، وبين المواطن المصرى ... الياس كوهين !

لكن رغم هذا الذى أعرفه ، أريد من اليهودى ... فى كل مكان ،

ان يتولى هو الدفاع عن يهوديته ضد الصهيونية ... أريدمن اليهودى فى كل مكان أن يحس بأن الصهيونية قد وضعته — بنشاطها الضخم — موضع الشك والاتهام ، وان عليه مسئولية كبرى لازالة هذا الشك وتفنيد هذا الاتهام ، وكل هذا لا يكلفه اكثر من ان يخرج عن موقفه السلبى ، الى موقف ايجابى واضح ، يعلن فيه بنضاله الصادق ، أنه يمقت الصهيونية ، ويكره التعصب ، ويعرف كيف يفرق بين الدين والوطن !

لقد فرقنا نحن العرب — بين الدين والوطن — فلا محل لهذا التعصب البغيض بين صفوفنا ، وليس أدل على هذا من أن يعيش اللاجئين العرب — مسلمين ومسيحيين — متحابين فى المخيم الواحد ... وليس أدل على هذا من ان اليهود يحتلون بيننا اكبرالمراكز ، حتى يصل بعضهم الى منصب الوزير ، كما يحدث حاليا فى مراكش ... وكل ما نريده ، هو الاحساس بأن اليهود الذين يعيشون فى بلادنا يحسون بنفس مشاعرنا ، ويرتبطون معنا بآمال وطنية مشتركة ، ومعان انسانية واحدة !

ان اليهودى يتحمل مسئولية الدفاع عن وطنيته ، مصرية كانت أو سورية ، او لبنانية ، او عراقية ... بل انجليزية كانت او فرنسية أو أمريكية ، وهو يتحمل أيضا مسئولية ما قد يصيبه فى حريته أو حياته اذا عرض نفسه — بموقفه السلبى — لاثارة الريبة حوله ، وسوء الظن باتجاهاته !

واننى بهذا التحذير ، لا أحرض ضد اليهود ، بلّ أدافع عنهم ... اننى اطلب لهم البراءة ، واعرف اننى لا املك ان اقررها ، فهم ... وهم وحدهم ، من يستطيع اثبات هذه البراءة !

ان رحاب الانسانية المتطلعة لحياة اعز واشرف ... واعز واسعد ، يتسع لنا جميعا ، من كل الأديان وكل الاجناس ، اذا عرفنا كيف نقضى على كل دعوة عنصرية ، وكل نزعة عدوانية !

... والخلاصة

وبعد ، فقد تشعب بنا الحديث ، حتى أصبحت أشفق على القارىء من ان يكون ذهنه قد شرد فى اسرائيل ، او يكون فكره قد توزع بين مخيمات اللاجئين ، أو تكون خواطره قدانطلقت تحلق فى سماءأمريكا وبريطانيا خصوصا ، ترصد مؤامرات الصهيونية أو تأمل أساليبها . فكل هذه الفصول التكميلية ليست الا فرعا على هامش دراستنا ، فالمقصود بهذا الكتاب أساسا أن يكون تحليلا ماديا لظاهرة حقيقية ، من ظواهر التطور ، لا نملك ان نتجاهلها ، ولا ينبغى ان نتركها دون ان نتعقبها بالبحث العلمى الدقيق ...

ولعل كل ما قيل عن الصهيونية حتى اليوم هو أنها حركة الرجعية اليهودية او الرأسمالية اليهودية ... وهذا التعريف هو بعض الحقيقة وليست كلها ، وحتى هذا البعض لم يظفر من الباحثين بأكثر من نصيب ضئيل من العناية ، تتجلى فى بعض ما كتب عن تاريخ الحركة الصهيونية

وحتى هذا التاريخ ايضا كان مظلوما مع كل من كتبه او تعرض له ، فالمؤرخون المثاليون مثلا ، يتناولون هذا الموضوع بطريقة تقليدية واحدة فلا يكادون يتعرضون لتاريخ الحركة الصهيونية ، حتى يذكروا ذلك الصحفى النمسوى « تيودور هرتزل » الذى ألف كتابا دعا فيه الى « الدولة اليهودية » فوضع بذلك أساس الحركة الصهيونية .

والبعض منهم ، يقول لا ، بل ان (سيمحا بينسكر) فى روسيا هو أول من دعا الى القومية اليهودية فى سلسلة خطب ومقالات ملتهبة منذ سنة ١٨٨٠ والبعض أيضا يؤكد أن السير هنرى فينش فى بريطانيا هو أول من دعا للصهيونية فى كتابه (نداء اليهود) !

ويؤرخ المثاليون هذه الدعوة الصهيونية بالمؤتمرات التى عقدت لها والخطب التى ألقيت فيها ، والقرارات التى تمخضت عنها

هكذا يمضى المؤرخ المثالى فى دراسته للصهيونية ، فالتاريخ عنده ،

هو مجموعة من الأبطال يصنعون الحوادث ، او تدور الحوادث حولهم بوصفهم (مراكز قطبية) للتاريخ

غير أن المؤرخ المادى لا يقنع بهذه الدراسة السطحية ، فهو يفتش وراء هذه الظواهر وهذه الفروع ... يفتش وراءها عن الأصل والجوهر ، وينظر الى النشاط الصهيونى من خلال منظار ادق واعمق ينظر اليه بوصفه جزءا من التاريخ العام للمجتمع ، فالصهيونية حادث من حوادث التطور ، ولذلك فان البحث العلمى يحتم علينا ان نلتزم فى تحليلها ذلك الأسلوب المتحرك من أساليب المنطق

وهذا هو ما حدا بنا الى استعراض التطور العام للنظام الرأسمالى نفسه ، وسط أمواج الصراع الطبقى ، وعواصف المتناقضات الداخلية والخارجية على حد سواء ، ومن هذا الاستعراض ، كشفنا عن هذه الحقيقة الساطعة التى تشير الى أن رأس المال يسعى للتمركز ، فى حلقات متتابعة من المحاولات ، يصل خلالها الى أعلى مراحله ، فيأخذ شكلا جديدا نسميه الاستعمار ، ومنذ يولد الاستعمار ، وهو يتجه فى تطوره الى نفس النحو الذى اتجه اليه رأس المال ... أى الى التجمع ، فالتمركز ، الذى يتحول عند بلوغ أقصى درجاته الى شئ جديد

وقد انتهينا ايضا ، الى أن هذا الشيء الجديد الذى تجرى نحوه (الاستعمارية) ركضا .. هو الصهيونية ، على اساس ما نراه ونلمسه بالفعل ، من أنها تمثل اقلية الاقلية ، فالصهيونية هى حركة الاحتكاريين والمصرفيين اليهود ، المتحكمين بالفعل فى هذه الاقليات المبعثرة من الاستعماريين الامريكيين ، والفرنسيين ، والانجليز الخ ...

وهذا المنهج العلمى نفسه ، هو الذى حدا بنا الى البحث وراء الظروف المادية التى جعلت من اليهود بالذات رأس الرمح فى هذه الحلقات المتتابعة من صور الاستغلال ، سواء فى المجتمع العبيدى ، أو الاقطاعى ، أو البرجوازى ... وقرأنا بين سطور التوراه ، والتلمود ، تلك الدوافع المادية التى كانت تنبعث منها وتنعكس عليها كل (روحانيات) تلك القبائل العبرانية القديمة ، فما كادت هذه

القبائل تتوه بالفعل فى احشاء الزمن ، وتذوب كعنصر فى غيرها من العناصر المتعددة ، حتى عادت تتجمع مرة اخرى ، وتتبلور فى صفة جديدة مشتركة ، هى الظروف الطبقية الواحدة

تماما كما يذوب (قالب السكر) فى الماء حتى يخيل الينا انه اختفى ثم لا يلبث ان يتماسك مرة اخرى ، ويظهر فى شكل جديد بعد ان تتعاقب على هذا الماء درجات متلاحقة من الغليان

بل تماما كما تذوب (الشيوعية البدائية) فى محيط التطور العام للمجتمع ، ثم لا تلبث هى الاخرى ان تعود الى الظهور ، ولكن فى صورة جديدة ، بعد درجات متلاحقة ايضا ، من الغليان ... الثورى

ومن هنا كتبنا تاريخ الحركة الصهيونية ... التاريخ المادى الحقيقى لها ... منذ تفرقت القبائل العبرانية على مر الاجيال ، ثم انطلق رجالها ونساؤها هنا وهناك ، فرادى لا يجمع بعضهم الى البعض ، بين حين وآخر ، سوى الخوف من مواجهة المستقبل بعيدا عن الاهل ، والعائلة

لكنهم فى تفرقهم كانوا يحملون اهم ما توارثوه من خبرة بشئون التجارة والوساطة ... وهذا اللون من ألوان النشاط يعرضهم بطبيعته للمنافسة ، وما تجر اليه المنافسة من الحرب ، تتضاءل احيانا حتى تظهر فى معارك فردية ، وتتسع أحيانا حتى تتحول الى ما يشبه الحرب الأهلية ...

والحرب بطبيعتها جريمة ، تحتاج من مرتكبها الى (منطق تبرير) يرضى به ضميره ، ويقنع به نفسه ... ومن هنا فقد اخذت هذه المعارك فى الأغلب صورة تعصب دينى ، ولما كان التعصب بطبيعته يجد ظروفا أنسب للنمو بين الاقليات ، فسرعان ما زايلت اليهودية جانبها الروحى ، وتحولت الى اتجاهات عنصرية مادية ، هى التى تبلورت أخيرا فى الدعوة الصهيونية

ولم تصل اليهودية بالطبع الى هذا الاتجاه ، الا مسبوقة بتطور مادى للمجتمع كله ، كان اليهود قد بلغوا فيه نقطة الاوج ... ذلك الحد الذى يسمح لهم — من جديد — باحلام السيادة على الجنس البشرى

ففى ذلك الوقت ، كان اليهود ، بما لهم من نفوذ اقتصادى واسع فى اكثر بلاد العالم ، قد ارغموا اكثر الحكومات ، لا على الاعتراف بحريتهم الدينية فحسب ، بل وعلى الاعتراف بحقوقهم السياسية ايضا ، فى دولة بعد اخرى ... فى فرنسا سنة ١٧٩٠ ، وفى ايطاليا سنة ١٨٧٠ ، وفى المانيا سنة ١٨٧١ وفى الولايات المتحدة سنة ١٨٨٧ ، واخيرا فى انجلترا سنة ١٨٩٠ ... وهذه الانتصارات المتلاحقة هى التى اثارت شهية اليهود الى المزيد من الطموح السياسى ، نتيجة الاحساس بأن حصولهم على هذه الحقوق لم يأت نتيجة الرغبة فى العدل والمساواة بقدر ما كان نتيجة لضغطهم ، ولنفوذهم المالى بالذات

ومن ناحية أخرى ، فقد كانت الحكومات « تعتق » اليهود ، على أساس أن يتحولوا الى مواطنين ، يندمجون فى البلد الذى يعيشون فيه ، ويصبحوا جزءا منه ... لا ان يعتبروا أنفسهم شعبا آخر ، أو دولة داخل الدولة !

ولم يكد بعض يهود فرنسا ـ بعد الثورة ـ يتحدث عن (الشعب) اليهودى ، حتى وقف (كليمون تونير) فى الجمعية التأسيسية يقول بصراحة :

نحن لا نمنح شيئا لليهود كشعب ، ونمنح كل شىء لليهود كمواطنين فرنسيين !

ومنذ وصل اليهود الى الصفوف الامامية للنظام الاقتصادى الرأسمالى وهم يحسون بأحقيتهم فى ان تكون لهم الصفوف الاولى فى المجال السياسى ، لا من وراء الكواليس فحسب ، بل وعلنا ... فوق خشبة المسرح أيضا !

وهذا الاتجاه من ناحيتهم يمثل الهدف والوسيلة فى وقت معا ، فالنفوذ الاقتصادى يمنحهم القوة السياسية ، والنفوذ السياسى يمنحهم القوة الاقتصادية ... وتلتقى هذه الارادة بارادة اخرى هى رغبة رأس المال الاستعمارى فى الفرار من متناقضاته وقيوده (القومية) الى نقطة تركيز جديدة ، يتجمع عندها ، ويتحصن فيها

وتنعكس هذه الارادة المادية فى ايدولوجية جديدة تمهد لها الطريق هذه الايدولوجية (الفلسفة الصهيونية) التى تقول بأن اليهود هم الجنس الارقى ، الذى دعته التوراه لرسالة مقدسة كبرى ، هى ان يحكم العالم ، ويسود البشر

ويلتقى النشاط الصهيونى فى أول ظهوره ، بالنشاط الاقتصادى الذى يماثله تماما ، فتتوالى المؤتمرات الصهيونية فى نفس الوقت الذى يتوالى فيه ظهور الاحتكارات الدولية ، لمختلف الصناعات ، أو مختلف الخامات

وتحس الصهيونية بحاجتها الى جنود للتنفيذ ، ومعسكر للتدريب ، فلا تلبث ان تصطنع حركات الاضطهاد ، او تنفخ فيها وتعمد الى المبالغة والتهويل لتربط الجماهير اليهودية بالاهداف الصهيونية ، وتوقظ فى هذه الجماهير ، احط ما عرفته القبائل العبرانية القديمة من التعصب ، والبربرية ، والحقد ... ويقع اختيارها على فلسطين ، قاعدة حربية للجيش الذى تعده للاستعانة به فى حكم العالم ، وبأساليب غاية فى الالتواء ، تنتدب انجلترا ، لادارة فلسطين ريثما يتم لها ـ اى للصهيونية ـ تجميع جيشها وتدريبه وتجهيزه ، وتحقق فى خلال ذلك برنامجا خطيرا ، رسمته للسيطرة على ثروات العالم ، وصحافته ، وحكوماته ، وهو ما يتجلى اثره بالفعل فى كل معركة سياسية ، تتصل من قريب او من بعيد ، بالمصالح الصهيونية ، والاهداف الصهيونية

وهذه الحقائق فى تسلسلها المنطقى تدعم الرأى الذى نطرحه للمناقشة فى هذا الكتاب ، وهو ان

الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار

والذى يعنينى تأكيده من جديد فى هذه الخاتمة ، هو ان الوصول الى هذه الحقيقة ، لا يعنى بالمرة ان الصهيونية سوف تنتصر على العالم وتفرض اليهود سادة على سائر الاجناس البشرية ... كلا ، كل ما قلته ان هذه الصهيونية ، هى ما تتجه اليه محاولات المرحلة الاستعمارية الحاضرة ، وبالعكس فانى أومن بأن الوعى المتزايد بين الجماهير فى كل

مكان ، والقوة الصاعدة لمعسكر الشعوب المتحررة التى أصبحت تربو على ثلثى سكان الكرة الارضية ... كل هذا يجعلنى أومن بأن هذه الحركة الصهيونية مآلها حتما ، الى زوال قريب ...

لكنى أرى فى نفس الوقت ، اننا ينبغى ان نعرف العدو الحقيقى لنا — نحن الشعوب — وان نحدد من أى اتجاه تأتينا الضربات ... وان نفهم طبيعة هذه (القوى الخفية) التى تعمل من خـلال الدول الاستعمارية الكبرى ، وهى أشد منها خطرا ، واكثر عتوا ...

انى اكتب هذه الخاتمة ، فى الوقت الذى تحتشد فيه أساطيل الدول الاستعمارية ، وتتحرك حاملات طائراتها وجنـود البراشوت التابعين لها ... كل هذه التدابير العداونية التى يراد بها ارغام مصر على التفريط فى قطعة من مياهها واراضيها ... هى قناة السويس

ولا يحتاج الانسان الى الكثير من البحث ليعرف أنه لا مصـلحة بريطانيا ، ولا مصلحة فرنسا ، ولا مصلحة امريكا تقتضى بعض هذا التهديد الذى يعرض السلام العالمى كله للخطر ... فما هو تفسير هذه الحملة الاجرامية التى تقامر بها الدول الاستعمارية لا بالسلام وحسب ، بل وبمستقبلها ومصالحها ... وبترولها اولا ، وعلى وجـه الخصوص ؟

عندى ان تفسير ذلك كله نجده بعد البحث عن الذين يصيبهم تأميم شركة القنال باضرار مباشرة ، هى حرمانهم من هذه الدجاجة التى كانت تضع لهم كل عام ٣٥ مليونا من البيض الذهب

أنهم حفنة المساهمين فى شركة القنال ... فهل يعرف القارىء ان الاغلبية الساحقة من هؤلاء المساهمين ... يهود ؟

هل يعرف القارىء أن الديون التى أغرقت مصر ، واتخذت ذريعة للتدخل فى شئوننا وفرض الرقابة المالية علينا من قبل الدول الأجنبية ، كانت بسبب القروض التى قدمها أربعة من اليهـود الى الخـديوى أسماعيل بالربا الفاحش ؟

هل يعرف القارىء أن بيت روتشيلد — اليهودى — هو الذى دفع

لانجلترا قيمة الاسهم التى تخصها فى هذه القناة ، والتى تصل الى ٤٤ فى المائة من مجموع الاسهم ؟

هل يعرف القارىء أن فى مقدمة الأعضاء المؤسسين للشركة خمسة من اليهود الاثرياء هم : هرسى ، وكريميه ، وآرثون ، ورواينـاه ، وكورنييه ؟

وهل يعرف القارىء ان يهود فرنسا ايضا هم الذين اشتروا أغلب أسهم الشركة ، وكانوا يقومون بحملة واسعة — من وراء الستار — تؤكد أن مشروع القناة مشروع وهمى يقوم به نصاب عالمى ، وخديوى مغفل ، حتى لا يقبل غيرهم على شراء هذه الأسهم ، وحتى تهبط قيمتها فيشترونها من حامليها من غير اليهود ؟

هل يعرف القارىء ان شركة قنال السويس السابقة كانت فى نشراتها ودعاياتها ، تقحم الثناء اقحاما على اليهود ، وفضلهم التاريخى على مصر ذلك الفضل الذى قوبل بالاساءة والبطر ، كما تقول نشرة من نشرات هذه الشركة تحت يدى وأنا اكتب هذه السطور ؟ (١) .

ان وراء هذه العصبية التى يبديها مستر ايدن ... ووراء هـذا التشنج الذى يبديه مسيو بينو ، ووراء هذه السموم التى ينفثهـا مستر دالاس ، وراء كل ذلك مؤامرات صهيونية تحرك هذه الدمى الآدمية ، فاذا هى تخطب ، وتضرب الارض باقدامها ، او تلوح للهواء بقبضات اياديها

ليست امريكا وانجلترا وفرنسا هى التى تستخدم الصهيونية او تسخرها اذن .. كلا فهذا خطـأ ، انما العكس هو الصحيـح ، فالصهيونية هى التى تدفع وتسخر أمريكا وانجلترا وفرنسا ... وفى هذا يقول الكاتب اليهودى (ولترليمان) فى مقال له سنة ١٩٣٢ .

من الواضح ان روزفلت ليس هو زعيم القوات التى تسير خلفه ، انما هو اداة فى يدها

وفى هذا أيضا يقول فلاديمير جابوتنسكى فى المؤتمر الصهيـونى الفرنسى عام ١٩٢٣ .

اذا رفضت بريطانيا ان تسلمنا فلسطين ، فان اليهود على استعداد لتحريك القوى التى تقضى على بريطانيا!

فهل بعد ذلك شك فى ان الصهيونية العالمية تتربع على قمة الهرم الاستعمارى ؟

هل من شك فى صحة هذا التعريف الذى قدمناه للصهيونية فى هذا الكتاب وهو ان :

الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ؟

هذه هى الصهيونية بفلسفتها ، وتاريخها ، ومؤامراتها ، واساليبها ومراكزها الاستراتيجية ايضا ... نيويورك اولا ، وبريطانيا ثانيا ، وفرنسا ثالثا ولم لا ؟ وهى التى ترتفع فى الترمومتر الاستعمارى الى حيث يصل الزئبق لأقصى مستوى للتطور الاستعمارى تبلغه دولة من الدول ؟!

هذه هى الصهيونية التى تسيطر على الدول الكبرى – فى العالم الحر ! – بالرشوة او النفوذ ! والارهاب ! والتآمر ! والنصب ايضا والاحتيال !!

أجل ففى أمريكا يسوق الصهيونيون امامهم نفرا من الراسماليين المغفلين – من غير اليهود – بعد ان يوهموهم بأن فى النقب وفى غزة كثيرا من البترول الذى لم يستخرج بعد ، وان امتيازات هذا البترول ستمنح لاولئك المغفلين !

هذه هى الصهيونية التى يعترف واحد من اكبر زعمائها – زنجويل – بأنها كانت المحرك الحقيقى لكثير من الفتن والاضطرابات ... والتى يعترف مؤسسها (حاييم وايزمان) بأنها كانت تلعب دورا اساسيا فى مد لهيب الحرب العالمية الى مختلف انحاء العالم ، فيقول فى مذكراته :

« وذهبت الى البارون روتشيلد ، وتباحثنا فى الموقف ، فكان من رأيه ان الحرب يجب ان تمتد الى الشرق الاوسط ، لتتورط فيها تركيا . وبذلك ينفتح باب الامل لليهود على مصراعيه » !

هذه هى الصهيونية بكل قوتها وجبروتها ، تقرر – رغم كل شيء –

انها لن تلبث ان تتحطم على صخرة هذه الموجة الصاعدة ، من الوعى الشعبى فى كل مكان فى العالم بأسره .

انها لا تستطيع ان تعيش وتنتصر ، الا اذا كتب للنظام الاستعمارى أن يستمر فترة طويلة أخرى من الزمن ، لكن الوقت قد فات ! ذهبت هذه الفرصة منذ اصبح للشعوب معسكرها الاقوى ، عددا وعدة !

ذهبت فرصة النجاح الصهيونى ، واصبح مستقبلها محددا بمصير المعسكر الاستعمارى كله ، الذى اصبحنا نعد له الايام والساعات !! وأخيرا ...

ان الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ... من حيث الترتيب المنطقى لتطور الاستعمار ، من الناحية النظرية المجردة ، ولكن هذا لا يعنى – كما قلنا – ان الصهيونية سوف تحقق رسالتها فى السيطرة الكاملة فعلا ، فهى وان كانت اعلى مراحل الاستعمار ، الا ان قوى الشعوب سوف تختصرها ، كما اختصرت مرحلة الاستعمار نفسه فى بعض مناطق العالم ، وكما اختصرت مرحلة الرأسمالية نفسها من بعض المناطق الاخرى ... ان كفاح الشعوب ، ووعيها ، ويقظتها هو الذى يستطيع وحده ، ان يوقف اخطر ما يمكن ان يصل اليه النظام الاستغلالى من تطور ، واعنى به :

الصهيونية .. اعلى مراحل الاستعمار !

الفهـــرس

كتب للمؤلف

١ ـ ديوان الرملى
٢ ـ نعى قلب
٣ ـ وحى الزنزانة
٤ ـ الفاشية تهدم نفسها
٥ ـ من تحت الانقاض
٦ ـ أهداف الاشتراكية
٧ ـ هل انحرفت روسيا
٨ ـ آراء مضطهدة
٩ ـ الطريق الى الاستقلال
١٠ ـ لينين اكبر ثائر فى التاريخ
١١ ـ مفتاح الماركسية
١٢ ـ تعلم حرب العصابات
١٣ ـ امموا شركة القنال
١٤ ـ قلوب الانبياء

تحت الطبع

١٥ ـ عدونا جميعا
١٦ ـ ضد الطغيان

مطابع جريدة الصباح بمصر



مؤلف الكتاب ...

- اسمه بالكامل محمود فتحى الرملى !
- ولد بمدينة المنيا فى ٢٨ يولية عام ١٩٢٠
- اشتغل بالصحافة منذ ٢٠ سنة فساهم فى تحرير اغلب الصحف والمجلات الوطنية ، ثم استقل باصدار « البشير » عام ١٩٥٠ و « المعارضة » عام ١٩٥٢ .
- اول مرشح خاض المعركة الانتخابية فى مصر – عام ١٩٤٥ على المبادىء الاشتراكية .
- اعتقل وسجن فى عهود الطغيان البائد ، وقدم للمحاكمة ثلاث مرات بتهمة التحريض على الثورة وقلب نظام الحكم ، وبرىء فى القضايا الثلاثة .
- اضرب عن الطعام مع عدد من ممثلى الشباب لتعبئة الراى العام ضد معاهدة ٣٦ .
- الف جماعة الدعوة لتاميم شركة القناة فى عام ١٩٥٠ ، ولكن الحكومة الملكية القائمة اذ ذاك حاربتها وحلتها .
- يعمل فى الوقت الحالى مديرا لوكالة الصحافة الافريقية .

تصميم الغلاف للفنان : محمود ابراهيم